التقريب

لحكم وأحكام

صحيح الترغيب والترهيب

للإمام الحافظ

زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

المتوفى سنة ٦٥٦ هـ

كتاب الإخلاص

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية

والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

دار الميراث النبوي

للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

للناشر

1440هـ - 2019م

العِلمُ ميراثُ النبيِّ كذا أتى ... في النّص والعلماء هم وُرّاثه

ما خلّف المختارُ غيرَ حديثه ... فينا فذاك متاعُه وأثاثُه

اسم الناشر: دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع

ISBN / 978-9947-48-091-5

الإيداع القانوني : 2014-4293

9 789947 480915

التوزيع في المملكة العربية السعودية

مكتبة دار النصيحة

المدينة النبوية – حي الفيصلية- أمام الباب الجنوبي للجامعة الإسلامية

ت : 00966595982046

دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة

الإدارة : 00213) 554250098) المبيعات: 00213)550471594)

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

@mirathennabawi

التقريب

لحكم وأحكام

صحيح الترغيب والترهيب

تأليف

الإمام الحافظ

زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

المتوفى سنة ٦٥٦ هـ

كتاب الإخلاص

شرح فضيلة الشيخ الدكتور:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله نَحمدُه ونستعينُهُ ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهديه الله فلا مُضلَّ له ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمَّا بعدُ:

فإن أصدقَ الكلام كلام الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النَّار.

وبعد:

فإنَّ دين الإسلام - الذي هو دِينُ عِلمٍ وحِكمةٍ وبصيرةٍ - أعلى مِن شأن العِلم، وحثَّ ورغَّبَ في طلبه، وجَعَل الله عَزَّوَجَلَّ العلماءَ في رِفعة بِحُكمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]؛ فأهلُ الإيمان والعلم النافع المبنيِّ على كتاب الله، وعلى سُنَّة رسول الله ﷺ، وعلى الأدلَّة المَرعِيَّة، هم أهلُ الرفعة الحقيقيَّة في الدنيا والآخرة.

وبيَّن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ أهل العلم يسبقون غيرهم من الناس، ولا يُساويهم مَن دونهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وعلَّمنا ربُّنا وأدَّبنا، ودلَّنا على أن مِن رِفعتنا وعِزَّتنا، وممَّا يُقرِّبُنا إلى ربِّنا: أن نطلب العلم، وألَّا نملَّ من ذلك أبدًا، فقال سُبْحَانَهُ لنبيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]؛ فشُرع لنا أن نسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأن يزيدنا علمًا، وأن نبذل ما نستطيع لنزداد منه.

ولا شكَّ أنَّ أمَّتَنَا الإسلامية في هذا الزمان أحوَجُ ما تكون إلى العِلم وإلى طَلَبِه؛ فإنَّ هذا الزمان قد فشا فيه الجهلُ بأنواعه؛ فشا فيه الجهلُ المُركَّبُ، وفشا فيه الجهلُ البسيط، فتَجِدُ مَن يتسمَّى بالعلم وينتسب إليه، ولا يحمِلُ مِن حقيقته شيئًا، فهو جاهلٌ يظنُّ أنَّه عَالِمٌ، فجهلهُ جَهلٌ مُركَّب. وكَثُر إعراضُ كثيرٍ مِن النَّاس عَنِ العلم، وفي الجانب الآخر: نَشِط أهلُ الباطل في باطلهم، سواء كان ذلك في جَانِبِ الغلوِّ والإفراط، أو كان في جانِبِ التساهل والتفريط، فإنَّا نَجِد أهل الأهواء والبدع يَدعونَ إلى أهوائِهم وإلى بِدَعهم بمُختلف الوسائِل الممكنة، ويُسمُّونَ ذلك عِلمًا، ونَجِدُ أنَّ أهل التساهُلِ والتفريط يَدعونَ النَّاس إلى تَرك أحكام هذا الدِّين، إمَّا بحُجّة ما يُسمّى بالحرِّيَّة المُطلقة، ويُسمُّون أحكام الدِّين تقاليد قديمة، وإمَّا بِحُجَّة فصلِ الدِّين عن الدولة، وإمَّا بزعمِ باطلٍ ظالمٍ، وهو أنَّ التَدَيُّنَ الصحيح يقودُ إلى التطرُّف، أو يؤدّي إلى الإرهاب، وكلُّ ذلك باطلٌ.

ولا شكَّ أنَّ التديُّن الصحيح يُحارب هذا كلَّه، فواللهِ ثُمَّ واللهِ لو أنَّ الأمَّة عَلِمَت دينها عِلمًا صحيحًا، وفَهِمتهُ فَهمًا سليمًا، وعَمِلَت به على وفق ما علمت؛ لما رأينا الإرهاب، ولما رأينا التطرّف، ولَمَا رأينا الشرَّ، بل نرى الخير كلَّه، والسعادة كلّها، والنعيم كلَّه، والعزَّةَ والقوَّة لهذه الأمّة، وبهذا - وَاللهِ - سيهابُها أعداؤها؛ فمعرفة هذا تجعلُنا نهتمُّ ببذل العلم وبطلبه، وتجعلنا نحن معاشر المسلمين عمومًا حريصين على أوقاتنا، فلا نضيِّعُها

في القيل والقال، ولا في ما لا حاجة لنا إليه، ولا في ما لا ينفعنا، وإنَّما تدفعنا إلى أن نبذلُ ما نستطيع من الجهد، وأن نفرِّغ ما أمكننا مِن أوقاتِنَا؛ لنطلب العلم الشرعيَّ الصحيح، وننشره في الأمَّة، ونَدُلَّ النَّاس عليه.

وإنَّك لا تزال ترجو الخيرَ للأمَّة ما رأيتَ أهلها يُقبلون على حِلَقِ العِلم في المساجد؛ فإنَّ طَلَبَ العلم في المساجد لهُ فضائلُ متعدِّدة، وآثارٌ مباركة، وقد عقد المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا في بيان فضل العلم والترغيب فيه[1].

وموضوع هذا الكتاب شرحٌ وتعليقٌ على كتاب «صحيح الترغيب والترهيب»، وهو كتابٌ نافع جدًّا لا يستغني عنَّا فيه مُسلم، وأصلُه كتابُ «الترغيب والترهيب» للحافظ المحدِّث المنذريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٥٦هـ)، ثم قيَّض الله عَزَّوَجَلَّ له أسدَ السُّنَّة وناصرَها في هذا الزمان الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فنقدَ أحاديثه، وبيَّنَ صحيحها وضعيفها، فنحن - إن شاء الله - نعلِّق على الأحاديث الصحيحة في «الترغيب والترهيب».

ولا شكَّ أنَّ عِلم «الترغيب والترهيب» مِن أنفع العلوم ومن أعظمها، فينبغي لطالب العلم أن يعتني به، بل إنَّ الترغيب والترهيب لا يستغني عنه - لفضله - طالبُ علم لبذله، ولا عاميٌّ لما في يده من الدنيا أو غير ذلك، بل كلُّ مسلم بحاجة إلى هذا العلم، وذلك لأمور:

الأمر الأوَّل: أنَّ «الترغيب والترهيب» أصلٌ قام عليه هذا الدِّين، فالدِّين مبنيٌّ على الترغيب والترهيب، فإذا نظرت إلى آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَجَدتَها تُرغِّبُ في الأعمال الصالحة وتُرهِّبُ مِن تَركِهَا، وتُرغِّبُ في ترك الحرام وتُرهِّبُ

---

(١) وهو الكتاب الثالث من أبواب «الترغيب والترهيب».

من فِعلِه، وتحثُّ على الإكثار من المستحبَّات وترك المكروهات، ووجدتَها أيضًا تُرغِّبُ في نعيم القبر وتُرهِّبُ من عذابه، ووجدتَها تُرغِّبُ في الكرامات التي تكون للمؤمنين يوم القيامة، وتُرهِّبُ ممَّا يكون للكفَّار والمنافقين ومن شاء الله عذابه من العصاة يوم القيامة، وتُرغِّبُ في الجنَّة وما فيها من نعيم، وما أعدَّهُ الله لعباده فيها ممَّا لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعت ولا خَطَر على قلب بشر، وتُرهِّبُ من النَّار وما فيها من الجحيم، والعياذ بالله، فـ «الترغيب والترهيب» أصلٌ يقوم عليه الدِّين.

الأمر الثاني: إنَّ في فقه «الترغيب والترهيب» إحياءً للقلب الميِّت، وتَذكيرًا للقلب الغافل، وتنشيطًا للكسول المتواني، فما صحَّ من الأحاديث في «الترغيب والترهيب» يُحيي به الله قلوبًا ماتت، وتنشطُ به قلوبٌ قد غَفَلت أو كَسَلت وفَتَرت، ففي ذلك خيرٌ عظيمٌ للعبد.

الأمر الثالث: أنَّ في تدارس هذه الأحاديث فوائد:

منها: سماعُ كلام النَّبيِّ ﷺ؛ وسماعُ كلامه ﷺ عبادةٌ، وحَملُهُ عبادة، وبذله عبادة، وهو دليلٌ على المحبَّة، فمن أحبَّ رسولَ الله ﷺ أحبَّ ذِكرَه، وأحبَّ سماع كلامه.

ومنها: الإكثارُ من الصلاة على النبيِّ ﷺ، وهذا فيه أجرٌ عظيمٌ للعبد.

ومنها: أنَّ في فقه الأحاديث إدراكًا لكثير من الأحكام التي يحتاجها كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ، وهذا يجعلنا نرغب في تدارس هذا العلم العظيم، وقراءة هذه الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

انتهى ما أردنا بيانه في هذه المقدِّمة باختصار، وهذا حين الشروع في المراد، فنقول بالله مُستعينين، وعلى ربِّنا متوكِّلين:

[كِتَابُ الإِخْلَاصِ]

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كِتَابُ»، قال العلماء: هذه المادة «كتاب» مأخوذة من الجمع والضم؛ لأنَّ الكَتْبَ هو الجمع والضم، ومنه كتيبة الفرسان؛ لأنَّ الفرسان ينضمُّ بعضُهم إلى بعض فيها(١)؛ فقوله: «كِتَابُ الإِخْلَاصِ» أي: هذا موضعٌ أجمعُ فيه أحاديث الترغيب في الإخلاص والترهيب من ضدِّهِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإِخْلَاصِ»، هو في اللغة: الصفاء والنقاء، والذهب الخالص هو الصافي المنقَّى من الشوائب، والتميُّزُ من الشوائب تقول له العرب: إخلاص، يُقال: هذا لبنٌ خالص أي: أنَّه أبيض نقي صافٍ ممَّا يُكدِّرُه، وتقول العرب للَّون إذا صفا: هذا لونٌ خالص، فيقولون: هذا أبيض خالص، وهذا أسود خالص، والمقصود هو ما صفا ونصع، فيوصف اللَّون بكونه خالصًا إذا كان صافيًا ناصعًا(٢).

وأمَّا الإخلاص في الشرع(٣): فمعناه إرادة وجه الله بالعمل وتنقيته من إرادة غيره، أي أن يُريد العبد بصلاته - مثلًا - وجه الله، ويُنقِّي الصلاة من إرادة غير وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويقول بعض العلماء: هو إرادةُ وجه الله بالعمل، وقَطعُ النظر عن المخلوقين، وما في أيدي المخلوقين؛ لأنَّ الذي ينافي الإخلاص ثلاثة:

---

(١) انظر: «الصِّحاح» للجوهري (١/ ٢٠٨-٢٠٩، العلم بالملايين، ط٢)، «تاج العروس» للزَّبيدي (٤/ ١٠٢، الأعلام الكويتية).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٦٥، إحياء التراث العربي)، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٢٠٨، ٣/ ٢٩٢، الفكر)، و«تاج العروس» (١٧/ ٥٥٨).

(٣) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٥، الأرناؤوط)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٨٩ - ٩٣، دار الكتاب العربي).

أوَّلها: الشرك الأكبر، فهو يُضادُّ الإخلاص، وهذا خَرجَ بقولنا: إرادة وجه الله تَعَالَىٰ بالعمل، فهنا يندفع الشرك.

الثاني: الرياء، وسيأتي - إن شاء الله - بحثه، والرياء منشؤه من تعظيم المخلوقين؛ فالعبدُ يُرائي العبدَ لأنَّه يُعظِّمُه؛ فلمَّا قلنا: وقطعُ النظر عن المخلوقين انتفى الرياء.

الثالث: إرادةُ الدنيا، وإرادة الدنيا بالعمل سيأتي بحثها - إن شاء الله -؛ لأنَّ إرادة الدنيا بالعمل ليست لها صورة واحدة، فقد يريد العبد الدنيا بالعمل من الله، فيصلِّي -مثلًا- أو يتصدّق ليُعافيه الله، وهذا ليس ضدَّ الإخلاص، وسنُبيِّنُ حُكمه - إن شاء الله -، وقد تكون إرادة الدنيا بالعمل من المخلوقين، مثل: أن يقرأ القرآن ليُعطى نقودًا، فمرادُه النُّقود، وهذا ينافي الإخلاص، وهل ينافيه بالكلِّيَّة أو ينافي كماله؟ الجواب على هذا سنبسطه - إن شاء الله - فيما يأتي من هذا الشرح(١).

إذًا عندما قلنا: الإخلاص: هو إرادة العبد وجه الله عَزَّوَجَلَّ بالعمل، وقطع النظر عن المخلوقين، وما في أيدي المخلوقين، نَفَينا أو أَخرجنا وأَبعدنا ما ينافي الإخلاص.

وهاهنا سؤال: هل من الإخلاص قطع النظر الأخروي؛ لأنَّ النظر إمَّا دُنيوي: وهو النظر إلى المخلوقين، أو ما في أيدي المخلوقين، وإمَّا أخروي: وهو النظر إلى الثواب، وإلى الجنَّة، وإلى النجاة من النَّار، فهل من الإخلاص أن يقطع العبد نظره عن الثواب، ويقطع نظره عن دخول الجنَّة والسلامة من النار؟

الجواب: لا شكَّ أنَّ هذا ليس من الإخلاص في أصله باتِّفاق العلماء، بمعنى مَن صلّى وهو يُريد دخول الجنَّة بالصلاة فإخلاصه صحيح باتِّفاق العلماء، لكن هل من كمال

(١) وذلك في التعليق على أحاديث «بَاب التَّرْهِيب مِنَ الرِّيَاءِ، وَمَا يَقُولُهُ مَنْ خَافَ شَيْئًا مِنْهُ».

.....

الإخلاص أن يَقطع الإنسان نظره إلى الثواب والجنة والسلامة من النار؟ هذا قاله بعض العلماء، وقالوا[1]: إنَّ الإخلاص نوعان:

النوع الأول: إخلاص العامَّة، وهو إرادة وجه الله بالعمل، وقطع النظر عن الحظوظ الدنيوية.

النوع الثاني: إخلاص الخاصَّة، وهو إرادة وجه الله بالعمل، وقطع النظر عن الحظِّ الدنيوي والحظِّ الأخروي.

لكن هذا القول غيرُ صحيح، فلا يقدح في كمال الإخلاص أن يريد الإنسان بعبادته أن يدخل الجنَّة، بل هذا من الإخلاص ومن كماله وتمامه، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ رتَّبَ دخول الجنة على هذه الأعمال بفضله، فكون المسلم يقصد هذا الفضل الذي جعله الله عَزَّوَجَلَّ مبنيًّا على هذا العمل لا ينافي الإخلاص لا في أصله، ولا في كماله[2].

إذن؛ الإخلاص مختصٌّ بقطع النظر عن الحظِّ الدنيوي، فالإخلاص متعلِّق بالقصد والقلب، ومحلُّه القلب بأن يقصد العبد بأقواله وأفعاله وإراداته وأعمال قلبه وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والإخلاص شرط لصحة العبادة، وهو الركن الركين في السير إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالعبد خلقه الله عَزَّوَجَلَّ ليَعبُدَه وهو في حياته يسير إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والناس في هذا

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٨١ المعرفة).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٤٧ - ٤٩، و٧٥ - ٨٣، دار الكتاب العربي)، و«التخويف من النار» لابن رجب (ص: ٢٤ - ٢٨ بشير عيون).

ما بين متقدّمٍ ومتأخر، وليس هناك واقف، فإمَّا أن يتقدَّمَ بنفسه إلى جنة الله، وإمَّا أن يتأخر عنها - والعياذ بالله -.

والإنسان يسير إلى الله بثلاثة أركان:

الأول: الإخلاص لله، وهو توحيد المطلوب.

الثاني: الصدق؛ بحيث يوافق الظاهر الباطن، ويوافق الباطن الظاهر، وهو توحيد الطلب.

الثالث: الاستسلام المحض بمتابعة رسول الله ﷺ، وهو تحقيق المتابعة؛ فصلاة العبد وأعماله وأقواله وإراداته كلُّها تكون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال ربُّنا سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

ومن هنا بدأ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بـ «كتاب الإخلاص»، وإن كان المنذريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يُعنون بهذا العنوان، لكن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وضع هذا العنوان لـمَّا اختصر الكتاب[1]، وقد أصاب وأجاد في وضع هذا العنوان، والعلماء يبدؤون كتبهم في الحديث في الغالب بالإخلاص، وما يدلُّ عليه، كحديث: «**إنّما الأعمالُ بالنِّيَّات**» الذي سيأتينا - إن شاء الله -.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٠١).

١- (التَّرْغِيبُ فِي الإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ).

١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ: فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبُقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي طَلَبُ شَجرٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْتُ أَن أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلى يَدِي، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتى بَرِقَ الْفَجْرُ - زاد بعض الرُّواة: «وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمِي» - فَاسْتَيْقَظَا فشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ».

قَالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ كانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتى أَلَمَّت بِهَا سَنة مِنَ السنِينَ، فجَاءَتْني، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ، عَلى أَنْ تُخْلِيَ بَيْني وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتى إِذا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانصَرَفْتُ عَنهَا، وَهيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِليَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الذي أَعْطَيْتُهَا، اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نحْنُ فِيهِ، فَانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا».

....

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الذِي لهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ؛ فجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ؛ مِنَ الإِبِلِ والْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ! فقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي! فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نحْنُ فِيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ».

وفي روايةٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، فَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ إِلَى أَنِ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ». فَذَكَرَ الحَدِيثَ قَرِيبًا مِنَ الأَوَّلِ.

رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ والنَّسَائِيُّ(١).

٢- وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ باخْتِصَارٍ، وَيَأْتِي لَفْظُهُ فِي «بِرِّ الوَالِدَين» إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٢١٥، ٢٢٧٢، ٢٣٣٣، ٣٤٦٥، ٥٩٧٤)، ومسلم رقم (٢٧٤٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٨٢٦).

قَوْلُهُ: «وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا».

(الغَبُوقُ): بفَتحِ الغَينِ المُعجمَةِ هُوَ الَّذِي يُشرَبُ بالعَشِيِّ، وَمعناهُ: كُنتُ لَا أُقَدِّمُ عَليهِمَا فِي شُرْبِ اللَّبَنِ أَهْلًا وَلَا غَيرَهُمْ.

(يَتَضَاغَونَ): بالضَّاد والغَين المعجمتَين، أي: يَصِيحُونَ مِنَ الجُوعِ.

(السَّنَة): العَامُ القَحِطُ الَّذِي لَمْ تُنْبِتْ الأَرْضُ فيهِ شَيئًا؛ سَواءٌ نَزَلَ غَيثٌ أَمْ لَمْ يَنْزِلْ.

(تَفُضّ الخَاتَمَ): هو بتشْديدِ الضَّادِ المُعْجَمَةِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ الوَطْءِ.

(الفَرَقُ): بفَتْحِ الفَاءِ والرَّاءِ مِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ.

(فَانْسَاحَتْ): هُوَ بالسِّينِ وَالحَاءِ المُهْمَلَتَينِ، أَيْ: تَنَحَّتِ الصَّخْرَةُ وَزَالَتْ عَنْ فَم الغَارِ.

ذَكَر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث العظيم الجليل، وهو كنزُ فوائد، وفيه فقهٌ عظيم، تضمَّنته هذه القصَّة التي ذكرها النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ويؤخذ من هذا: أنَّ القَصصَ الصادقةَ تُذكر في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأخذِ الحِكَم والاعتبار، لا لإضحاك النَّاس، ولا لتسلية النفوس؛ وإنّما تذكر للاستفادة ممَّا فيها من الحِكَم، وللاعتبار بما فيها، ولا يُعاب المتكلِّم والداعية إذا ذَكَر القصصَ الصادقةُ الصحيحةُ في دعوته إلى الله، بل هذا من الوعظ المشروع، على ألَّا يكون قصَّاصًا ولا هَزليًّا ولا مُضِحِّكًا للنَّاس، وإنَّما يكون مُرقِّقًا للقلوب، مُقرِّبًا لها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

في هذا الحديث العظيم: ذكر لنا النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصَّة ثلاثة نفر من الأمم التي كانت قبلنا؛ وفي هذا دليلٌ على أن شَرْع مَن قبلنا شرعٌ لنا، ما لم يَرِد في شرعنا ما يرفعه،

فإذا ذَكَر الله عَزَّوَجَلَّ لنا في كتابه أمرًا عن الأمم السابقة كان قد شَرَعَهُ الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يأتِ في شرعنا ما يَرفعه؛ فهو شرعٌ لنا، وإذا أخبرنا النبيُّ ﷺ عن أمر كان مشروعًا في الأمم السابقة، ولم يأتِ في شرعنا ما يَرفعه؛ فهو شرعٌ لنا؛ وبهذا يُعلم أنَّه يُشترط لكون شرعِ مَن قبلنا شرعًا لنا أمران:

الأمر الأول: أن يكون ذلك الشرع ثابتًا في القرآن والسُّنَّة، ولا يُقبل من غير هذين الطريقين، فلا تُقبل الإسرائيليات ولا غيرها في هذا الباب.

والأمر الثاني: ألَّا يكون شرعُنا قد رَفَع ذلك الشرع، فإنَّ ما جاء به محمد ﷺ ناسخٌ لِمَا كان قبله من الشرائع، فلا يُعارض ما جاء به محمَّد ﷺ من الشرائع بما جاء به نبيٌّ قبله.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»»، أي: خرجوا يسعون في عيشهم.

قال ﷺ: «حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ»، وجاء في بعض الروايات[1]: «فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ»؛ يعني: تأخَّروا إلى أن حلَّ الليل وأصابهم المطر، فرأوا غارًا «فَدَخَلُوهُ» ليبيتوا فيه، وليتَّقوا ذلك المطر. قال ﷺ: «فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ» بأمر الله، «فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ» من أَنْجَى يُنْجي، أو «يُنَجِّيكُمْ»[2] من نجَّى يُنجِّي.

(١) أخرجها البخاري رقم (٢٢١٥)، ومسلم رقم (٢٧٤٣)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) كما في البخاري رقم (٣٤٦٥)، من رواية أبي ذرٍّ الهروي، أفاده القسطلانيُّ في «إرشاد الساري» (٥/ ٤٢٧).

قالوا: «إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ»، وهذا فيه دليلٌ على أنَّ الإخلاص كان مشروعًا في الأمم السابقة، ولا شكَّ أنَّ الإخلاص ممَّا اتَّفقت عليه شرائع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم -، وأنَّ ما ينافي الإخلاص اتَّفق الأنبياء على نفيه؛ فأهل الأمم السابقة كانوا يعرفون الإخلاص، ويعرفون فضله؛ ولذلك لـمَّا ضاق السبيل بهؤلاء النفر الثلاثة بسدِّ الصخرة العظيمة عليهم فم الغار، ولا زادَ معهم، ولا قوَّة لهم على دفع هذه الصخرة، قالوا: إنَّه لا يُنجيكم من هذه الكُربة إلَّا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

وفي هذا بيانٌ: أنَّ التوسُّل إلى الله بالأعمال الصالحة توسُّل مشروع؛ فإذا أصابك كربٌ أو همٌّ ذَكَرت أصلح أعمالك، وأرجاها عندك في دعائك، فقلت مثلًا: اللهمَّ إنِّي بررتُ بأمِّي؛ فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك؛ ففرِّج عني هذا الكرب! فهذا توسُّلٌ مشروعٌ صالحٌ.

وليس هذا من باب الامتنان بالعمل؛ لأنَّ الامتنان بالعمل على الله مذمومٌ ومنهيٌّ عنه، وهو قلَّةُ أدبٍ وضعفٌ في العقل، فكيف يمتنُّ العبد الضعيف بعمل يسير على الـمُنعِم الذي أنعم عليه بجميع النعم، ومنها العمل؟! فلولا الله لما عَمِل العبد شيئًا!

ثم التوسُّل يفارق الامتنان من حيث الباعث عليهما؛ فالامتنان مصدره التعاظم والإعجاب بالعمل، فلذلك يمتنُّ على الله بهذا العمل، وأمَّا التوسُّل فمصدرُه الخضوع والتذلّل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو ذِكرٌ لصالح العمل من باب التذلّل لله، وسؤال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإنَّك لتعجب من أقوام ينتسبون إلى الإسلام، وقد وسّع الله عليهم بما شرع لهم ورغَّب فيه من وجوه الدعاء الطيب، ومن ذلك هذا التوسُّل المشروع، ثم تراهم يتركون ما شرَعَ الله إلى ما حرَّمَ الله، فيتوسَّلون بذوات الأشخاص؛ بذات زيدٍ أو بجاه عمرو من النَّاس، ويقولون: إنَّه من أولياء الله الصالحين، وقد يكون كذلك ولا يَعلم بتوسُّلِهِم، وقد مات من سنين طويلة، ولا يُقِرُّهم على هذا، فلا ينفعهم شيئًا، وقد لا يكون هذا المتوسَّل به كذلك.

ومن المنتسبين للإسلام يتوسَّلُون ببعض بالقبور توسُّلًا شركيًّا ممنوعًا، والعجب كيف أنَّهم يُتعبون أنفسهم في التوسُّل الممنوع، ولا يتقرَّبون ويتوسَّلون إلى الله بالتوسُّل المشروع المحبوب، ومنه ما ورد في هذا الحديث، وهو التوسّل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالأعمال الصالحة ؟! وإنَّك لتعجب كيف يُذِلُّ بعض المسلمين أنفسهم - جهلًا - لمخلوقين أمثالهم، وقد لا ترى عليهم علامات الصلاح؟!

وقد كنتُ مرَّةً في بلد من بلدان المسلمين، فجاء رجلٌ شديدُ الاتِّساخ في هيئته، وفي لحيته، وفي ثيابه، له رائحة منتنة جدًّا، فتهاطل بعض الناس عليه يُسلِّمون عليه ويتمسَّحون به، ويلتمسون منه البركة! وكلُّ هذا وأمثاله من مظاهر الشرك والبدعة إنَّما سببه الجهل، ومنه نعلم أن أوجب الواجبات علينا نحن طلَّاب العلم أن ندعو إلى التوحيد في كلِّ وقت، وفي كلِّ مكان، ونُحذّر الناس من الشرك بأنواعه.

قوله ﷺ: «**فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ**»؛ فهما والدان في حالة الضعف، والمعروف أنَّ الوالد إذا كان في حالة الضعف صار ثقيلًا على الولد، إن لم يُخفّف الله ذلك على قلبه بقوَّة الإيمان؛ وذلك أن الوالد إذا كبر في السنِّ

اشـتدت حاجته، وأصبح في الغالب كالطفل الصغير شديد الطلب واللَّجاجة؛ إذا طلب شيئًا كرَّر الطلب، وأصرَّ عليه.

قولـه: «وَكُنْـتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُـمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا» أي: لا أقـدِّم عليهما في شرب اللَّبن أهـلًا؛ لا زوجـةً، ولا ولدًا من الذكور، ولا بنتًا، ولا غـير ذلك، قال: «فَنأَى بِي» أي: بَعُدَ «طَلَبُ شَجَرٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا»، أصل الرَّواح: أنَّ تأوي الإبل إلى أماكنها التي تبيت فيها، ويُطلق على الذهاب في المساء الرَّواحة والرَّوحة[١].

قوله: «حَتَى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا»، الغَبوق: هو اللَّبن الذي يُشرب في اللَّيل.

قـال الرجـل: «فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَـيْنِ، فكَرِهْـتُ أَن أَغْبُقَ قَبْلَهُـمَا أَهْلًا أَوْ مَـالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَـدَحُ عَـلى يَدِي»، فيؤخذ من هذا أنَّه كان قائمًا عـلى ما قرَّره بعض أهل العلم[٢]؛ لأنَّه كان حريصًا على أن يُبعد القدح عن الأطفال حتى لا يشرب أحدٌ قبل والديه.

قـال الرجل: «أَنْتَظِرُ اسْـتِيقَاظَهُمَا حَتى بَـرِقَ الْفَجْرُ»؛ فلم يَنَم طوال الليل؛ خشـية أن يشرب أحدٌ من أهله من اللَّبن قبل والديه، وخشـية أن يسـتيقظ أحدُ والديه، فيطلب اللَّبن، فيكون نائمًا.

قال الحافـظ المنذريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةُ: «وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمِي»» أي: يتصايحون من الجوع، والمعلوم أنَّ الأبَ إذا سمِعَ بكاء ابنه يرقُّ قلبُه، ومع ذلك هذا الابن لم يرضَ أن يُسقي أحدًا قبل والديه.

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ٣٦٨ - ٣٦٩)، و«مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض (١/ ٣٠١ دار التراث، المكتبة العتيقة).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لعلي القاري (٨/ ٦٧٢) دار الفكر، ط: ١٤١٤هـ).

قوله: «فَاسْتَيْقَظَا فشَرِبَا غَبُوقَهُمَا». قال العلماء: سمَّى شراب الصباح غبوقًا باعتبار وقت الحلب، وهو أوَّلُ الليل، وإلَّا فهو هنا صبوحٌ؛ لأنَّهما شرباه بعد الفجر؛ فسمَّاه غبوقًا باعتبار وقت حلبه(١).

قوله: «اللَّهُمَّ!» أي: يا الله! «إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ؛ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ!»، وهذا وجه الشاهد، أنَّه توسَّل إلى الله بهذا العمل الذي أخلص فيه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال النبيُّ ﷺ: «فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ»، أي: انفرجت شيئًا قليلًا، هو بمقدار الثلث(٢)، فلا يستطيعون معه الخروج.

وفي هذه الجملة: بيانُ فضل برِّ الوالدين، وأنَّه من العَمَل الصالح الذي جاءت به الأنبياء قبل محمَّد ﷺ؛ فهذا الرجل توسّل ببرِّه، وكان عاملًا به.

وفي الحديث - أيضًا -: بيانُ أنَّ برَّ الوالدين من الأعمال العظيمة التي ينتفع بها المؤمن في الدنيا والآخرة إذا أراد بذلك وجه الله؛ فإنَّ بِرَّ الوالدين من الأعمال التي يُعجَّلُ ثوابُها في الدنيا ويَعظُمُ ثوابها في الآخرة، فثوابُها يراه الإنسان في دنياه بركةً وخيرًا وتيسيرًا

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٣٤١، المكتبة العلمية)، و«شرح النووي على مسلم» (١٧/ ٥٨، المطبعة المصرية)، و«الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» للكرماني (١٠/ ١٠٥، إحياء التراث العربي)، و«اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح» للبرماوي (٧/ ٢١٨ دار النوادر).

(٢) ورد هذا في رواية عند الطبراني في «الدعاء» رقم (١٩٢)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وسكت عنه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٠٨ دار المعرفة). وورد أيضًا في رواية عند ابن حبَّان (٩٦٧ باوزير)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحها الألبانيُّ في «التعليقات الحسان» (٢/ ٢٩٥-٢٩٧).

وبـرًّا من أبنائـه، ولا ينقص ذلك من الثواب في الآخرة، بل يُدَّخـر له عظيمُ الثواب عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبِـرُّ الوالديـن في ديننا من أعظم الأعمال وأوجب الواجبـات، وقد قرنه الله عَزَّوَجَلَّ بعبادتـه في آيـاتٍ كثـيرةٍ، قـال تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وبيَّنَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الولد مهما بذل من برٍّ؛ فإنَّه لا يكافئُ إحسان والده إليه، فمهما بذلت من برٍّ؛ فلا تتخيّل أنَّك قد كافأت والدك على إحسـانه، فضلًا عن كون هذا البرِّ من أوجب الواجبات عليك.

وهـذا يُعلِّمنـا أن لا نتعاظـم أيَّ بـرٍّ نقدِّمه إلى والدينا، بـل كلَّما قدَّمنا بـرًّا علمنا أنَّا مقـصِّرون فاجتهدنا في البرِّ، يقول النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَجْـزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ، إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُـوكًا فَيَشْـتَرِيَهُ فَيُعْتِقَـهُ**»(١)، فمهـما بذلت؛ لن تجـزي الوالد على إحسـانه، إلاَّ إذا وجدته عبدًا فاشتريته فأعتقته.

وبـرُّ الوالديـن طريق الجنَّة، ولـمَّا كان ذلك كذلـك؛ كان عقوقهما من أكبر الكبائر، كما أخبر بذلك النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

ومـا أحوجَنـا في هـذا الزمان الَّذي كَثُر فيـه العقوق، وقلَّ فيـه أداء الحقوق، إلى أن يُذكِّـر بعضُنا بعضًا ببرِّ الوالدين والإحسـان إليهما وصِلَتِهما بما يُمكـن، فالقريب يَصِلُهُما بالزيارة، ولا حدَّ للمدَّة بين الزيارتين، وإنَّما يُرجع في ذلك إلى أمرين:

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٥١٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) في الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٢٦٥٤)، ومسلم رقم (٨٧)، عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِـرِ؟**» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُـولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْـرَاكُ بِـاللهِ، وَعُقُـوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَـسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الـزُّورِ**»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

أمَّـا الأول: فهـو ما يُرى على الوالدين من حُـزن إذا طالت المدة، فإذا رأى الابن أنَّ والديـه يظهـر عليهما الحزن إذا غاب عنهما ثلاثـة أيام؛ فإنَّه يجعل زيارتـه لهما دون الثلاثة أيام، وهكذا؛ فيكون فقيه نفسه.

وأمَّا الثاني: فهو العُرف، فما جرى به العُرف من مدَّة الزيارة فإنَّه يُعمل به ويُرجع إليـه، ويَصِلُهُـما كذلك بالمال متذلِّـلًا لا متكبِّرًا، ويُعطيهما وهو يعتقـد أنَّ الفضل بعد الله لهـما، وأخذُهُما المال منه إحسـانٌ على إحسانهما، ويصِلُهُما بالكلام الطيِّـب الليِّن الرقيق، ومنه الدعاء، وحُسنُ النداء، فيُناديهما بما يحبَّان، ويُظهر لهما أنَّه يدعو لهما. وأمَّا البعيدُ عنهما فيَصِلُهـما بالاتِّصال بالوسـائل الموجودة اليوم، مع بذل المال، ولـين الكلام وطيبه، وغير ذلك ممَّا يُدخل السرور إلى قلب الوالدين.

وهـذا الرجـل الذي ذُكر في الحديث لم يُقدِّم أهله ولا عبيـده على والديه، وهذا من تمـام الـبرِّ وكماله، لكن في ديننا لا يُمنـع أحدٌ حقَّهُ من أجل حقِّ غـيره، بل يُعطى كلُّ ذي حـقٍّ حقَّهُ، فالرجل - مثلًا - لزوجته عليـه حقٌّ، ولذرِّيَّته عليه حقٌّ، ولوالديه عليه حقٌّ، وهما أحقُّ، فبذله لحقِّ والديه لا يعني منع زوجته حقَّها، أو منع ذرِّيَّته حقَّهم، بل من كمال مـا جـاء بـه محمَّـد ﷺ أن يُعطـى كلُّ ذي حـقٍّ حقَّـه، فتُـؤَدَّى الحقـوق بلا ضرر ولا ضرار، فيبذل الرجل حقَّ زوجته، وحقَّ أولاده، وحقَّ والديه، ويُقدِّم والديه من غير إضرار بغيرهما ممَّن له حقٌّ عليه.

ثم ذكر النبيُّ ﷺ ما قال الثاني؛ قال ﷺ: «**قَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ**»، فكان يحبُّها حبًّا شديدًا.

.....

قال: «فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا» أي: أنَّه طلبَ منها أن تُمكِّنَهُ من نفسها ليزني بها. قال: «فَامْتَنَعَتْ مِنِّي»؛ وذلك لخوفها من الله، وعِفَّتِهَا، كما تدلُّ على ذلك بقيَّةُ القصَّة.

قال: «حَتَى أَلَمَّت بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ» أي: حتى أصابتها حاجةٌ وفقرٌ، وأصلُ السَّنَة: السَّنة التي لا يكون فيها زرعٌ، وإن نَزَل مطر، فالسَّنةُ الجدباء تسمَّى سَنةً.

والمقصود أنَّ المرأة ألمَّت بها، وأصابتها حاجةٌ شديدة.

قال الرجل: «فَجَاءَتْنِي»، وجاء في بعض الروايات: أنَّها جاءته ثلاث مرَّات[1]؛ جاءته المرَّة الأولى، فسألته أن يُعينها، فاشترط عليها أن تُمكِّنه من نفسها، فذهبت ولم تَفعل، ثم جاءت المرَّة الثانية؛ فطلب منها ما طلبه في الأوَّل، فذهبت ولم تَفعل، ثم جاءت المرَّة الثالثة وقد اشتدَّت عليها الحاجة، فرضيت على أن يُعطيها مالًا.

قال: «فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ»، وهذا مالٌ كثير، وفي رواية أخرى للشيخين أنَّه أعطاها مائة دينار[2]، وكلتا الروايتين صحيحة، فجمَعَ بينهما أهلُ العلم بوجهين:

الوجه الأول: أنَّها اشترطت عليه مائة دينار، فأعطاها الشرط، وزادها من عنده عشرين دينارًا[3].

---

(١) أخرجها أحمد في «مسنده» رقم (١٨٤١٧)، والطبراني في «الكبير» (٢١/ ١٦٠-١٦٣الجريسي)، و«الأوسط» رقم (٢٣٠٧)، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححها الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٤٦٨).

(٢) أخرجها البخاري رقم (٢٢١٥)، وهي رواية لمسلم.

(٣) انظر: «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» للكرماني (١٠/ ١٠٥ إحياء التراث العربي)، و«اللامع الصبيح» للبرماوي (٧/ ٢٢٠)، و«الفتح» لابن حجر (٦/ ٥٠٩ دار المعرفة).

الوجه الثاني: قال بعضُ العلماء[١]: إنَّ الراوي الذي ذَكَر المائة قد ألغى الكسر كعادة الناس؛ فإنَّهم إذا كان الرقم يزيد على المائة دون الخمسين يقولون: مائة، وإذا كان يزيد على الخمسين يقولون: أعطيتُه مائتين، من باب جبر الكسر.

قوله: «عَلى أَنْ تُخْلِيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ»، وجاء في الروايات[٢]: أنَّ المال لم يكن عنده، بل سعى في تحصيله وتَعِب في تحصيله حتى تمكَّن من جمعه.

قال: «حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا»، وفي رواية: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا»[٣] أي: أنَّه تمكَّنَ ممَّا يريد.

قال: «قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّه»، وفي رواية: «قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ»[٤]، هذه العبارة تفيد أن هذه المرأة كانت بِكرًا؛ لأنَّها قالت: «وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ»، أي: لا تكسر الخاتم إلا بحقِّه، وهذه كنايةٌ عن البكارة، ولكن جاء في بعض الروايات[٥]: أنَّ المرأة كانت ذات زوج، وأنَّها لـمَّا اشتدَّت بهم الحاجة؛ استأذنت زوجها في أن تُجيب هذا الرجل إلى طلبه، وعلى هذه الرواية يكون معنى: «وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ» أي: لا يحلُّ لك أن تأتيني إلَّا عن حلال، وهذا الذي طلبه حرامٌ، وجاء

(١) انظر: «الفتح» (٦/ ٥٠٩)، و«عمدة القاري» للعيني (١٦/ ٥٣ إحياء التراث العربي).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم (٢٢١٥)، (٢٣٣٣)، (٣٤٦٥)، (٥٩٧٤)، و«صحيح مسلم» رقم (٢٧٤٣)، عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجها البخاري رقم (٢٢١٥)، (٣٤٦٥)، (٥٩٧٤)، عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجها البخاري رقم (٢٢١٥)، (٣٤٦٥)، عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) انظر تخريجها (ص: ٣٨).

في بعض الروايات(١): أنَّه لما علاها بَكَت تحته، فقال لها: «مَا يُبْكِيكِ»؟ قَالَتْ: «فَعَلْتُ هَـذَا مِنَ الْحَاجَةِ» أي: أنَّ هذا الأمر كان شديدًا عليها، ولولا الحاجة وحاجة صبيتها؛ لما فَعَلَت، وفي رواية(٢) قال: «فَلَمَّا كَشَفْتُهَا أَرْعَدَتْ مِنْ تَحْتِي، فَقُلْتُ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ فَقَالَتْ: أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. فَقُلْتُ لَهَا: خِفْتِيهِ فِي الشِّدَّةِ وَلَمْ أَخَفْهُ فِي الرَّخَاءِ! فَتَرَكْتُهَا»، ويمكن أن يكون هذا كلُّه قد وقَع، فإنَّه لما قَعَد بين رجليها بَكَت وانتفضت وقالت له: إني لم أفعل هذا إلا لحاجة، وإنِّي أخاف الله؛ فاتقِّ الله، ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه.

قال: «فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانصَرَفْتُ عَنهَا، وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا»؛ فترك الحرام وجَعَل المال صدقة.

قال: «اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ؛ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ! فَانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا». وفي هذه الجملة من الحديث: بيان فضيلة العفّة عن الزنا، وأنَّ حِفظ الفرج من أفضل المقامات، ومن أعظم الطاعات التي يتقرّب بها العبد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي الحديث: أنَّ مَن تيسّرت له أسباب الزنا فأعرض عنه خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ، وابتغاءَ ما عند الله؛ كان متقرِّبًا بعمل عظيمٍ جليل، وكان ثوابه عند الله عظيمًا، وقد قال

---

(١) أخرجها الطبراني في «الكبير» (٢١/ ١٦٠- ١٦٣ الجريسي)، و«الدعاء» رقم (١٨٩)، عن النعمان ابن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسكت عنها الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٠٩).

(٢) لأحمد رقم (١٨٤١٧)، والطبراني (٢١/ ١٦٣- ١٦٧)، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الهيثميُّ في «المجمع» (٨/ ١٤٢ القدسي): «رِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ». وصحَّحها الألبانيُّ في «الصحيحة» برقم (٣٤٦٨).

العلماء[1]: إنَّه كلَّما عَظُمَ الداعي إلى المعصية، وتيسّرت أسبابها، فتركها الإنسان؛ كان ذلك أحبَّ إلى الله، وأعظم في العمل، وأفضل في الثواب؛ ولهذا كان من السبعة الذين **«يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:... رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ»** الحَدِيث[2]؛ فهذا الرجل لم يطلب المرأة، بل هي التي دعته، وهذه المرأة ليست كسائر النساء، بل هي ذات منصب وجاه ومنعةٍ، وذاتُ جمال يُرغب فيها، فقال: إني أخاف الله! ولذا إذا تزخرفت المعصية للمسلم، وتيسَّرت أسبابُها، وانعدم مَن يخافه من الناس؛ يُذكِّر نفسه بأنَّ الله يراه، وأنَّ الله يحبُّ منه أن يترك هذا الفعل في هذه الحال، وأنَّه إن تركه؛ كان مقامه عند الله عَزَّوَجَلَّ أعظم من غيره، فمراعاة هذا الأمر يُعينه على ترك المعاصي.

وبالمقابل يقول العلماء[3]: كلَّما ضَعُفَ الداعي إلى المعصية كان فِعلُها أقبح، وذنبها أعظم، وعقوبتها أكبر؛ ولذا جاء في الحديث الصحيح: **«ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»**؛ ثلاثةٌ لهم هذا العقاب الشديد، لا يكلِّمهم الله يوم القيامة تكليمَ رحمة، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم، وهم: **«أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهُ لَهُ بِضَاعَةً؛ فَلا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ، وَلا يَشْتَرِي إِلا بِيَمِينِهِ»**[4]، والشاهد في قول النبيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«أُشَيْمِطٌ زَانٍ»**، أي أنَّه شيخٌ عجوز

(١) انظر: «فتح الباري» لابن رجب الحنبلي (٦/ ٤٩ الغرباء الأثرية)، و«الفتح» (٢/ ١٤٥ - ١٤٦).
(٢) أخرجه البخاري رقم (١٤٢٣)، ومسلم رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٣) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (٣/ ٥٧١ دار الوطن)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٨/ ١٤ مجمع الملك فهد)، و«تيسير اللطيف المنان» للسعدي (ص: ٢٢٠ وزارة الأوقاف).
(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٦١١١)، و«الأوسط» رقم (٥٥٧٧)، و«الصغير» رقم (٨٢١)، =

كبير قد ظهر عليه الضعف، ومع ذلك يزني؛ فهو أشد قُبحًا مِن زنى مَن كان دونه. والآخر «عَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»، أي: فقير ليس عنده شيءٌ، ويتكبَّر على الناس، ويتعالى عليهم؛ فليس عنده ما يدعوه إلى الكبر ومع ذلك يتكبّر؛ فكان عقابه أشدَّ من عقاب غيره من المتكبرين.

ويقول العلماء أيضًا[1]: إذا تيسرَّ للإنسان الحلال المُغني عن الحرام؛ كان فعلُ الحرام منه أقبحُ من فِعل غيره ممَّن لم يتيسَّر له الحلال، فالرجل الذي له زوجة ويسعى -والعياذ بالله- في الزنا زناه أقبح من البكر؛ ولذا كانت عقوبة الثيِّب المتزوج إذا زنى الرجم حتى الموت، وكانت عقوبة البكر جلد مائة وتغريب عام.

كذلك قال العلماء[2]: إذا عَرَف الرجل عِظَم الشيء المُحرَّم، وعظيم تأثيره؛ كان فِعله للحرام أقبح من فِعل غيره؛ ولذلك الرجل إذا تزوَّج، وعَرَف شدّة غيرة الرجل على عرضه، ثم طلَّق - مثلًا - ثم زنى؛ فإنَّه ثيِّب ويُرجم. قالوا: لأنَّه عَرَف النساء، وعَرَف ما يكون على الرجل من عيب، وألم، ومفسدة إذا انتُهك عرضه.

الشاهد: أنَّ الله يُبغض المعصية كلّها، لكن المعاصي يشتدُّ قُبحها في بعض الأحوال، كما أن تركها يَعظُمُ في بعض الأحوال.

= والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٤٥١١)، من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٧٢).

(١) انظر: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٢/ ٨٣، ٨٤ دار الكتب العلمية)، و«الجواب الكافي» (ص١٩٥ عالم الفوائد)، لابن القيم، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لعلي القاري (٨/ ٨٣١)، و«التنوير شرح الجامع الصحيح» للصنعاني (٩/ ٤٦٧ دار السلام).

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ١٧٦ الكتب العلمية)، و«إرشاد الساري» للقسطلاني (٥/ ٣٦٥).

ويؤخذ من هذه الجملة في الحديث: أنَّ من بذَل مقدِّمات الحرام ثم تركه خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ، وتركه لربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ أنَّه لا يؤاخذ بالمقدِّمات، بل تركُه يحُبُّ تلك المقدِّمات؛ فهذا الرجل سعى في الزنا، وبذل الأسباب ثم ترك ذلك خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ، فلم يؤاخَذ بالمقدِّمات، وإنَّما كان عمله صالحًا، ورأى أثره في الدنيا لَمَّا توسَّل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بهذا العمل الصالح العظيم.

ويؤخذ من هذا الحديث: أنَّه ينبغي على الإنسان أن يُعوِّدَ نفسه على العفَّة، وأن يُربِّي أبناءه وبناته عليها، وعلى البُعد عن الزنا، ومن ذلك تربية الصغار على العفَّة؛ كالتفريق بين البنات والذكور في المبيت إذا بلغوا سبع سنين، فيُفرَّق بينهم في المضاجع[1]، وتعويد الفتاة على الحجاب، وتدريبها عليه بالتمرين الطيِّب، والكلم الطيِّب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ»» أي: أنَّه استأجر عمَّالًا.

قال: «وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الذِي لَهُ وَذَهَبَ»، جاء في بعض الروايات[2] ما يدلُّ على أنَّه تركه زاهدًا فيه، وهذا له أسباب: إمَّا لقلَّته في عينه، وإمَّا لرداءته، كأن كان مخلوطًا من الذُّرَة والأُرز معًا، كما سنشير -إن شاء الله-، وإمَّا أنَّه كان يرى أنَّه يستحقُّ أكثر من هذا؛ كما جاء في بعض الروايات: أنَّ هذا الرجل قد استأجر

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه أحمد رقم (٦٦٨٩)، وأبو داود رقم (٤٩٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ». والحديث في «صحيح أبي داود» للألباني رقم (٥٠٩)، وقال: حسن صحيح.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم (٥٩٨٤)، و«صحيح مسلم» رقم (٢٧٤٣).

.....

أجراء من أوَّل النهار لكلِّ واحد منهم نصفُ درهم[١]، ويجمع بين الروايات أنه استأجرهم على أن لكلِّ واحدٍ منهم فَرَقًا من أُرز أو ذُرة يساوي نصف درهم[٢]، ثم جاء رجلٌ في نصف النهار فاستأجره، فعَمِل واجتهد بعمل رجلين، فلمَّا جاء آخر النهار؛ رأى أن يُعطيه كسائر الأجراء، فغضب أحد الأجراء وقال: «أَعْطَيْتَ هَذَا مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَنِي وَلَمْ يَعْمَلْ إِلاَّ نِصْفَ النَّهَارِ»؟! فقال له صاحب العمل: «يَا عَبْدَ اللهِ! لَمْ أَبْخَسْكَ شَيْئًا مِنْ شَرْطِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ مَالِي أَحْكُمُ فِيهِ بِمَا شِئْتُ. فَغَضِبَ وَذَهَبَ وَتَرَكَ أَجْرَهُ»[٣].

وجاء تحديد الأجر في بعض الروايات: أنَّه نصف درهم، وجاء في بعضها: أنه فَرَق من ذُرة، وجاء في بعضها: أنَّه فَرَق من أُرْزٍ أو أُرُز، وكلاهما صحيح، والفَرَق مكيالٌ يَسَع ثلاثة آصع، وجمع العلماء بين هذه الروايات التي ذكر فيها نصف درهم والفَرَق؛ فقالوا: كان قيمة الفَرَق حينئذ بنصف درهم[٤].

وهل هو فَرَق ذُرة أو فَرَق من أرز؟ قالوا: كلا الروايتين صحيح، فجَمَع بينهما بعضُ أهل العلم بأنَّ هذا من باب تسمية الحبوب ببعضها من باب التوسُّع، فالأرز حبٌّ والذرة حبٌّ، وجَمَعَ بينهما بعض أهل العلم بأن الفَرَق كان مخلوطًا منهما، فهو من ذرة وأرز[٥]، وهذا أولى في الجمع. والله أعلم.

---

(١) كما في «الدعاء» للطبراني (١٩٦)، من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وسكت عنه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٠٧).

(٢) «الفتح» (٦/ ٥٠٧).

(٣) ورد هذا في رواية النُّعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد تقدَّم تخريجها.

(٤) انظر: «الفتح» (٦/ ٥٠٧).

(٥) انظر: «الفتح» (٥/ ١٧) و(٦/ ٥٠٧)، و«عمدة القاري» للعيني (٢٢/ ٨٦).

قال: «فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ»، ثمَّره أي: نمَّاه، وقد جاء في الروايات[١] أنه زَرَع له ذاك الفَرَق مفردًا فأثمر، فزرعه مرَّة أخرى فأثمر، ثمَّ اشترى من نَتَاجِهِ بقرًا، واشترى راعيًا لها عبدًا، ثم اشترى من نتاج البقر غنمًا وإبلًا؛ لأنَّه جاء في بعض الروايات - كما في الرواية الأخرى في الباب - أنَّه قال: « فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ إِلَى أَنِ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ»، وفي الرواية الأولى في الباب: أنَّه كثُرت منه الأموال من الإبل والبقر والغنم والرقيق.

قال بعض أهل العلم[٢]: الرواية التي ذكر فيها البقر فقط، هي من باب التغليب، يعني أنَّ أكثر الأموال كانت من البقر، وإن وُجِد إبل وغنم.

وقال بعض أهل العلم[٣]: أولَّ ما اشترى من ثمر الزرع بقرًا، ثم أنتجت هذه الأبقار، فاشترى إبلًا وغنمًا، حتى كَثُرت الأموال.

قال الرجل: «فجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ والْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ! فقَالَ: يَا عَبْدَ الله، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي!» يريد: أنَّ أجري فرَق من أرز، فكيف صار كلَّ هذا ! «فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا». وفي هذا دليلٌ على أنَّ الرجل لم يطلب منه شيئًا مقابل تعبه، ليس فقط أنَّه ثمَّره له، بل ثمَّره له وتَعِب فيه، ولم يأخذ في مقابل ذلك شيئًا، بل أخذ صاحب الفَرَق المال كلَّه، ولم يترك منه شيئًا.

---

(١) انظر: «الفتح» (٦/ ٥٠٧ - ٥٠٨).

(٢) انظر: «الفتح» (٦/ ٥٠٨).

(٣) انظر: «الفتح» (٦/ ٥٠٨).

.....

قال: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ؛ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»؛ فهذا الرجل توسَّل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالأمانة والإحسان، فهو ليس أمينًا فقط، بل أمينٌ محسنٌ؛ لأنَّه حَفِظ أجر الأجير ولم يضيّعه، بل وثمَّره ونمَّاه وتَعِب في ذلك ولم يأخذ منه شيئًا.

وفي هذا الحديث: فضيلة الأمانة، وفضيلة أداء الأجور إلى الأجراء، وفضيلة الإحسان إلى الناس؛ وهو من أفضل الأخلاق، وقد يكون بالكلمة، وقد يكون بالعمل، وقد يكون بالدلالة، وقد يكون بكفِّ الأذى، فكلُّ هذا من الإحسان.

والمصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنَّما ذَكَر هذا الحديث في «كتاب الإخلاص» ليبيِّن أنَّ الإنسان إنَّما يُقبَل منه العمل إذا كان مُخلصًا فيه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنَّ العبرة ليست بِكِبَرِ العمل ولا بصِغَره، وإنَّما العبرة بالإخلاص، فرُبَّ عَمَل صغير كبَّرته النِّيَّة الصالحة، ورُبَّ عمل كبير أذهبته النِّيَّة الفاسدة؛ فهؤلاء الثلاثة مع صلاح أعمالهم في الظاهر وعِظَمِها إنَّما توسَّلوا إلى الله بإخلاصهم فيها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولذا يقول العلماء: إنَّ الإخلاص روح العمل[1].

ثم أورد المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ روايةً أخرى للحديث، نعلِّق عليها تعليقًا يسيرًا:

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، فَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ**». هذا دليلٌ على أنَّهم أدركهم المبيت، ونَزَل عليهم المطر، فاحتاجوا إلى الغار للأمرين؛ ليتَّقوا المطر، وليبيتوا في الغار.

---

(١) انظر: «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم (ص: ١٠ دار الحديث)، و«فيض القدير» للمُناوي (٦/ ٣٠١).

.....

قولـه ﷺ: «فَـأَوَوْا إِلَى غَـارٍ، فَانْطَبَـقَ عَلَيْهِـمْ»، قد فُسِّرَ هـذا الانطباق في الحديث الآخر بأنَّ صخرةً عظيمة انحدرت، فسدت عليهم الغار(١).

وقولـه ﷺ: «فَانْطَبَـقَ» يدلُّ على إحكام الصخرة لفم الغار، وأنَّه لم يبقَ منه فُرجة.

قولـه ﷺ: «فَقَـالَ بَعْضُهُـمْ لِبَعْـضٍ: إِنَّـهُ وَاللَّهِ يَـا هَـؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّـدْقُ». المقصـود بالصـدق هنا: الإخـلاص، والإخلاص صـدقٌ؛ لأنَّ العبد يكون صادقًا في عمله.

قوله: «فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ» بفتح الألف وضم الراء، أو أُرُز بضـم الألـف، أو أُرْز بضم الألف وإسـكان الراء، وهذا دليلٌ عـلى أنَّ الأرز كان معروفًا في الأمم السابقة، وأنَّ الصحابة ﷺ كانوا يعرفون الأرز.

فإن قال قائل: مادام أنَّهم يعرفون الأرز، فلما لِمَ يذكروه في صدقة الفطر؟

الجـواب: لم يذكروه؛ لأنَّه لم يكن من غالب طعامهـم الذي كانوا يَطعَمونه في زمن النبيِّ ﷺ، وإلا فقد كان معروفًا عندهم.

قولـه ﷺ: «فَذَهَبَ وَتَرَكَـهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَـرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِـنْ أَمْرِهِ إِلَى أَنِ اشْـتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُـبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَـرِ؛ فَإِنَّهَـا مِـنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَـاقَهَا»، قد بيَّنَّا فيما تقدَّم وجـه الجمع بين الروايتين في كون الأجر أصبح بقرًا، أو أصبح بقرًا وغنمًا وإبلًا ورقيقًا.

(١) انظر: «الفتح» (٦/ ٥٠٦ - ٥٠٧).

.....

قوله ﷺ: «فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ»، انساحت أي: توسَّعت، ومنه تسمَّى الساحة؛ لأنَّها تكون واسعة.

❁❁❁

٣- وَعَنْ أَبِي فِرَاسٍ - رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ -، قَالَ: نَادَى رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِخْلَاصُ».

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ»؛ فَنَادَى رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «إِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ». قَالَ: فَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِخْلَاصُ». قَالَ: فَمَا الْيَقِينُ؟ قَالَ: «التَّصْدِيقُ».

رَوَاهُ الْبَيْهَقِي(١)، وَهُوَ مُرْسَل(٢).

قال الألبانيُّ: صحيح.

هذا الحديث رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، ورواه أيضًا ابنُ بشران في «أماليه»(٣)، وقد ذَكَر المنذريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه مرسل(٤)، وكان الشيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يذكر هذا الحديث في الطبعات الأولى من كتاب «صحيح الترغيب والترهيب»، ثم عندما وقف على بعض الكتب؛ تبيَّن له أنَّ الحديث صحيح، فذكره في الطبعات اللَّاحقة(٥)، وقد راجعتُ إسناد

---

(١) «شعب الإيمان» رقم (٦٤٤١، ٦٤٤٢).

(٢) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «كذا قال! ومعناه أن (أبا فراس الأسلمي) لا صحبة له. وهذا ممَّا لا قائل به، بل هو مذكور في الصحابة دون خلاف أعلمُه، وإنما اختلفوا هل هو (ربيعة بن كعب الأسلمي) أم غيره؟ رجَّح الثاني ابنُ عبد البرّ وابنُ حجر، وعليه؛ فالحديث متَّصل، ورجاله كلهم ثقات، فالإسناد صحيح».

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٦٤٤١، ٦٤٤٢)، عن أبي فراس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بزيادة لفظة: «بالقيامة» بعد قوله ﷺ: «التصديق».

وأخرجه ابنُ بشران في «أماليه» ضمن حديث طويل، برقم (٣٠٨ العزازي)، عن أبي فراس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، باللفظ الثاني - الذي أورده المصنف - بزيادة لفظة: «بالقيامة» بعد قوله ﷺ: «التصديق».

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٢ دار الكتب العلمية).

(٥) انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني (١/ ١٠٤ مكتبة المعارف).

الحديث، وكلام أهل العلم عليه، فلم أجد من تكلَّم على الحديث - بحسَب تتبُّعي - إلَّا المنذريَّ والشيخ الألبانيَّ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، لكن الإسناد عند النظر فيه يظهر أنَّه صحيح.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَعَنْ أَبِي فِرَاسٍ -رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ-» هو صحابيٌّ، وقد جزم الشيخ الألبانيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ بذلك في هذا الكتاب.

قَالَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «نَادَى رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟»؛ الإيمانُ في النصوص: إمَّا أن يَرِدَ مفرَدًا، وإمَّا أن يَرِدَ مقرونًا بالعمل الصالح، وإمَّا أن يَرِد مقرونًا بالإسلام؛ فإن ورَدَ الإيمان مفردًا فهو يشمل الدِّين كلَّه، وهو الذي أجمعت كلمة السلف على أنَّه: قولٌ باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، فلا يوجد خلافٌ بين السلف في هذا، وأنَّ الإيمان إذا أُطلق فهو قولٌ باللسان؛ وهو الإتيان بالشهادتين بشروطها، واعتقادٌ بالقلب، وعمل بالجوارح والأركان، فلا يوجد عند السلف إيمانٌ يخلو من عملٍ إلَّا عند ضيق الوقت، كأن يتشهَّد فيموت، أو عند العذر؛ بحيث يندرس العلم، ولا يبقى إلَّا معرفة التوحيد، وليس صحيحًا قولُ من قال: أنَّ هذه المسألة خلافيَّةٌ بين السلف، بل السلف جميعًا - كما نقل ابنُ عبد البرِّ، والبخاريُّ وغيرُهما - على أنَّ الإيمان قول واعتقاد وعمل[1]، فمَن خلا عن العمل مطلقًا مع القدرة، وعدم العذر؛ فليس بمؤمن عند السلف أجمعين؛ لأنَّهم لـمَّا أجمعوا على أنَّ الإيمان قول واعتقاد وعمل؛ علمنا أنَّه لا يوجد الإيمان إلا بهذه الأمور الثلاثة.

---

(١) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١/ ٣٦١ - ٣٦٣، ٣٦٦، دار النصيحة)، و«التمهيد» لابن عبد البر (٩/ ٢٣٨ الأوقاف المغربية)، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٣٠، وما بعدها)، و«الفتح» (١/ ٤٧).

وإن قُرن الإيمان بالعمل الصالح؛ فهذا من باب ذِكر الخاصِّ بعد ذِكر العامِّ؛ لأن العمل الصالح من الإيمان، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١-٣]، فالعمل من الإيمان، ولكنه ذُكر من باب ذِكر الخاصِّ بعد العامِّ؛ تنويهًا به حتَّى لا يظنَّ ظانٌّ أنَّ العمل ليس من الإيمان، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، فالرُّوح هو جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو من الملائكة.

أمَّا إذا قُرن الإيمانُ بالإسلام؛ فإنَّه يُراد به الأعمال القلبية؛ كما في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1] الذي فيه السؤال عن الإسلام، وعن الإيمان، وهذا الحديث الذي معنا هو من هذا النوع؛ فقد قُرن الإيمان بالإسلام كما في اللَّفظ الآخر.

قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ**». فَنَادَى رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «**إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ**»». هذان ركنان من أركان الإسلام، وقبلهما الشهادتان، وبعدهما صوم رمضان وحجُّ البيت، ويظهر أنَّ هذا السؤال كان قبل إيجاب صوم رمضان وإيجاب الحجِّ، فأجاب النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما كان قائمًا، وهو إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فهذه الأعمال الظاهرة.

قال: (قَالَ: فَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الْإِخْلَاصُ**»)، الإخلاص عمل قلبيٌّ، والإيمان إذا قُرن مع الإسلام فهو عمل القلب، ومعناه: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠)، ومسلم رقم (٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم كذلك برقم (٨)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

.....

وقولُ النبيِّ ﷺ في الإيمان أنَّه «**الْإِخْلاصُ**» هو كقوله ﷺ: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»[1]، فليس الحجُّ كلُّه عرفة، ولكن للتنويه بشأن عرفة، فالإخلاص أعظم مقامات الإيمان، وهو من أعمال القلب.

قال: (قَالَ: فَمَا الْيَقِينُ؟ قَالَ: «التَّصْدِيقُ»)، سقط عند المصنِّف هذا الحرف: «بِالْقِيَامَةِ»، واليقين: هو العلم الجازم الذي لا يُخالطه شكٌّ ولا ريب، واليقينُ بالله عَزَّوَجَلَّ: هو العلم الجازم الَّذي لا يخالطه شكٌّ ولا ريبٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والعلم الجازم بوعد الله ووعيده، والجزم بربوبيَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتفرُّده بالربوبيَّة، والقيام بحقِّ الله بإخلاص العبادة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن صدَّق خَبَر الله، وآمن بالله حقًّا وصدقًا، واعترف لله بالربوبيَّة، وحقَّق لله العبودية فهو المُوقن، وهذه أعلى درجات الكمال أن يكون العبد مُوقنًا.

وفسَّره النَّبيُّ ﷺ هنا بالتَّصديق بالقيامة.

والشاهد من الحديث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ عظَّم شأن الإخلاص حتى جعله كأنَّه الإيمانُ كلُّه، وفي هذا دليلٌ على فضيلة الإخلاص وعلى تعظيمه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد رقم (١٨٧٧٤)، وأبو داود رقم (١٩٤٩)، والترمذيُّ رقم (٨٨٩، ٨٩٠، ٢٩٧٥)، والنَّسائيُّ رقم (٣٠١٦، ٣٠٤٤)، وابنُ ماجه (٣٠١٥)، عن عبد الرحمن ابن يعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذيُّ: «حسن صحيح». وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» رقم (١٠٦٤).

٤- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ثَلاثٌ لا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ يُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ».

رَوَاهُ البزَّار[1] بإسنَادٍ حَسَنٍ.

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

٥- وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَيَأْتِي فِي «سَمَاعِ الْحَدِيثِ» إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

قَالَ الحَافِظُ عَبْدُ العَظِيمِ:

«وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، والنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَأَبِي قِرْصَافَةَ جَنْدَرَةَ بْنِ خَيْشَنَةَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَبَعْضُ أَسَانِيدِهِمْ صَحِيحٌ»[2].

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ.

هذا الحديث من جهة متنه رواه الإمام أحمد وابنُ ماجه والترمذيُّ والشافعيُّ وابن حبَّان والطبرانيُّ والحاكم وصحَّحه ابن حبَّان[3] رَحِمَهُ اللهُ، وقال ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) رقم (١٤١، كشف).

(٢) قال الشيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قلت: وهو كما قال، وقد ساق أكثر طرقه الحافظ ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (١/ ٢٣٨ - ٢٤٢)، وسيأتي الحديث عن بعضهم في (٣- العلم/ ٢ - الترغيب في سماع الحديث)».

(٣) انظر: «موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر» للحافظ ابن حجر (١/ ٣٦٣- ٣٧٨ الرشد)، و«قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة - بتعليق خالد الميس-» للسُّيوطي (ص: ٢٨-٣٠ المكتب الإسلامي)، و«نظم المتناثر» للكتَّاني (ص: ٣٣ - ٣٤)، و«دراسة حديث: =

«ثابت»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المشهور في السنن»، وصحَّحه ابنُ القيم، وصحَّحه ابنُ حجر، والسُّيوطيُّ والسَّفارينيُّ، وقد صحَّحه الشيخ ناصر الدين الألبانيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ[١]، وقال الوادعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد: «صحيح رجاله ثقات»[٢]؛ فالحديث صحيح.

وقول النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا**»، هذا دعاءٌ من النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعنى «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا**» أي: نَعَّمَ الله وجهه، وخصَّه بالسرور والبهجة[٣]؛ وفي هذا دليلٌ على أنَّ نقل حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سببٌ لنور الوجه وللسعادة وللسرور، فمن أسباب السعادة أن تعتني بأحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن تحرص على حملها، فإنَّ هذا سبب لأن يشرح الله صدرك؛ ولذا يُشرع لكلِّ مسلم أن يحرص على حِفظ ما يستطيع من أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إنَّ نعومة الوجه تكون في الدنيا والآخرة:

أمَّا في الدنيا: فشيء يُرى في الوجه كالنور، وسرور في القلب.

= نضَّر الله امرأً سمع مقالتي» للشيخ عبد المحسن العبَّاد البدر.

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البرِّ (٢١/ ٢٧٥ الأوقاف المغربية)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ١٨)، و«مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٧١ الكتب العلمية)، و«موافقة الخبر الخبر» لابن حجر (١/ ٣٦٣، وما بعدها)، و«قطف الأزهار المتناثرة» للسيوطي (ص: ٢٨)، و«لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية» للسفاريني (١/ ٣٥٦-٣٥٧ مكتبة الرشد)، والتعليق على «مشكاة المصابيح» رقم (٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١)، و«السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (٤٠٤).

(٢) «الجامع الصحيح فيما ليس في الصحيحين» للوادعي (١/ ١١-١٢ مكتبة ابن تيمية، والعلم).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٧١)، و«معالم السنن» للخطَّابي (٤/ ١٨٧)، و«مرقاة المفاتيح» لعلي القاري (١/ ٣٠٦).

وأمَّا في الآخرة: فجمالٌ يظهر في الوجه سببُه النعيم، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من أهل ذلك النعيم.

قوله ﷺ: «سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا» أي: سمِعَهَا فضَبَطَها وحَفِظَها.

وقوله ﷺ: «فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»: فيه أنَّ حامل الحديث محمودٌ على كل حال، فهو إمَّا فقيه: فيُحمد لكونه حاملًا للحديث وفقيهًا، وإمَّا غير فقيه: فيُحمد لكونه حاملًا لحديث رسول الله ﷺ؛ فيكون سببًا في حفظه ونقله، فيتفقَّه فيه الفقيه.

وفي هذا فضيلة لأهل الحديث الذين يعتنون به، وردٌّ على الأقزام الذين يحملون على مَن يحمل أحاديث رسول الله ﷺ في هذا الزمان، فإذا قيل لهم: إنَّ فلانًا يحفظ أحاديث البخاري، قالوا: زادت نسخة! استهزاءً وتقليلًا! ونحن نقول: هذا الحافظ قد دَخَل في من دعا لهم رسول الله ﷺ بالنَّضارة، في هذا الحديث.

ولا شكَّ أنَّ طلَّاب العلم الذين يحفظون الحديث ويعتنون به في هذا الزمن، لحفظهم فوائد كثيرة؛ منها:

❁ بقاء السند الذي هو من خصائص هذه الأمّة.

❁ ومنها: أنَّهم يُذكّرون العلماء بألفاظ الأحاديث أحيانًا، فقد يحتاج العالم إلى لفظ حديث، فلا يستحضره، فيذكِّره به طالبُ العلم الحافظ لهذا الحديث.

ولا شكَّ أن سنَّة حبيبنا ونبيِّنا وإمامنا محمَّد ﷺ تثور عليها الزوابع في هذا العصر عصر الجهل، فهناك من يطالب - والعياذ بالله - بإحراق كتب السنن؛ يريد

أن تعيش الأمَّة في ظلام! فإن سنَّة النبيِّ ﷺ هي ككتاب الله؛ نورٌ للأمَّة، وقد قال النبيُّ ﷺ «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(١)، وبعضهم يتطاول على المحدِّثين كالبخاريِّ ومسلم، وهذا ضلالٌ مبين، وإن لم تأخذ الأمَّة والأئمَّة على أيدي هؤلاء السفهاء؛ فإنَّه يُخشى على الأمَّة من هذا الذنب العظيم، الذي أصبح يُنادى به على المنابر الإعلامية وغيرها، وحقيقٌ بنا أن نهتمَّ بالسُّنَّة حِفظًا وعملًا، وأن ننشر ذلك بين الناس.

وفي الحديث: أن المُحدِّث قد لا يكون فقيهًا، وهذا لا يضرُّه، بل هو محمود، وفيه أيضًا: أنَّ الفقيه قد لا يكون مُحدِّثًا.

وفيه: أن فَهم الحديث يحتاج إلى الفقه، وقد يكون فَهم الفقيه للحديث أدقَّ من فَهم المحدِّث؛ فقد جاء في رواية: «فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»(٢)، وفي هذه الرواية التي معنا: «فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»، وهذا لا يضرُّ الجميع، بل كما كان الأمر في زمن السلف الصالح رضي الله عنهم ينتفع العالم من العالم، ويأمر العالم النَّاس بالأخذ عن العالم الآخر، وهذا كان خُلق السلف رضي الله عنه.

قولُه ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ» ضبطها العلماء بضبطين:

الأوَّل: «لَا يُغِلُّ» (بضم الياء وكسر الغين)، ومعناها: لا يَخُون.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٧١٧٤)، وأبو داود رقم (٤٦٠٤)، من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه. وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه على «المشكاة» رقم (١٦٣).

(٢) أخرجها أحمد رقم (٢١٥٩٠)، وأبو داود رقم (٣٦٦٠)، والترمذي رقم (٢٦٥٦)، وابن ماجه رقم (٢٣٠)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن».

الثاني: «لَا يَغِلُّ» (بفتح الياء وكسر الغين)، ومعناها: لا يَحقد ولا تدخله الشحناء[١].

ومعنى هذه الجملة: «ثَلَاثٌ لا يُغِلُّ - أو يَغِلُّ- عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ»، قال بعض العلماء[٢]: معنى هذا أنَّ القلب الذي يعتقد هذه الثلاث، ويعمل بها، صاحبُهُ لا يدخله حقدٌ ولا خيانة بل يكون سليمًا من هذه الأمراض، وغيرها من أمراض القلوب. بمعنى: أنَّ هذه الثلاث مُزكّيات لقلب المؤمن، فمن اعتقدها وأقرَّ بها، وعَمِل بها؛ فقلبه مبرّأٌ وسليمٌ من الخيانة، ومن الحقد، ومن أمراض القلوب.

وقال بعض أهل العلم[٣]: معنى هذه الجملة: أنَّ قلب المؤمن لا يحقد، ولا تدخله الشحناء، ولا يخون في هذه الثلاث. وكلا المعنيين صحيح، المؤمن يُقرُّ بهذه الثلاث ويعتقدها ولا يرفضها ولا يُبغضها ولا يخون فيها، وإذا فَعَل هذا فإنَّ الله يُبرِّئُ قلبه من الخيانة والشحناء، ومن سائر أمراض القلوب.

وقد قال العلماء: إنَّ المسلم يختبر قلبه بثلاثٍ، وثلاثٍ؛ كلُّهنَّ وردنَ في أحاديث الرسول ﷺ؛ أمَّا الثلاث الأُوَل: فهي الَّتي جاءت في هذا الحديث: «إِخْلَاصُ

(١) انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٣٨١)، و«الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٢/ ٦٨٤ الباز).
(٢) انظر: «التمهيد» (٢١/ ٢٧٧ الأوقاف المغربية)، و«الكاشف عن حقائق السنن» للطِّيبي (٢/ ٦٨٤)، و«مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٧٢ الكتب العلمية)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ١١٧ الأرناؤوط)، و«مرقاة المفاتيح» لعلي القاري (١/ ٣٠٦ - ٣٠٧)، و«حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (١/ ١٠٣ الجيل).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٨/ ٥٢) و(٣٥/ ٨)، و«المُيسَّر في شرح مصابيح السنَّة» للتوربشتي (١/ ١٠٨ الباز)، و«الكاشف عن حقائق السنن» (٢/ ٦٨٤)، و«مرقاة المفاتيح» (١/ ٣٠٦ - ٣٠٧).

الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ»، فإن وَجَد هذه الثلاث في قلبه مستقيات، وفي عمله صالحات فإنَّه ينظر إلى ثلاث أُخر ذكرهن النبيُّ ﷺ في قوله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[١]؛ فهذه الثلاث الأخرى التي يختبر بها القلب؛ «أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»، فيكون حبُّ الله عَزَّوَجَلَّ مقدَّمًا في قلبه على حبِّ كل محبوب، ويكون حبُّ النبيِّ ﷺ في قلبه مقدَّمًا على حبِّ كل مخلوق، ويُصدِّق ذلك بالعمل.

وقوله ﷺ: «**وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**»، فليست هناك دنيا تدعوه إلى حبِّه، وإنَّما يحبُّه لأنَّه قريبٌ من الله مطيعٌ لله، مُتَّقٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقوله ﷺ: «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»، قال العلماء: ويُلحق به أن يكره أن يعود في كبائر الذنوب بعد أن أنقذه الله منها وسلَّمه منها، كما يكره أن يُقذف في النَّار[٢].

فإذا وَجَد المسلم هذه السِّتَّ في قلبه؛ فليُبشر بالخير، فإنَّ هذا علامة سلامة القلب وصحَّته، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ برَّأه من العيوب والأمراض، فعلى كلِّ واحدٍ منَّا أن يُراجع قلبه في هذه السِّتِّ، وأن يرى مكانه منها، فإن وَجَد خيرًا فليحمد الله، وليعلم أنَّ الفضل كلَّه لله، وأنَّ الذي هداه لهذا إنَّما هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيزداد انكسارًا وتواضعًا لله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٦)، ومسلم رقم (٤٣) واللفظ له، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: «منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري» لحمزة محمد قاسم (١/ ٩٥ دار البيان والمؤيد).

وإحسانًا، وإن وَجَد خللًا فيهنَّ أو في واحدة منهنَّ؛ فليعالج قلبه، وليراجع نفسه، حتَّى يكون من عباد الله المتَّقين المحقِّقين لهذه السِّت.

قوله ﷺ: «**إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ**»: فيه فضيلة الإخلاص، وهذا وجه الشاهد من الحديث، وهو يدلُّ على أنَّ الإخلاص لله من أفضل الأعمال، وأزكاها وأطيبها وأعلاها.

وقوله ﷺ: «**وَالْمُنَاصَحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**»، النَّصِيحَةُ: أحدُ أعمدة الدِّين، إذ الدِّين يقوم على أعمدة؛ منها النصيحة؛ ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قالها النَّبيُّ ﷺ ثلاثًا، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[1].

ولا شكَّ أنَّ النُّصحَ لأئمَّة المسلمين، ووُلَاة أمورهم من الأمراء والحكَّام، وهم الأصل والعلماء مِن أعظم الشعائر في هذا الدِّين، وقد نصَّ العلماء[2]: على أن مَن استطاع أن يصِلَ إلى الحاكم ويُجالسه ورجا أن يسمع منه أنَّه يجب عليه وجوبًا مؤكَّدًا أن يُناصحه، وأن يُرشده إلى الخير ويحذِّره من الشرِّ، فإذا خَرَج إلى النَّاس وَجَب عليه أن ينصح له بأن يَجمع قلوب الناس عليه ويَحفظ هيبته، ويَحثَّ الناس على طاعته، فإذا لقي الحاكم كان للنَّاس ناصحًا وللحاكم مرشدًا له، محذِّرًا له من الظلم والبغي ومن الفساد، فإذا خَرَج من عند الحاكم نَصَح للحاكم أمام الناس، بحفظ هيبته، والأمر بطاعته، وجمع القلوب

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٥٥) دون تكرار عبارة «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ثلاثًا، وأخرجه أحمد رقم (١٦٩٤٧)، وأبو داود رقم (٤٩٤٤)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٧٣)، من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: «الإرواء» للألباني رقم (٢٦).

(٢) انظر: «التمهيد» (٢١/ ٢٨٥)، و«الاستذكار» (٨/ ٥٧٩، الكتب العلمية)، لابن عبد البر.

.....

عليه، وهذا مقامٌ كريم لا يكون إلا لـمُخلص؛ لأنَّه لا حظَّ فيه من الدنيا؛ لأنَّ الشخص الـذي إذا دَخَـل على الحاكم فناصحه، وبـيَّن له وحذَّره؛ لن ينال بذلـك حظوة دنيوية في غالـب الأحوال مـن الحاكم، وإذا خَرَج إلى الناس فأمرهـم بطاعة الحاكم في غير معصية الله، وجَمَـع القلـوب عليه؛ لن ينال حظوة في قلوب كثـير من الناس؛ ولهذا كان هذا المقام مقام المتَّقين الصِّدِّيقين.

وقيَّـد العلماء كالإمام مالك[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وُجُوب نصـح الحاكم إذا وَصَل إليه بما إذا رجا أن يَسمع منه، أمَّا إذا لم يرجُ هذا بل خشي أن يطغى ويتجبَّر ويزيد عتوًّا، أو أن يضرَّه ضررًا متعدِّيًا؛ فإنَّه لا يجب عليه أن يُناصحه في تلك الحال.

ومناصحـة أئمَّة المسـلمين فريضـةٌ يجب معها أن تُحفـظ هيبةُ السـلطان؛ فإنَّ إكرام السلطان من إجلال الله[2] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجْمَع القلوب على السلطان من مقاصد الشريعة؛ ولذلك قال العلماء: النصح للحاكم لا يخلو من حالين:

الحالـة الأولى: أن يكـون نُصحًـا في أمـر مُعلَـن يُفعـل بحضرة الحاكـم، فهنا قال العلماء[3]: إذا رجا المسـلم أن يسمع منه الحاكم، وأَمِنَ فتنة قلوب العامَّة؛ فإنَّه يُنكر عليه

---

(١) انظـر: «التمهيـد» (٢١/ ٢٨٥) و(٢٣/ ٢٨٢ - ٢٨٤)، و«جامـع العلـوم والحكـم» لابن رجب (٢/ ٢٤٩ الأرنؤوط).

(٢) لما أخرجـه أبـو داود رقـم (٤٨٤٣)، عَنْ أَبِي مُوسَـى الْأَشْـعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِـنْ إِجْـلَالِ اللهِ إِكْـرَامَ ذِي الشَّـيْبَةِ الْمُسْـلِمِ، وَحَامِـلِ الْقُـرْآنِ غَـيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**». والحديث حسَّنه الألبانيُّ في التعليق على «المشكاة» رقم (٤٩٧٢).

(٣) انظر: «التمهيد» (٢١/ ٢٨٥)، و«شرح النووي» (٢/ ٢٢)، و(١٨/ ١١٨).

في مكانه علنًا، هذا إذا كان المنكر معلنًا والحاكم حاضرًا، وهذا ما فَعَله بعضُ الصحابة رضي الله عنهم.

أمَّا إذا غلب على ظنِّه أنَّه لن يسمع منه، بل ويتمادى؛ فلا ينكر عليه، فعلى سبيل المثال: لو أنَّ الحاكم أحضر في مجلسه آلات الموسيقى والمغنِّين، وحضر عالمٌ هذا المجلس، فخاف أنَّه إذا أنكر عليه؛ طغى وازداد شرًّا، أو فَعَل معه هذا مرَّةً، فقال هذا الحاكم: اجعلوه في كلِّ حفل؛ فإنَّه لا يُنكر عليه؛ لأنَّ المقصود من الإنكار: إزالة المنكر أو تخفيفه، أمَّا إذا كان يترتَّب عليه زيادةُ المنكر؛ فلا يُشرع الإنكار إذ ذاك، كذلك إذا خاف الفتنة على العامَّة؛ فإنَّ قلوب العامَّة قد يدخلها - إذا أنكر العالم على الإمام علنًا في هذه الحالة التي قيّدناها - فتنةٌ ونُفرةٌ عن وليِّ الأمر؛ فهنا يؤخِّر العالمُ الإنكار إلى مكان آخر.

الحالة الثانية: أن يُعمل المنكرُ، وسواءً كان في العلن أو في الخفاء، فيراه العالم أو يسمعه أو يبلغه، ولم يكن الإمام حاضرًا؛ فهنا لا يجوز أن يُنكَر المنكر على العلن على المنابر، وفي كراسي الدروس ونحوها؛ لأنَّ الواجب إذ ذاك أن يُنكَرَ خُفية؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ لِذِي سُلْطَانٍ؛ فَلا يُكَلِّمْهُ بِهَا عَلانِيَةً، وَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَلْيَخْلُ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا قَبِلَهَا، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي لَهُ وَالَّذِي عَلَيْهِ**»[1]. رواه أحمد، والطبراني وغيرهما، وهو صحيح بمجموع طرقه، فهنا بيّن النبي

(١) أخرجه أحمد رقم (٤٨٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٠٩٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» رقم (١٦٦٦٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٦٧ ابن تيمية)، من حديث عياض بن غَنم رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني في «ظلال الجنة» رقم (١٠٩٦).

.....

ﷺ أنَّ النصيحة لولي الأمر إنَّما تكون خفية فيما بين الناصح وولي الأمر ولا تكون علانية.

قال أهل السُّنَّة: والحكمة في هذا حِفظُ هيبة السلطان حتى لا تجرؤ العامَّة عليه، وعلى معصيته في غير معصية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذًا المناصحة لأئمَّة المسلمين شعيرة عظيمة من شعائر الدِّين، ولا تزال الأمّة بخير ما ناصح العلماء الأمراء، وقَبِل الأمراء من العلماء، ولكن بالطرق الشرعية التي تحقّق المصلحة وتدفع المفسدة.

ثم قال ﷺ: «وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ»، لزوم الجماعة فضيلةٌ من فضائل هذا الدِّين، وشعيرةٌ من شعائره، فلزوم الجماعة ليس سياسة، وليس عادة دنيوية، وإنَّما هو من شعائر الدِّين.

والاعتصام بحبل الله ولزوم جماعة المسلمين من أعظم واجبات الدِّين، فيجب على العبد أن يلزم جماعة المسلمين، وأن يحثَّ المسلمين على لزومها؛ والعلماء يقولون: لا جماعة إلا بإمام، فإنَّ حال الجماعة لا يستقيم، والاجتماع لا يتحقَّق إلا بوجود الإمام، ولا إمام إلَّا بسمع وطاعة في غير معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[1].

ثم قال النبيُّ ﷺ: «فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ يُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»، وفي رواية[2]: «مَنْ

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩٠)، «الدرر السنية» (٩/ ١٧)، و(٩/ ٦١ الطبعة السادسة).

(٢) لأبي يعلى في «المعجم» رقم (٢١٩) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحافظ في «موافقة الخبر الخبر» (١/ ٣٦٥): «رجال إسناده كلهم كوفيون موثقون».

وَرَاءَهُمْ»، وفي رواية[١]: «فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»، وفي رواية[٢]: «فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ»[٣].

قوله: «فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ» هنا يحتمل معنيين:

المعنى الأوَّل: الدعاء الشرعي المعروف، وهو سؤالُ الله عَزَّوَجَلَّ، فيكون معنى الحديث: فإنَّ دعاء المسلمين في الجماعة يكون كالسُّور محيطًا حول الجماعة تُحفَظ به الجماعة، ففي دعائهم حفظٌ لهذه الجماعة.

المعنى الثاني: الدعاء بمعنى النداء، «فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ» يعني: فإنَّ نداءهم يُحيط من ورائهم، يعني أن نداءهم بالبيعة والسمع والطاعة لوليِّ الأمر يحيط من ورائِهم أو يحيط مَن وراءَهم، فيلزم الجميعَ إذا نادى العلماء وأهلُ الحَلِّ والعقد بالبيعة، أن يبايعوا، وليس لأحد خيرة في هذا الأمر، وهذا الذي قرَّره الحافظ ابن عبد البرِّ[٤]؛ أعني أن دعوة أهل السُّنَّة من أهل العلم وأهل الشأن إلى مبايعة الإمام، والسمع والطاعة، تجب طاعتها على جميع المؤمنين الذين يدخلون تحت هذه البيعة، وليس لأحد خيرة في التخلُّف عنها.

وكلا المعنَيين صحيح؛ فإنَّ دعاء المسلمين وسؤال الله وهم في جماعتهم يُرجى أن يُجاب، وأن تُحفظ به الجماعة وتُصان، وإنَّ دعاء أهل العلم ونداءهم بالبيعة لوليِّ الأمر واجبٌ أن يُستَمَع له.

---

(١) لأحمد رقم (٢١٥٩٠)، ابن حبَّان في «صحيحه» رقم (٦٧)، والطبراني في «الكبير» رقم (٤٨٩٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (١٦٠٦)، عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححها الألباني في «التعليقات الحسان» رقم (٦٧).

(٢) للدارمي في «سننه» رقم (٢٣٥)، عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح» (١/ ٣٠٧).

(٤) انظر: «التمهيد» (٢١/ ٢٧٧ - ٢٧٨).

....

وقولـه: «مِنْ وَرَائِهِمْ»، عـلى أن «مِن» جارَّة، وفي بعض الروايـات: «مَنْ وَرَاءَهُمْ» بــ «مَن» الموصولـة، والمعنى: الدعاء يُحيط مَن وراءَهم أي: يُحيـط النَّاسَ الذين هم وراء هذه الجماعة، أي: منها، وهم داخلون فيها[1].

فهذه – باختصار – معاني هذا الحديث العظيم الَّذي مُلِئَ خيرًا ونُصحًا لهذه الأمَّة، والشاهد للباب ما يتعلَّق بفضل الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❀ ❀ ❀

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ١٢٢)، و«الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٢/ ٦٨٥)، «مرقاة المفاتيح» (١/ ٤٨٦ – ٤٨٧).

٦- وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا؛ بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ[1]، وَهُوَ فِي البُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ دُونَ ذِكْرِ الإِخْلَاصِ[2].

قال الألبانيُّ: صحيح.

هذا الحديث العظيم: «عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» يعني: عن سعد ابن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وأوَّلُ من رمى بسهم في سبيل الله[3]، وفدَّاه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوالديه[4]، وكان من أمهر الرُّماة، فظنَّ أنَّ له فضلًا على مَن دونه من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني أنَّه ظنَّ أنَّه يستحقُّ زيادةً من الغنيمة أكثر من غيره من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك لقوَّته ومهارته، وقد جاءت روايةٌ فيها ضعفٌ عند عبد الرزاق وأحمد[5]: «أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) أخرجه النسائي رقم (٣١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٨٩٦).
وأخرجه أحمد رقم (١٤٩٣)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٢٢٤٩)، وفي إسناديهما ضعفٌ، سيأتي بيانه.

(٣) روى البخاري رقم (٦٤٥٣)، ومسلم رقم (٢٩٦٦)، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ» الحَدِيثَ.

(٤) أخرج البخاريُّ رقم (٤٠٥٨)، ومسلم رقم (٢٤١١)، عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي».

(٥) أخرجها عبد الرَّزاق في «المصنَّف» رقم (٩٦٩١)، وأحمد رقم (١٤٩٣)، عن سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإسناده منقطع؛ مكحولٌ عن سعد بن أبي وقاص مرسل، كما في «جامع التحصيل» للعلائي (ص: ٢٨٥ عالم الكتب).
ولهذه الرواية طريق أخرى شديدة الضعف، عند الطبراني في «الأوسط» رقم (٢٢٤٩) و«الصغير» رقم (١٢٣) عن سعد نحوه. قال الطبراني: «لَمْ يَرْوِهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ إِلَّا عَبْدُ الحَمِيدِ، تَفَرَّدَ بِهِ مُعَلَّى =

.....

أَرَأَيْتَ رَجُلًا يَكُونُ حَامِيَةَ الْقَوْمِ، وَيَدْفَعُ عَنْ أَصْحَابِهِ، أَيَكُونُ نَصِيبُهُ كَنَصِيبِ غَيْرِهِ؟»؛ فهذا - وإن كان ضعيفًا - إلا أنَّه يفسِّر المراد هنا في هذا الحديث.

إذًا ماذا قال النبيُّ ﷺ؟

قال ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا»، وانظر! لـمَّا أدلى سعدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوَّته؛ قابله النبيُّ ﷺ بالمقابل، فقال: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا» أي: يا سعد؛ إن كنت قويًّا، وفُضِّلتَ بالقوَّة؛ فالضعيف أيضًا ينصر الله به هذه الأمَّة.

وفي هذا حثٌّ على التواضع، وأنَّ العبد مهما حصَّل لابدَّ أن يُدرك أنَّ في غيره من المسلمين خيرًا، وقد يكون نفعُه أكثر من نفعه.

وفي هذا - أيضًا - أنَّ العبرة ليست بالصور ولا بالأجساد؛ ولكن العبرة بصلاح الأعمال، فرُبَّ ضعيفٍ في بدنه، ضعيفٍ في مقامه لا يُلتفت إليه، يسبق الأغنياء، ويسبق الوجهاء؛ لأنَّه مُتَّقٍ لله عَزَّوَجَلَّ، وأكرمُ هذه الأمَّة أتقاها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله ﷺ: «بِدَعْوَتِهِمْ» هكذا بضمير الجمع، رغم أنَّه كان من المنتظر أن يقول: بدعوته؛ على أنَّ الضمير يعود إلى قوله «بِضَعِيفِهَا» - وهو مفرَد - من قوله ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا». قال العلماء[1]: أعاد الضمير جمعًا؛ لأنَّ الضعيف هنا اسم جنس وهو مضاف، فيشمل كلَّ ضعيفٍ، واسمُ الجنس المضاف

= ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»، و«معلَّى» هذا اتَّهمه غير واحد بالوضع والكذب، انظر: «الميزان» للذهبي (٤/ ١٤٩ المعرفة).

(١) انظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (٤/ ٢١٠ دار السلام).

يَعُمُّ، والعامُّ شامل، والشُّمول يدلُّ على الجمع، فجاز أن يعود ضميرُ الجمع هنا على المفرد بهذا الاعتبار.

قوله ﷺ: «بِدَعْوَتِهِمْ» أي: بدعائهم أن يَنصُر الله الأمَّة.

قوله ﷺ: «وَصَلَاتِهِمْ» أي: بصلاتهم التي مُلئت إخلاصًا، وخشوعًا وإقبالًا بالقلب على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله ﷺ: «وَإِخْلَاصِهِمْ»، هذا وجه الشاهد للباب، وفيه فضيلة الإخلاص.

فإن قال قائلٌ: لماذا خصَّ النبيُّ ﷺ الضعفاء بالنصر في هذا الحديث، مع أنَّ الأقوياء في أجسادهم وفي أموالهم يدعون كما يدعو الضعفاء، ويصلُّون كما يصلِّي الضعفاء، ويخلصون كما يخلص الضعفاء، فلماذا خصَّ النبيُّ ﷺ الضعفاء بهذا؟

قالوا: لأنَّ الضعيف لا تُشغله الدنيا، فيكون أقرب إلى الخشوع، وأقرب إلى الإخلاص في صلاته وعبادته، فهو قليل الدنيا، بخلاف من كان متوسِّعًا في الدنيا؛ فإن قلبه قد ينشغل بدنياه[1].

وفي هذا الحديث: بيانُ أنَّ الأمَّة كما تُنصر بالقوَّة والأقوياء كذلك تُنصر بالضعفاء، وتُنصر بالعبادة والإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولذلك قال العلماء: أركان النصر للأمَّة والعزَّة والتمكين ستَّة:

❁ عبادة خالصة خاشعة.

---

(١) انظر: «الفتح» (٦/ ٨٩)، و«التيسير بشرح الجامع الصغير» للمناوي (٢/ ٤٨٠ مكتبة الإمام الشافعي)، و«عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعظيم آبادي (٧/ ١٨٤ الكتب العلمية).

.....

❁ وقوَّة دافعة.

❁ وإمامٌ يُسمَعُ له ويُطاع.

❁ وعلمٌ نافع.

❁ وأمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر.

❁ وجماعةٌ متَّحدة غير متفرِّقة.

هـذه أركان النـصر والعزَّة والتمكين، ومَن كان يريد أن يُسـهِمَ في إعادة العزَّة لهذه الأمّة؛ فعليه بهذه الأمور الستَّة.

١ - **عبـادة خالصـة خاشـعة**: فلو أنَّ الأمَّة اجتهدت في إحسـان عبادتهـا لله متَّبعةً لرسول الله ﷺ، متبرِّئة من البدع، مقبلة على عباداتها بقلوبها؛ لزرع الله مهابتها في قلوب الأعداء، واللهِ لو أنَّ الأمّة انتظمت في مسـاجدها؛ وحافظت على إقامة الصلوات فيها؛ وخاصَّة في الفجر، وفي العشاء، تعبُدُ الله مخلصةً متَّبعة مُقبلة على الله في هذه العبادة؛ لهابها الأعداء من كلِّ مكان.

٢ - **وقوَّةٌ دافعة**: فلابدَّ للمسـلمين من قـوَّة، ولا يُكتفى بالعبادة؛ ولذلك أمرنا الله بأن نُعِدَّ القوَّة.

٣- **وإمامٌ يُسمَع له ويُطاع**: فإنَّه لا عزَّة ولا قوَّة لجماعة لا يَستقِرُّ لها إمام، تتلاعب بأئمَّتهـا كـما يتلاعـب الصبيـان بالكرة، كلَّـما أرادوا أن يخرجـوا على إمام خرجـوا عليه، هاتفين ومردِّدين بإسقاطه، فإنَّ هذا يُطمع أعداءها فيها، ويُذهب عزَّتها وقوَّتها؛ ولذلك

.....

الناصح الحقُّ لأمَّته يسعى في استقرار البلاد على وليِّ أمرها، ويسعى في إصلاح وليِّ الأمر بما يستطيع، كما تقدَّم معنا في مناصحة أئمَّة المسلمين.

٤- **وعلمٌ نافع**: لأن الأمَّة لا تستقيم لها عبادتها، ولا تَلزَمُ جماعتَها، ولا تُطيع إمامها، إلا إذا نُشر العلم، وتصدَّر العلماء وبيَّنوا وأوضحوا ونصحوا.

٥- **وأمرٌ بالمعروف ونهي عن المنكر**: فإنَّ هذا ممَّا يُقوِّي الأمَّة وتُزرع به المهابة في قلوب الأعداء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

٦- **وجماعةٌ متَّحدة غير متفرِّقة**: فإن هذه أركان العزَّة والقوَّة، فيجب علينا جميعًا أن نسعى في تحصيلها بما نستطيع.

قال المنذريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ، وَهُوَ فِي البُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ دُونَ ذِكْرِ الإِخْلَاصِ»، الحديث في البخاري[1]: عن مصعب بن سعد، قَالَ: رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**»؛ فهذه الرواية فسَّرتها الرواية الَّتي ذكرها المصنِّف، فبيَّنت أنَّنا ننتصر بالضعفاء؛ بدعوتهم وصلاتهم الخاشعة الخالصة وإخلاصهم، وأنَّنا نُرزق بهم؛ فبدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم، يُوسِّع الله علينا في الرزق.

وفي هذا الحديث - كما تقدَّم -: أنَّ المسلمين يَجب عليهم أن يُكرِمَ بعضُهم بعضًا، وأن لا يحتقر مسلمٌ مسلمًا، فإنَّه إن زاد عليه في شيء؛ فإنَّ أخاه قد يزيد عليه في شيء آخر.

---

(١) رقم (٢٨٩٦).

.....

وفي الحديث أيضًا: أنَّ العبادة إنَّما يَعظُم أثرها، وتزيد بركتها الخاصَّة والعامَّة بمقدار الإقبال فيها على الله، فكلَّما كان القلب مُقبلًا على الله في هذه العبادة؛ ازداد ثوابُها يوم القيامة، وعَظُمَت بركتُها على فاعلها وعلى المسلمين في الدنيا، ومن هنا نعرف لِمَا قلَّ تأثيرُ العبادات في قلوبنا؛ فإنَّ ربَّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥]، لكن نَجِدُ أنَّ كثيرًا من المسلمين يُصلُّون، ولا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر إلَّا قليلًا! لأنه وإن قلَّ أثر تلك الصلاة إلا أنَّه لابدَّ أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر، وأقلُّ ذلك أن تنهى المصلِّي عن الفحشاء والمنكر حال الصلاة؛ كما يقول أهل العلم[1]، فإنَّه حال الصلاة ينتهي عن فعل الفحشاء والمنكر، ثمَّ يتفاضل الناس، فمن الناس مَن تنهاه صلاتُه عن الفحشاء والمنكر من حين سيره إلى المسجد، إلى أن يعود منه فقط، ومن الناس مَن تنهاه صلاتُه عن الفحشاء والمنكر وقت ما بين الصلاتين، فإذا صلَّى الظهر بقي أثرُها عليه فنهته عن الفحشاء والمنكر حتى يصلِّي العصر، فإذا صلَّى العصر نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر حتَّى يصلِّي المغرب وهكذا، لكن نَجِد أنَّ كثيرًا من المسلمين يصلُّون، ولا يجدون أثرًا كبيرًا لصلاتهم في قلوبهم، وهكذا في سائر العبادات، والسِّرُّ في ذلك هو قوَّة إقبال القلب أو ضعفُه، فليس الشأن أن تَفعل، ولكن الشأن أن تُقبِلَ بجوارحك كلِّها ظاهرًا وباطنًا، فكثيرٌ منَّا في الصلاة مثلًا إذا قال: (الله أكبر) وكبَّر؛ ذهبَ قلبُه من الصلاة، ولا يدري أنَّه يصلِّي، ويقوم ويَقعُدُ مع الإمام مؤتمًّا بالصوت فقط، ولربَّما لا يدري هل هذه الركعة الثانية أو الثالثة أو الرابعة، ولا يصحو إلا عند قول الإمام: (السلام عليكم ورحمة الله)؛ فهذا ما أقبَلَ على الصلاة

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٤١٠ - ٤١١ هجر)، و«تفسير البغوي» (٦/ ٢٤٥ طيبة)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٦/ ٢٨٠ سلامة).

بقلبـه، وإن كانت صلاتـه صحيحةً تبرأ بها الذمَّة، لكنها قليلـة البركة، قليلة الأجر، فإذا أردتَ أن يكون لعبادتك أثرٌ في قلبك، في حياتك، في بيتك، في ذرِّيَّتك؛ فاجتهِد في إصلاح قلبك، فأَقبِل على الله في صلاتك بخشـوع وجاهد نفسك على ذلك ولا تفتُر؛ لأن إبليس يأتيـك ويقول لـك: اُذكُر كذا، اُذكُر كذا لِمَا لم تكن تذكـر، فينبغي أن تُجاهده، فإذا خطف منك خطفة؛ فلتكن منك الرجعة سريعًا، وعُد وجاهد، وهذه جنَّةٌ لمن وفَّقه الله إليها.

ووجـه هـذا في الحديـث: أنَّ النبيَّ ﷺ خـصَّ الضعفاء بالدعـوة والصلاة والإخلاص؛ وذلك لما في أفعالهم من إقبالٍ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

٧- وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ؛ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي. يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ إِلَّا مَا خَلُصَ لَهُ، وَلَا تَقُولُوا: هَذِهِ لِلهِ وَلِلرَّحِمِ؛ فَإِنَّهَا لِلرَّحِمِ، وَلَيْسَ لِلهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا تَقُولُوا: هَذِهِ لِلهِ وَلِوُجُوهِكُمْ؛ فَإِنَّهَا لِوُجُوهِكُمْ، وَلَيْسَ لِلهِ مِنْهَا شَيْءٌ».

رَوَاهُ البَزَّارُ(١) بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ، وَالبَيْهَقِيُّ(٢).

قَالَ الحَافِظُ: «لَكِنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ مُخْتَلَفٌ فِي صُحْبَتِهِ».

قال الألبانيُّ: صحيح لغيره.

هذا الحديث راويه الضحَّاك بنُ قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال فيه المنذريُّ: إنَّه مختلفٌ في صحبته، والحقُّ: أنَّ العلماء لم يختلفوا في صُحبته، بل هم متَّفقون على أنَّه صحابيٌّ صغير(٣)، وإنَّما اختلفوا كم كان عمره عند وفاة النبيِّ ﷺ، فقال كثيرٌ منهم: كان عمره ثماني سنواتٍ، واختلفوا هل سَمِعَ من النبيِّ ﷺ أو لم يسمع؟ فأثبتَ له كثيرٌ من العلماء السماع؛ لأنَّه روى عن النبيِّ ﷺ، واستبعدَ بعضُ أهل العلم أن يكون قد سَمِع

---

(١) رقم (٣٥٦٤، كشف).

(٢) في «شعب الإيمان» رقم (٦٤١٧)، و«الضياء في «المختارة» رقم (٩٢، خضر).

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلت: لكن قال الهيثمي في رواية البزار: «وفيه إبراهيم بن مجشر، وثَّقه ابن حبان وغيره، وفيه ضعف».

قلت: لكن تابعه سعيد بنُ سليمان الواسطي، وهو ثقةٌ، وقفت عليه في بعض المخطوطات، فبادرتُ إلى إخراجه في «سلسلة الصحيحة» برقم (٢٧٦٤)، ولذلك نقلتُه من «ضعيف الترغيب» إلى هنا، وهو من فوائد هذه الطبعة، والحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات».

(٣) انظر: «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي (٧/ ٢٤ الفاروق الحديثة)، و«الإصابة» لابن حجر (٣/ ٣٨٨ الكتب العلمية).

من النبيِّ ﷺ؛ لصِغَر سِنِّهِ، ولا بُعد في هذا[١]! فالصحيح أنَّه سَمِع، ولو سلَّمنا أنَّه لم يسمع؛ فإنَّ هذا الخلاف لا يضرُّ؛ لأنَّ الصحابيَّ إذا لم يكن سَمِعَ من النبيِّ ﷺ؛ فإنَّه يكون سَمِع من صحابيٍّ آخر، والصحابةُ رضي الله عنهم كلُّهم عُدولٌ، فلا يضرُّ إذا لم نَعلم الصحابيَّ الذي سَمِع من النبيِّ ﷺ، ونَقَل لنا حديثه صحابيٌّ آخر[٢].

قال المنذريُّ رحمه الله: (وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ»)؛ فهذا الحديث من رواية النبيِّ ﷺ عن ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله عَزَّوَجَلَّ: «أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ»، سيأتي بيانُه - إن شاء الله -.

قوله عَزَّوَجَلَّ: «فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ شَرِيكًا؛ فَهُوَ لِشَرِيكِي»، معناه: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُشرَك معه أحدٌ، فمَن عَمِل عملًا أشركَ فيه مع الله غيرَه؛ فهو لِمَن أشرك، وليس لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منه شيءٌ، وسيأتي - إن شاء الله - بسطُ مسائل تتعلَّق بهذا.

ثم قال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ إِلَّا مَا خَلُصَ لَهُ». وهذا وجه الشاهد، أنَّ النبيَّ ﷺ أَمَر الناس بإخلاص العمل لله، وبيَّنَ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يَقبلُ من العمل إلَّا ما كان له خالصًا، فلا يقبل اللهُ العملَ، ولا يُثيبُ عليه إلَّا إذا كان خالصًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم قال ﷺ: «وَلَا تَقُولُوا: هَذِهِ لِلهِ وَلِلرَّحِمِ» أي: إذا وصلتم أرحامكم،

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٧٤٥ الجيل)، و«أسد الغابة» لابن الأثير الجزري (٣/ ٤٩ - ٥٠ الكتب العلمية)، و«الإصابة» لابن حجر رقم (٤١٨٩ الكتب العلمية).

(٢) انظر: «النكت على ابن الصلاح» لابن حجر (٢/ ٥٢٠ الإمام أحمد)، و«فتح المغيث» للسخاوي (١/ ١٩٢ - ١٩٣ مكتبة السنة).

.....

فلا تقولوا: هذه لله وللرَحِم، أي بالقصد، وليس المراد هنا قول اللسان، وإنَّما المراد قصد القلب، أي لا تقصدوا بهذه الصلة وجهَ الله والرحِم، وإنَّما أخلصوا قصدَكم لله.

ثم اعلم أن الإنسان إذا قال: هذه لله وللرحِم، كمن تصدَّق بصدقة على أخيه أو ابن عمِّه، وقال: هذه الصدقة لله وللرحِم -، فلا يخلو الأمر من ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: أن يقصد بقوله: وللرحِم أي: لصلة الرحِم، يقول: أنا أتصدَّق عليك بهذه الصدقة لله، ولصلة الرحِم، وصلة الرحِم عَملٌ مشروع يُقصد به وجهُ الله؛ فهنا لا إشكال في هذا ولا يضرُّ، فكأنَّه يقول: أنا أتصدَّق وأصِلُ الرحِم، كما قال النبيُّ ﷺ فيها: «**هِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»(١)، فيكون القصد بقوله: للرحِم أي: لصلة الرحِم، وهو عَملٌ يُبتغى به وجهُ الله، فهذا لا يُنافي الإخلاص.

الحالة الثانية: أن يقول: هذه لله وللرحِم أي: لذات الرَّحِم، وهنا يُشَرِّكُ في نيَّته بين إرادة وجه الله وإرادة أمر دنيويٍّ، فهنا إذا كان الأصل الباعث إرادة وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكانت إرادة هذا الأمر الدنيوي داخلةً ضمن أو بعد إرادة وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالتحقيق: أنَّها تُنقص الأجر ولا تُبطل العمل، مثل ذلك: من تصدَّق بصدقة لله ولرحمه، يريد أمرًا دنيويًّا منهم، كصلة دنيوية ونحو ذلك، فهنا يكون شرَّكَ بين إرادة وجه الله وإرادة الدنيا، فإن كان القصد الأصليُّ إرادةَ وجه الله عَزَّوَجَلَّ، ثم تَبِعَ ذلك في الإرادة إرادةُ هذه الرحِم؛ فهذا على التحقيق - وسيأتي إن شاء الله - يُنقِص الأجر، ولا يُبطل العمل.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٧٨٨٣)، والترمذي رقم (٦٥٨)، والنسائي رقم (٢٥٨٢)، وابن ماجه رقم (١٨٤٤)، عن سلمان بن عامر الضَّبِّيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حديث حسن». وحسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء» رقم (٨٨٣).

الحالة الثالثة: أن يريد بقوله: هذه للهِ وللرحِم، وجه الله، ويريد أيضًا مدح أهل رحِمه له، بقولهم: هو واصلٌ، فيكون مريدًا لهذا قصدًا، فهذا تشريكٌ بالرياء، وهو مبطل للعمل، وهذا هو المراد هنا.

قال ﷺ: «**فَإِنَّهَا لِلرَّحِمِ، وَلَيْسَ لِلهِ مِنْهَا شَيْءٌ**»؛ فإن التشريك بالرياء: هو أن يعمل العبد العمل يريد حَمدَ الناس، كمن يتصدَّق ليحمده الناس، ويصلِّي ليحمده الناس، فمعنى الحديث أن يقول قصدًا: هذه لله يريدُ وجه الله، وللرحِم يريدُ أن يمدحه ويحمده أهلُ رحمه، فهذا تشريك في الرياء، وهو يُبطل العمل. وسيأتي زيادة تفصيل في بابه إن شاء الله تَعَالَىٰ.

ثم قال ﷺ: «**وَلَا تَقُولُوا: هَذَا لِلهِ وَلِوُجُوهِكُمْ**»، فإن بذلتم شيئًا كأن تنازلتم عن حقٍّ لكم، فلا تقولوا لأقوامكم: هذه لله ولوجوهكم، كقول القائل: أنا أتنازل لله ومن أجلكم، وأتنازل لله وتقديرًا لكم، فهنا إذا أراد بها أن هذا العمل لله وتقديرًا لكم، يعني: أتقرَّب بهذا إلى الله؛ فهذا لا يضرُّ. مثال ذلك: طالبان حدثت بينهما خصومة، فجاء الشيخ إلى من له الحق وقال: يا فلان سامح أخاك، وتنازل عنه، ولا تقطعه، فقال: لله، ولأجلك يا شيخ، أعفو عنه، وهو يريد بقوله: لأجلك، أي: تقديرًا لك، أتقرَّب بهذا إلى الله، وتقديرُ الشيخ عملٌ صالح، فإذا كان يريد بهذا وجه الله؛ فلا يضرُّ، أمَّا إذا قال: هذه لله ولوجهك يا شيخ وتقديرًا لك، وهو يريد أن يحصل من الشيخ على أمر دنيوي؛ فهذا التشريك بإرادة الدنيا، وهو مُنقص للأجر ولا يحبط العمل، وقد ذكرنا حُكمه قريبًا، وسنبسطه - إن شاء الله -.

.....

أمَّـا إذا كان قصـد الفاعل أن هذا العمل لله، ويريد أن يحمده الشـيخ، ويمدحه بين أصحابـه بذلـك، فيقول: فلان حصل بينـه وبين أخيه خصومة، وتنـازل عن أخيه، فهذا القصد مُحبطٌ للعمل، وهو رياءٌ.

فإن قيل: هل يُشترط مع القصد قولُ اللسان؟

الجـواب: ليـس شرطًا، وإنما العبرة بقصد القلب، فلو أنَّه قَصَدَ هذا قصدًا، ولم يقل كلمةً؛ فإن الحُكم على ما هو عليه ولا يتغيَّر، فالعبرة بالنيَّة وقصد القلب.

❁ ❁ ❁

٨- وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، وَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ».

رَوَاهُ أَبُو دُاودَ والنَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ(١)، وَسَتَأْتِي أَحَادِيثُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ فِي «الجِهَادِ» إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

قال الألبانيُّ: حسن.

هذا الحديث رواه النسائيُّ، ولم يروه أبو داود(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حَكَم عليه المنذريُّ بأنَّ إسناده جيِّد، وأيضًا الحافظ ابنُ رجب(٣)، وهو كما قالوا، فالحديث صحيحٌ ثابت.

قال ﷺ: «وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا»، يعني: أخبرني عن حُكم رجل غزا...

وقوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «غَزَا»، الغزوة هي التي تكون مع رسول الله ﷺ، فهذا العَمَل من حيث الظاهر لا شكَّ فيه؛ لأنه غزو مع رسول الله ﷺ.

---

(١) قال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو كما قال، لكن عزوه إلى أبي داود وهْم، فإنه لم يروه في «سننه» كما يدل عليه صنيع أبي البركات في «المنتقى»، والعراقي في «تخريج الإحياء»، والنابلسي في «ذخائر المواريث».

(٢) أخرجه النسائي رقم (٣١٤٠)، عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وأبو داود إنَّما أخرجه برقم (٢٥١٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا أَجْرَ لَهُ» الحديث. دون قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ». وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» رقم (٢٢٧٢).

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٨١)، و«السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (٥٢).

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟» أي: يطلبُ بغزوه الأجر من الله، والذكر من الناس، فهو يرائي الناس مع ابتغائه وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَيْءَ لَهُ») هذا، مع أنَّه غزا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يريد وجه الله، لكنَّه لمَّا كان مع إرادته وجه الله يريد مدح الناس؛ لم يكن له شيء.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ» أي أعاد النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوابه ثلاث مرَّات: «لَا شَيْءَ لَهُ».

ثم قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»**. وهذا نصٌّ صريحٌ في أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل العمل - مهما كانت صورته - إلَّا مع الإخلاص، والعمل إمَّا أنَّه من باب العبادات، وإمَّا أنَّه من باب العادات؛

فأمَّا العمل من باب العبادات: فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يَقبله إلا بإخلاص، ولا تبرأ به الذمَّة إلا بإخلاص، بمعنى أنه لا يصحُّ إلا بإخلاص، ولا يسقط من الذمَّة إلا بإخلاص، فهذا معنى القبول هنا، فلو أنَّ رجلًا - والعياذ بالله - دَخَل المسجد فرأى شيخًا أو أميرًا أو تاجرًا أو رجلًا يريد أن يَخطُب ابنته، فلمَّا رآه أجمَعَ قلبه على مُراءاته، فكبَّر يريد أن يراه هذا الوجيه أو هذا الرجل، وأظهر الخشوع، فإنَّ صلاته باطلة، ولا تبرأ ذمَّتُه منها، ويجب عليه أن يعيد الصلاة.

وأمَّا إن كان العمل دنيويًّا: فإن الله لا يُثيب عليه إلَّا إذا ابتُغي به وجهُه، فإذا ابتُغي به وجهُه؛ فإنَّ الله يُثيب عليه، فالإنسان الذي ينام لحاجته الإنسانية؛ لا إثم عليه في

نومه ولا ثواب له، لكن لو أنَّ الإنسان نوى بنومه أن يتقوَّى على طاعة الله، أو أن يَسلَمَ من حرام؛ فإنَّه يُثاب عليه؛ لأنه ابتغى بذلك وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

٩- وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى».

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ(١) بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ(٢).

قال الألبانيُّ: حسن لغيره.

والحديث صحَّحه السُّيوطيُّ(٣)، وحسَّنه لغيره الألبانيُّ(٤).

قال ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ**» يعني: مطرودة مُبعَدة حقيرة، لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وهؤلاء المُغتَرُّون - الذين يَمدحون الكفَّار بما عندهم من الدنيا - مساكين جَهَلة، فإنَّ الدنيا ملعونة مطرودة حقيرة لا تساوي شيئًا، ولو كانت تساوي عند الله شيئًا؛ لما سقى كافرًا منها شربة ماء.

قال ﷺ: «**مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ**»، فالمحمود في الدنيا هو ما ابتُغي به وجهُ الله عَزَّوَجَلَّ، وما عدا ذلك فحقيرٌ مُبعَدٌ لا خير فيه؛ لأنَّه إمَّا أن يُشغل عن الخير، وإمَّا أن يكون شرًّا، فالذي لا يُبتَغَى به وجهُ الله لا يكون عملًا صالحًا يرضاه الله؛ ولذلك هو ملعون مطرود مُبعَد حقير، أمَّا ما ابتُغي به وجهُ الله؛ فهذا هو الذي يُحمَدُ في الدنيا والآخرة، وتَحسُنُ عاقبتُه في الدنيا والآخرة، فالسعادة والخير والبركة في الدنيا في أن يبتغي العبد بأعماله وجه الله، والسلامةَ والفوزَ والنَّجاةَ في الآخرة.

---

(١) في «مسند الشاميين» رقم (٦١٢)، ورواه ابنُ أبي عاصم في «الزهد» رقم (١٢٧).
ورواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» رقم (٣٣٤) موقوفًا.

(٢) قال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كذا قال، وفيه من لا يُعرف، لكن له شواهد يتقوَّى بها، وهو مخرَّج في «الصحيحة» (٢٧٩٧)».

(٣) انظر: «فيض القدير» للمُناوي (٣/ ٥٥٠).

(٤) كما في «صحيح الترغيب والترهيب» للألبانيِّ (١/ ١٠٧).

وقول النبيِّ ﷺ: «**إِلَّا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ**» يَدخُلُ فيه كلُّ عَمَل؛ سواء كان عبادةً، أو عادةً يُراد بها وجهُ الله، فالعبادات معروفة كالصلاة والصدقة والزكاة وغير ذلك، والعادات كالنوم والأكل والشرب، فإذا كان الإنسان يريد بها وجه الله؛ فإنَّها محمودة مُثابٌ عليها.

وقد استشكل بعضُ أهل العلم هذه الجملة من الحديث: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ**»، بل ضعَّفه بعضُهم لأجل هذه الجملة!

والإشكال: هل لعنُ الدنيا هو من سبِّ الدهر؟

فالمعلوم أنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن سبِّ الريح، وقال ﷺ: «**الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ**»(١)، وقال فيما يرويه عن ربِّه عَزَّوَجَلَّ أنَّ الله قال: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ**»، فجاء النهيُ عن سبِّ الدهر، وعن سبِّ حوادث الدنيا، فظنَّ بعضُ العلماء أنَّ ما ورد في هذا الحديث «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ**» من باب سبِّ الدهر! وليس الأمر كذلك؛ لأنَّ سابَّ الدَّهر إنَّما سبَّه من أجل ما يقع فيه من الأحداث، وهذه الأحداث إنَّما هي بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ والحدث لا يُسبُّ مباشرةً ولا بواسطة، ولذلك قال النبيُّ ﷺ لإحدى الصحابيَّات: «**لَا تَسُبِّي الْحُمَّى**»(٢)، ويؤخذ منه أنَّ وصفَ الأمراض بأنها خبيثة، إن كان من باب السبِّ والشَّتم، أنَّه لا يجوز؛ لأنَّها من أمر الله، وهي بالنسبة للمؤمن خير؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ**

(١) أخرجه أحمد رقم (٧٦٣١)، وأبو داود رقم (٥٠٩٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث صحَّحه الألباني في التعليق على «المشكاة» رقم (١٥١٦).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٥٧٥)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

.....

ضَرَّاءُ، صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1]؛ فكلُّ فِعل ربِّنا خيرٌ؛ لأنَّه كائن عن حِكمة، فلا يجوز أن يُوصف المرض بأنَّه خبيث، وقولُ بعض الناس عن السرطان المرض الخبيث، إن كان من باب السَّبِّ والشتم؛ فلا يجوز؛ لأنه إنما يقع بأمر الله وعن حِكمة، وهو ممَّا يُذهب خطايا المؤمن، أمَّا إن كان من باب الوصف بالشدَّة، والمقصود أنَّه شديدٌ أو أنَّه لا علاج له، فلا بأس؛ لأنَّ المعنى صحيح، فيُنتبه لهذا؛ فإنَّه دقيق!

أمَّا ما في هذا الحديث فهو إخبارٌ عن حقيقة الدنيا عند الله، فليس سبًّا لها من أجل ما فيها من أحداث، وإنَّما إخبارٌ عن حقيقتها عند الله، وأنَّها حقيرة لا تساوي عند الله شيئًا إلَّا ما ابتُغيَ به وجهُ الله، وهذا أمرٌ ظاهر؛ لأنَّ الدنيا إنَّما خُلقت من أجل الآخرة، فنحن خُلقنا لعبادة الله، وخُلقت لنا الأرض وما فيها لنعبد الله عليها، ثم المصير إلى الله، فلا تكون الدنيا ذات شأن إلا ما يحقِّق المقصود من خلق الناس فيها، وهو عبادةُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا الحديث أعمُّ من الحديث الآخر الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ؛ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**»[2]، فإنَّ هذه المذكورات أعمال صالحة، لا تكون صالحة إلا إذا ابتُغي وجهُ الله بها، وهنا الاستثناء يشمل كلَّ عمل صالح يُخلَص فيه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلَّ عمل دنيوي يُراد به وجهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩)، من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذيُّ رقم (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذيُّ: «هذا حديث حسن غريب». وحسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة» رقم (٥١٧٦).

فَصْلٌ

هـذا الفصل عقده الإمـام المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ ليتحـدَّث عن النِّيَّة وأثرهـا في الأعمال، ولا شكَّ أنَّ النِّيَّة شأنُها عظيم، فما معنى النِّيَّة؟

أدقُّ تعريف للنِّيَّة: أنَّها انبعاثُ القلب، وتوجُّهه إلى العمل توجُّهًا جازمًا[1].

فقولهم: انبعاثُ القلب، يعني أنَّ النِّيَّة محلُّها القلب، وهذا باتِّفاق العلماء[2].

لكن هل يُطلب أو يزاد مع عقد النِّيَّة بالقلب، التلفُّظُ باللِّسان؟

اتَّفق العلماء على أنَّ العبد يتلفَّظ بما نوى في أمرين:

الأمر الأول: النُّسك؛ الحجُّ أو العمرة، فيقول: (لبَّيك اللَّهمَّ عمرةً) أو يقول: (لبَّيك اللَّهمَّ حجًّا) أو يقول: (لَبَّيك اللَّهمَّ عُمرةً في حجٍّ).

الأمـر الثاني: ذبح الأضحية، فإن الإنسـان إذا ذبح الأضحية يقـول: (اللَّهمَّ هذا منـك ولـك، اللَّهـمَّ هذا عنِّي وعن أهل بيتـي)؛ فهو ينوي بقلبه أنَّها عنـه وعن أهل بيته، ويقول: (اللَّهمَّ عنِّي وعن أهل بيتي).

ثـم اختلف العلـماء هل هذا التلفُّظ من باب الذِّكر، أو من بـاب الإخبار عن النِّيَّة، يعني: هل هذا ذِكرٌ فيكون مبنيًّا على التوقيف، أو تلفُّظٌ بما في القلب، فيُتسامح في العبارة، فيُعبَّر عمَّا في قلبه بما جرت به العادة؟

والمسألة اجتهادية ليس فيها نصٌّ، لكن لا شكَّ أن السُّنَّة على أنَّه يتلفَّظ.

---

(١) انظر: «الكاشـف عن حقائق السـنن» للطِّيبي (٢/ ٤١٨)، و«مرقاة المفاتيـح» للقاري (١/ ٩٤)، و«مراقي الفلاح» للشرنبلالي (ص: ٣٣ المكتبة العصرية).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٦٢).

.....

أمَّا التلفُّظ بما في القلب في سائر الأعمال غير هذين؛ فالصحيح من أقوال أهل العلم أنَّه غير مشروع، وأنَّه بدعة مُحدثة يجب ردُّها وحربها؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى ولم يُنقل عنه قطُّ أنَّه قال: نويت أن أصلِّي الظهر أو نويت أن أصلِّي العصر، ولا نُقل عن الصحابة ﭫ، وقول بعض الفقهاء: إنَّ التلفُّظ في الأعمال مطلوب، هذا تعمُّقٌ وغلوٌّ، وزاد بعضهم غلوًّا آخر فقالوا: لابدَّ أن يتَّفق القلب مع اللَّفظ في وقت واحد، فأوقعوا أنفسهم والمسلمين في حرج[1]. ألا ترون بعض المسلمين إذا كبرَّ الإمام للصلاة رأيت بعضهم يرفع يديه ثم يُنزلها، ثم يرفعها ثم يُنزلها؛ لأنَّه يُريد أن يكون قوله - مثلًا -: (نويت أن أصلِّي الظهر) متَّفقًا مع ما في القلب؛ إذ لابدَّ أن يكون أوَّله مع أوَّل ما في القلب! وكلُّ هذا تكلُّفٌ ما أنزل الله به من سلطان، وبعضُهم زاد عليه حتَّى أصبح يقول: (نويتُ أن أصلِّي الظهر أربع ركعات خلف الإمام)، وبعضهم زاد ذكر اسم الإمام (فلان بن فلان)، حتَّى بحثوا إذا أخطأ المصلِّي في اسم الإمام هل تصحُّ صلاتُه أو لا تصحُّ! سبحان الله! مَنْ أبعد عن السُّنَّة وقَع في الحرج، فلا راحة ولا طمأنينة ولا استقامة إلَّا بسنَّة محمَّد بن عبد الله ﷺ.

ولذلك نقرِّر: إنَّ التلفُّظ بالنيَّة في غير الأمرين المذكورين بدعةٌ مُحدثة، ولا يجوز للمسلم أن يفعلها، ولا يجوز لأحدٍ أن يقول: هذا الذي تقرِّره صحيح، لكن أنا شافعيٌّ أو حنفيٌّ؛ لأن الذي يُحكَمُ به على الجميع قولُ الله، وقولُ رسول الله ﷺ، والكلُّ يرجع إلى ما كان عليه محمَّدٌ ﷺ.

ومن لطيف ما يُذكر: أنَّ شابًّا عامِّيًّا أراد أن يتزوَّج، وكان الشيخ العاقد على

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٢٨-٢٣٥).

.....

المذهب الحنفيِّ، فقال لأبي البنت: قُل: زَوَّجتُك ابنتي فلانة على مذهب الإمام الأكبر أبي حنيفة النُّعمان، فقال الرجل كما لقَّنه الإمام، فقال الشيخ للشابِّ: قُل: قَبلتُ على مذهب الإمام الأكبر أبي حنيفة النعمان، فقال الشابُّ: قَبِلتُ، فقال الشيخ: لا، قل: على مذهب الإمام الأكبر أبي حنيفة النعمان! فتفطَّن الشابُّ وكان ذكيًّا، فقال له: يا شيخ إذًا لا يصحُّ العقد إذا لم أقل هذا؟ قال: نعم، قال: إذًا والدُ أبي حنيفة كيف تزوَّج؟! فأفحمه؛ لأنَّ والد أبي حنيفة لم يقل هذه الجملة يقينًا.

فالأئمَّة والفقهاء مجتهدون، ولهم اجتهادهم، ولكن المرجع إلى كتاب الله، وإلى سنَّة رسول الله ﷺ، ولا يحلُّ لمؤمن إذا استبانت له سنَّة رسول الله ﷺ أن يتركها لقول إمام، قال الإمام محمد بنُ إدريس الشافعيُّ القرشيُّ المطَّلبيُّ: «أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كَائن مَن كان»[1]؛ ولذلك نحن نقرِّر ونكرِّر: أنَّ أئمَّتنا المجتهدين كالأئمَّة الأربعة لهم فضل عظيم، ولهم منَّةٌ على المسلمين بعد فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لما اجتهدوا وبيَّنوا من الأحكام، وكلٌّ يَلتمس أن يوافق الدليل، لكنهم بشرٌ يخطئون ويصيبون، وكلُّهم قد أجمعت كلمتُهم، وإن اختلفت الألفاظ على قولهم: «إِذَا خَالَفَ رَأْيِي الدَّلِيلَ؛ فَاضْرِبُوا بِرَأْيِي عُرْضَ الحَائِطِ»، وقولهم: «إِذَا صَحَّ الدَّلِيلِ فَهُوَ مَذْهَبِي»[2]؛ والمؤمنون يعرفون للأئمَّة فضلهم وقدرهم، ويَمدحونهم، ويُثنون عليهم، ويَدعون لهم، ولا يرضون أن

---

(١) انظر: «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٠١)، و«الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق» لسليمان بن سمحان النجدي (ص: ١٧٢ إدارة البحوث)، و«إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» للشيخ الفوزان (٢/ ١١١ الرسالة).

(٢) انظر: «إعلام الموقعين» (٤/ ١٧٩)، و«صفة صلاة النبي ﷺ» للألباني (ص: ٤٦ وما بعدها، المعارف).

تُقال عليهم كلمةُ سوء، ولكنَّهم إذا استبان لهم الدليل تبعوه؛ لأنَّهم يعلمون أن هذا هو الواجب. ونقول للَّذين يتعصَّبون للمذهب إلزامًا لهم: مَن أعلم الناس بإمام المذهب؟ لأنه من المعلوم أن أعلم الناس بإمام المذهب تلاميذُه، ومع ذلك ما من إمام من الأئمَّة إلَّا وخالفه بعضُ تلاميذه في بعض المسائل؛ لأنَّهم تعلَّموا هذا من الأئمَّة، وأنَّ العبرة بالدليل، وبما يظهر من الحقِّ على لسان أيٍّ كان.

أمَّا قولنا في تعريف النِّيَّة: هي انبعاث القلب، ففيه أنَّ النِّيَّة محلُّها القلب.

وقولنا: وتوجُّهه إلى العمل: أي: لابدَّ في النِّيَّة من أن يتوجَّه القلب إلى العمل، وإلَّا لا يكون عاملًا له على وجه الحقيقة، وأُمثِّل بمثالين:

المثال الأوَّل: لو أنَّ حجرًا هوى من أعلى عمارة، وكان تحت العمارة رجل مسلم، فرآه رجل مسلم آخر، فذهب يعدو وأبعده عن هذه الحجارة فسَلِم، فهذا الرجل توجَّه إلى العمل وأراد إنقاذ هذا المسلم؛ فهذا عملٌ صالح.

المثال الثاني: ولو أن حجرًا هوى من أعلى عمارة، وكان تحتها رجلٌ مسلم لم ير الحجر، وجاء رجلٌ آخر يعدو لم ير سقوط الحجر، فصدم هذا المسلم فأسقطه، فأبعده عن موضع سقوط الحجر، فسقط الحجر على الأرض، ففي هذه الحالة نجا ذاك المسلم، لكن الذي أسقطه لم ينوِ إنقاذه، ولم يقصد ذلك؛ لأنه لم يَعلم به أصلًا، فهذا لا يقال فيه: إنَّه عَمِل أو نوى، فالنِّيَّة لابدَّ فيها من توجُّه القلب إلى العمل.

وقولنا: توجُّهًا جازمًا: يعني لا تردُّد فيه، وهذا يُخرج الهمَّ؛ وهو الميل إلى الفعل أو الترك من غير جزم، وما يقوم بالقلب شيئان النِّيَّة والهمُّ، وسيأتي ذكرُه في الحديث السابع عشر في الباب، ولنذكر مثالًا: لو أنَّ الإنسان بعد مغرب يوم الأربعاء مال إلى أنه سيصوم

غدًا الخميس من غير جزم، فنقول: هَمَّ، ولم يَنْو، ولذلك نقول: إنَّ الذي ينامُ ليلة الشكِّ - وهي الَّتي يشكُّ هل هي من رمضان أو من شعبان - ولـمَّا يَعلم أن رمضان قد دَخَل، ثـمَّ يَعلـم بدخوله بعد الفجر، فصومُه لذلك اليوم لا يُجزئـه، ويجب عليه أن يقضيه؛ لأن شرط صحَّـة الصيـام في رمضان أن يُبيِّـت النيَّة من الليل، قد يقول قائـل: هذا عند نومه قـال: إن كان غدًا مـن رمضان فأنا صائم؟ فنقول: إنه لم ينـوِ؛ لأن في هذا القول احتمالًا؛ لأنه يقول: وإن لم يكن رمضان؛ فلستُ صائمًا، والنيَّة لابدَّ فيها من الجزم.

والعلماء يقولون: النيَّة نوعان[1]:

النـوع الأول: نيَّـةُ المعمـول له، وهي جوابُ: لمن تَعمل؟ وتسـمَّى عنـد علمائنا بنيَّة القصـد والقُربـة، أي هل هذا العمل لله، أو هذا العمل للمخلوق، أو هذا العمل للدنيا؟ والذي يبيِّن هذا ويُعيِّنُه النيَّة، فإذا توجَّه العبد إلى العمل توجُّهًا جازمًا بقصد التقرُّب إلى الله؛ فهذه النيَّة الصالحة، وإذا توجَّه إلى غير الله؛ فهذه النيَّة الفاسدة.

وهـذه النيَّـة شرطٌ لصحَّة كلِّ عبـادةٍ، قـال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥]، فلا تصحُّ العبادة إلا بنيَّة التقرُّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهي شرطٌ للثواب على العمل الدنيويِّ؛ ولذلك قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد - كما سيأتي إن شاء الله -: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ**»[2].

وكثيرٌ من الناس يُذهبون على أنفسـهم كثيـرًا من الأجور؛ ينفقـون على زوجاتهم لكنَّهـم لا يبتغـون بذلك وجه الله، ينفقون عـلى أولادهم لكن لا يبتغون بذلك وجه الله؛

(١) انظـر: «مجمـوع الفتـاوى» (١٨/ ٢٥٦)، «جامـع العلـوم والحكـم» (١/ ٦٥-٦٦)، و«الفتـح» (١/ ١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٦)، ومسلم رقم (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فـلا يثابـون، وإنَّـما يُثـاب الإنسـان عـلى العمـل الدنيـوي إذا ابتغـى بذلـك وجـه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

النـوع الثـاني: نيَّـة العمل، وهي جوابُ سـؤال: ماذا تعمل؟ ويسـمِّيها العلماء نيَّةَ التمييز والتعيين، يعني: ما هو العمل الذي تعمله؟ فمثلًا: إذا وقفتَ لتصلِّي وقلتَ: (الله أكبر)؛ فهذه صلاةٌ، لكن أيُّ صلاة هي؛ الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء؟ فلابدَّ إذًا مـن نيَّـة التعيين، لكن العلماء يقولون: إن هذه النِّيَّة توجد وتتعيَّن إذا وُجد السـبب، مثال ذلـك: إذا حضر وقـتُ الظُّهر وأذَّنَ المـؤذن، فتوضَّأت وذهبت إلى المسـجد، فماذا تريد؟ أنـت تريـد صلاة الظهـر، فمادام أنه جـاء وقتُ الظهر فالنِّيَّـة الموجودة نيَّةُ صـلاة الظُّهر. ويأتينـي بعـض الطلبة عندما يسـمعون كلام العلماء حول النِّيَّة، فيقول: يا شـيخ أنا واللهِ أشـكُّ أنِّي نويـتُ الظهـر أو لم أنوِها، والنِّيَّـة لابدَّ فيها من جزم! فأقـول: لا، الأصل أنَّك نويـتَ الظهـر، بل لو طُلب منـك أن تنوي غير الظهر؛ قد تُخطـئ؛ لأن هذا الوقت وقت الظهـر. لكن لو جَزَم الإنسـان أنَّـه لم ينوِ العمل؛ فإنَّ العمل لا يصحُّ، مثلًا: شـخص من عادته أن ينام بعد الظهر، وإذا استيقظ من النوم يذهب يصلِّي العصر، وفي يوم من الأيام عـاد من العمل مبكِّرًا على السـاعة العـاشرة صباحًا ونام، فلما حان وقـت الظهر أيقظوه للصـلاة، فقـام وتوضَّأ وذهب إلى المسـجد ونوى العصر، ثمَّ جاءنا بعـد الصلاة، وقال: يا شـيخ أنا نويتُ العصر، متيقِّنًا غيرَ شـاكٍّ في ذلك! فنقول له: لم تصحَّ صلاتُك، وعليك أن تعيد صلاة الظهر.

إذًا نيَّةُ العمل لها أثرُها من حيث الصحَّة والبطلان والإجزاء وعدمه، ولكنها توجد وتتعيَّن إذا وُجد سببُها، وفائدتُها تمييز الأعمال من بعضها.

.....

أمثلةٌ على ذلك: دخل شخص المسجد فصلَّى الظهر، وكان صائمًا فبقي جالسًا في المسجد حتَّى صلَّى العصر، فبقاؤه بين الصلاتين هل هو عبادة؟

الذي يُميِّز هذا نيَّته، فإن كان بقاؤه بين الظهر والعصر من أجل المكيِّفات، ومن أجل أنَّ المسجد بارد والبيت ليس فيه مكيِّف؛ فهذه عادة لا يؤجر عليها، وإن كان جلوسه لانتظار صلاة العصر؛ فهو في صلاة من صلاة الظهر إلى صلاة العصر، والملائكة تدعو له وتستغفر له[1]. فالفرق بين العملين في النيَّة.

مثال آخر: دخل ثلاثة أشخاص إلى المسجد ليمكثوا فيه، فواحد منهم يُثاب، واثنان لا يُثابان والعمل واحد!

أمَّا الذي يُثاب؛ فهو الذي دَخَل المسجد بنيَّة انتظار الصلاة، وأمَّا اللذان لا يُثابان؛ فرجل دَخَل المسجد يريد أن يستريح فيه من عناء العمل وتعبه، ولا يريد أن ينتظر الصلاة.

والآخر دَخَل المسجد ينتظر صديقًا له، يريد أن يزوره ولا يعرف بيته، فواعده عند المسجد، فذهب وجلس في المسجد ينتظر صديقه.

والنيَّة لها أثر في العمل من حيث الصحَّة والفساد، والثواب والعقاب، ومن فقه الحافظ المنذريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أورد أحاديث تدلُّ على اختلاف الآثار في الأعمال بحسَب النيَّات، وسنقف على ذلك - إن شاء الله - في التعليق على تلك الأحاديث، مبيِّنين

(١) إشارة إلى ما أخرجه البخاريُّ رقم (٦٥٩)، ومسلمٌ رقم (٦٤٩)، واللَّفظ له، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَحَدُكُمْ مَا قَعَدَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، فِي صَلَاةٍ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَدْعُو لَهُ الْمَلَائِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ».

.....

دلالاتها، ثم نجعل تلخيصًا لتلك الحالات حتَّى يكون ذلك أسهل في ضبطها وحصرها - إن شاء الله -.

❁ ❁ ❁

١٠- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، - وفي رواية: بِالنِّيَّاتِ -، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ(١).

قَالَ الْحَافِظُ: «وَزَعَمَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ بَلَغَ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ انْفَرَدَ بِهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ الْأَنْصَارِيِّ خَلْقٌ كَثِيرٌ، نَحْوَ مِئَتَيْ رَاوٍ، وَقِيلَ: سَبْعُ مِئَةِ رَاوٍ، وَقِيلَ: أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ طَرِيقِ الْأَنْصَارِيِّ، وَلَا يَصِحُّ مِنْهَا شَيْءٌ. كَذَا قَالَهُ الْحَافِظُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: لَا أَعْلَمُ فِي ذَلِكَ خِلَافًا بَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيثِ. وَاللهُ أَعْلَمُ».

هذا الحديث العظيم الجليل قد اتَّفق علماء الإسلام على جلالته وعظيم نفعه، فالنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال جملتين كَفَتا وشَفَتا، وتحتهما كنوز العلم، وقد عدَّهُ بعضُ أهل العلم نصف العلم، وعدَّه بعضُهم ثُلثي العلم، وعدَّه بعضهم ربع العلم، وعلى كلِّ حال فالعلماء متَّفقون على جلالة قدر هذا الحديث وعظيم نفعه(٢). ولا شكَّ أنَّ هذا الحديث قليلُ المبنى، عظيمُ المعنى يدخل في جميع أبواب العلم.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١)، ومسلم رقم (١٩٠٧)، وأبو داود رقم (٢٢٠١)، والترمذي رقم (١٦٤٧)، والنسائي رقم (٧٥).
قال الشيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشية هذا الكتاب: «قلتُ: وكذا قال المؤلف في «إخلاص النيَّة في الجهاد» (١٢ - الجهاد/ ١٠)، وهو يوهم أن ابن ماجه لم يروه، وليس كذلك، فقد أخرجه في «الزهد» رقم (٤٢٢٧)».

(٢) انظر: «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد (ص: ٢٢، ٢٤ - ٢٥ الريان)، و«جامع العلوم

وهـذا الحديـث ذكـره عُمـر بـن الخطَّـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنـبر[(١)]، قـال: «سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَـالُ بالنِّيَّة، -وفي رواية: بِالنِّيَّاتِ- »» وجاءت أكثر روايات الحديث بإفراد النِّيَّة: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّة»[(٢)].

وقابـل «الأعمال» وهي جمـعٌ «بالنِّية» وهي مفرد، قال العلماء: هـذا باعتبار المحلِّ، فمحـلُّ العمل متعدِّدٌ فهو جمعٌ؛ فقد يكون اللسـان، وقد يكون اليد، وقد يكون الجسـد، أمَّا النِّيَّة فلا مَحَلَّ لها إلَّا القلب وهو واحد؛ ولذلك أُفرِدَت باعتبار محلِّها[(٣)].

وفي بعض الروايات الصحيحة: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[(٤)] فقابل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجمـع بالجمع، وهذا باعتبار أنَّ لكلِّ عامـل وكلِّ عَملٍ نيَّة؛ فعملي أنا له نيَّة، وعملُك له نيَّـةٌ...، وصـلاتي لها نيَّةٌ وصومي لـه نيَّةٌ...، فلمَّا كانت الأعمال متعـدِّدة وكان لكلِّ عمل نيَّة؛ جاءت الأعمال والنيَّات بصيغة الجمع[(٥)].

إذًا الإفراد باعتبار المحلِّ، والجمع باعتبار أنَّ لكلِّ عمل نيَّةً.

وقـول النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ»، الأعمال جمع: عَمَل، والعمل: هو حركة البـدن أو بعضِـه[(٦)]، فهو إمَّا حركة الجسـد كلِّه كـما في الصلاة، وإمَّا حركـة بعض البدن

= والحكم» (١/ ٦١-٦٣)، «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني (١/ ٥٦ الأميرية).

(١) كما في رواية البخاري رقم (١)، ومسلم رقم (١٩٠٧).

(٢) انظر: «الفتح» (١/ ١٢).

(٣) انظـر: «الفتـح» (١/ ١٢)، و«تحفـة الأحوذي بشرح جامـع الترمذي» للمباركفـوري (٥/ ٢٣٢ الكتب العلمية).

(٤) كما في رواية البخاري رقم (١)، وأبو داود رقم (٢٢٠١)، وابن ماجه رقم (٤٢٢٧).

(٥) انظر: «الفتح» (١/ ١٢).

(٦) انظر: «إرشاد الساري» للقسطلاني (١/ ٥٣)، و«تاج العروس» للزبيدي (٣٠/ ٥٦ الهداية).

كالذكر، وعليه فالقول عمل؛ لأن القول حركة اللسان وهو بعض البدن، فالحديث يشمل الأفعال والأقوال.

وهناك فرقٌ بين الفعل والقول؛ فالفعل حركةُ البدن أو بعضِه غير اللسان، أمَّا القول؛ فهو حركة اللِّسان.

وهناك فرقٌ بين الفعل والعمل؛ فقد ذكر بعض أهل العلم(١)؛ أنَّ العمل يُطلق على ما يكون مستمرًّا كثيرًا، والفِعل يُطلق على ما كان نادرًا قليلًا كالذي وقعَ مثلًا مرَّة أو يقع مرَّات قليلة؛ ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]؛ لأنَّ هذا الإهلاك إنَّما حصل مرَّةً واحدةً، أمَّا العمل فيُطلق على المستمرِّ الكثير مثل الصلاة.

وقول النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ»: قال بعض أهل العلم(٢): الامرُؤ: هو الإنسان، وعليه فيشمل الذكر والأنثى. وقال بعضُ أهل العلم(٣): الامرُؤ هو الرجل، ولكن المرأة تدخل في الحديث؛ لأنَّها شقيقة الرجل، والأصل دخولها في النصِّ ما لم يَرِد مخصِّص.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»، قاعدتان جليلتان؛

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» معناه: أنَّ الأعمال إنَّما تكون صحيحة ومعتبرة شرعًا بالنيَّات، وعليه فمن وُجدَت في عمله النيَّة، وكانت صحيحة؛ فعمله

(١) انظر: «إرشاد الساري» (١/ ٥٤). (٢) انظر: «فيض القدير» للمناوي (١/ ٣٠).
(٣) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (١/ ١٨)، و«فيض القدير» للمُناوي (١/ ٣٠).

صحيحٌ، إذا لم يوجد مُبطل آخر، مثلًا: إنسان يصلِّي، ونوى بالصلاة وجهَ الله؛ فإنَّ صلاته صحيحة ما لم يوجد مُبطل آخر، أمَّا إذا لم توجد النيَّة أصلًا؛ فإنَّ العمل لا يكون صحيحًا، وكذلك إذا وُجدت النيَّة، وكانت فاسدةً؛ فإنَّ العمل لا يكون صحيحًا.

أمثلة: رجلٌ أصابته جنابة، فمرَّ بحوض ماء فزلَّت قدمه فسقط فيه، فهذا لم يغتسل ولم توجد عنده النيَّة، نعم انغمس جسدُه كلُّه في الماء، لكن ما نوى الغسل أصلًا، فهذا لا ترتفع جنابتُه، فإذا خَرَج من الحوض؛ قلنا له: اغتسل للجنابة؛ فإنك لم تغتسل.

شخصٌ آخر أصابتْهُ جنابةٌ ونام واستيقظ، ومن عادته أنَّه يغتسل للنظافة إذا استيقظ، فنسي الجنابة واغتسل للنظافة بنيَّة النظافة، وفَرَغ وخرَج إلى مقرِّ عمله، فنقول له: لا زالت عليك الجنابة؛ لأنَّك لم تنوِ غُسل الجنابة، وإنَّما نويت غُسل النظافة، وهذا أمرٌ مباح.

إنسانٌ آخر قام يصلِّي، لكنَّه نوى بالصلاة أن يرائي مخلوقًا، أو يراه مخلوقٌ ليمدحه، فهنا وُجدت النيَّة؛ لكنَّها فاسدة، فالعمل باطلٌ.

وقوله ﷺ: «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»؛ قال بعضُ أهل العلم: هي توكيدٌ للجملة الأولى، والمعنى واحدٌ، فمعنى: «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»: إنَّما يكون للعامل من صحَّة العمل بحسَب نيَّته، فهذا تأكيدٌ، لكن هذا المعنى مرجوح. والله أعلم؛ فالجملة الثانية لها معنى آخر؛ لأنَّه لمَّا كانت نيَّاتُ النَّاس تختلف، والأعمال بالنيَّات؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»، فيحصل للمرء من عمله ما نواه، وبمقدار ما نوى[1]، فمثلاً: إن نوى صلاة الظهر؛ فهي صلاة الظهر، وإن نوى صلاة العصر؛ فهي

(١) انظر: «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد (ص: ٢٦)، و«جامع العلوم والحكم» (١/ ٦٥)، =

صلاة العصر، وإن تصدَّق يبتغي بذلك وجه الله؛ فهي صدقة مقبولة، وإن تصدَّق يريد أن يُقال: إنَّه كريم؛ فلا يحصل له إلا ما أراد إن أراد الله أن يحصل له، فيقول الناس: إنَّه كريم، وقد يُحرم الاثنين.

وهذه الجملة: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» تقتضي أن يُعيَّن العملُ الذي يَشتبه بغيره، فلابدَّ أن ينويَ الإنسان عينَ العمل؛ مثلًا: مسافر يجمَع بين الظهر والعصر، عندما يقوم يصلِّي لابدَّ أن ينوي في الأولى أنَّها الظهر، وينوي في الثانية أنَّها العصر؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

قوله ﷺ: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ»، الهجرة: هي الانتقال من مكَّة إلى المدينة، ويشمل الانتقال من أيِّ بلدٍ من بلدان الكفر إلى المدينة، يعني: من كانت هجرته إلى الله ورسوله بالقصد؛ أي طاعةً لله ونصرةً لرسول الله ﷺ، فلذلك يُهاجر إلى المدينة؛ فهجرتُه إلى الله ورسوله وصفًا وثوابًا، أمَّا الوصف؛ فإنَّه يوصف بأنَّه مهاجرٌ شرعًا؛ لأنَّ الهجرة أو وصف المهاجر وصفٌ شريف شرعًا، أمَّا الثواب؛ فإنه يُثاب على الهجرة بالجنَّة.

وقوله ﷺ: «وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا» يعني: مَن كانت هجرتُه إلى أمرٍ من أمور بقصد تحصيله؛ مثلًا: رجلٌ رأى النَّاس يُهاجرون إلى المدينة، فقال: هؤلاء يُهاجرون إلى المدينة، وأنا رجل بنَّاءٌ أُحسن البناء، وهؤلاء المهاجرون سيحتاجون إلى البناء، فهاجر إلى المدينة؛ من أجل أن يعمل، لا من أجل الطاعة والنُّصرة، فهو يريد أن يُحصِّل هذه الدنيا.

= و«طرح التثريب في شرح التقريب» للعراقي (٢/ ١٠ الطبعة المصرية)، و«الفتح» (١/ ١٤).

وقوله ﷺ: «أَوِ امْـرَأَةٍ يَنْكِحُهَـا» والمرأة من الدنيا، وخيرُ متاع الدنيا المرأة الصالحة، إذًا لماذا لم يكتفِ النبيُّ ﷺ بقوله: «وَمَـنْ كَانَـتْ هِجْرَتُـهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا»؛ لأنَّ هذه الجملة تشمل مَن كانت هجرتُه إلى امرأةٍ يَنكِحُها؟

أجاب العلماء بوجهين قالوا(١):

الوجه الأوَّل: إنَّ اهتمام الرجل بالمرأة، وفتنته بها في الدنيا أشدّ، فلـمَّا كان ذلك كذلك؛ أفردها النبيُّ ﷺ بالذكر تنبيهًا لشأنها.

الوجه الثاني: إنَّ سبب الحديث ما يسمَّى بقصَّة مُهاجر أمِّ قيس؛ فقد روى الطبرانيُّ(٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «كَانَ فِينَا رَجُلٌ خَطَبَ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ

---

(١) انظر: «الفتح» (١/ ١٧)، و«إرشاد الساري» للقسطلاني (١/ ٥٦)، و«التوشيح شرح الجامع الصحيح» للسيوطي (١/ ١٢٩، الرشد).

(٢) عزاه الحافظ في «الفتح» (١/ ١٠) إلى الطبرانيِّ، ولم أجده في المطبوع منه، ولم يذكر الهيثميُّ هذه الرواية في «مجمع الزوائد».

وقد رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ٣٥٤٦ - ٣٥٤٧) رقم (٨٠١٤) من طريق الثوريِّ عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمثله. وسندُه ضعيفٌ؛ فيه إسماعيلُ بن محمد بن عصام، قال فيه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٥٣ الكتب العلمية): «يَرْوِي عَنْ أَبِيهِ، وَعَمِّهِ، وَعَنْ جَدِّهِ بِغَرَائِبَ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ».

وقد تابعه عبد الملك الذماري عن الثوري؛ قاله أبو نعيم في «المعرفة» (٣/ ٣٥٤٧) ولم يسق إسناده ولا لفظه. والذماري هذا مختلف فيه، وقد تكلَّم أحمد في روايته عن الثوري، قال: «أتيناه قبل أن يدخل صنعاء، فإذا عنده عن سفيان، وإذا فيها خطأ كثيرٌ، وإذا هو يصحِّف يقول: الحارث ابن خضيرة، ومثل هذا». انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٢/ ٥٥٩ الغرب الإسلامي)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٦٦٣ البجاوي)، و«تهذيب التهذيب» (٦/ ٤٠١).

وقد روى القصَّة الطبراني في «الكبير» (٨٥٤٠) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي وائل قال: قَالَ عَبْدُ اللهِ: «مَنْ هَاجَرَ يَبْتَغِي شَيْئًا فَهُوَ لَهُ»، قَالَ: «هَاجَرَ رَجُلٌ لِيَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا: =

.....

تَزَوَّجَهُ حَتَّى يُهَاجِرَ، فَهَاجَرَ فَتَزَوَّجَهَا، فَكُنَّا نُسَمِّيهِ مُهَاجِرَ أُمِّ قَيْسٍ»؛ فيكون ذِكرُ المرأة هنا لأنَّه الأصل في ورود الحديث.

أقول: وَرَد في الحديث ذكرُ الهجرة، والهجرة في الشرع نوعان، هجرة مكان، وهجرة عَمل؛

أمَّا هجرة المكان: فنوعان.

النوع الأول: الانتقال من بلد الخوف إلى بلد الأمن؛ ينتقل المسلم من بلد يخاف فيه إلى بلد يأمن فيه، وهذا ما وَقَع في الهجرة إلى الحبشة، فإنَّ الصحابة المستضعفين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هاجروا من مكَّة، وكانت بلد خوفٍ إذا ما قورنت بالحبشة، فلم تكن الحبشة دار إسلام، لكنَّها كانت دار أمن، إذ كان فيها مَلِكٌ عادلٌ لا يُظلم عنده أحدٌ، فهذه هجرة شرعيّة، وقد فعلها الصحابة في هجرتيهم الأولى والثانية إلى الحبشة.

النوع الثاني: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، ولا شكَّ أنَّ الهجرة كانت موجودة في زمن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت فرضًا على كلِّ مسلم إذ ذاك، لكن هل انقطعت أم هي باقية في الأمَّة؟

الجواب: وَرَدَ فيها حديثان متقابلان؛ أمَّا أولهما؛ فقد روى أبو داود والنسائي بإسناد

= أُمُّ قَيْسٍ، وَكَانَ يُسَمَّى مُهَاجِرَ أُمِّ قَيْسٍ». قال الهيثمي (٢/ ١٠١): «رجاله رجال الصحيح».
وتابع أبا معاوية وكيعٌ؛ فرواه عن الأعمش بإسناده، ولفظه: قَالَ - يعني أبا وائل: «خَطَبَ أَعْرَابِيٌّ مِنَ الْحَيِّ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا: أُمُّ قَيْسٍ، فَأَبَتْ أَنْ تُزَوِّجَهُ حَتَّى يُهَاجِرَ، فَهَاجَرَ، فَتَزَوَّجَتْهُ، فَكُنَّا نُسَمِّيهِ مُهَاجِرَ أُمِّ قَيْسٍ». قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ: «مَنْ هَاجَرَ يَبْتَغِي شَيْئًا؛ فَهُوَ لَهُ». نقله الحافظ ابنُ رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٧٤) عن كتاب وكيع، ثم قال: «وَهَذَا السِّيَاقُ يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّمَا كَانَ فِي عَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

.....

صحيح أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١)؛ فهذا حديثٌ واضح يدلُّ على أنَّ الهجرة لا تنقطع إلا في آخر الزمان عند طلوع الشمس من مغربها حين تنقطع التوبة.

وأمَّا ثانيهما: فهو ما جاء في «الصحيحين»: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**»(٢)، وهذا ظاهره أنَّ الهجرة قد انقطعت بعد فتح مكَّة، وقد اختلف العلماء في الجمع بينهما(٣):

فقال بعض أهل العلم: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ» يعني لا هجرة فريضة بعد الفتح، بل الهجرة بعد الفتح مستحبَّة.

وقال بعضُ أهل العلم: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ» يعني من مكَّة؛ لأنَّها أصبحت دار إسلام، وفي هذا بشارةٌ أنَّ مكَّة ستبقى دار إسلام، ولن تُصبح يومًا دار كفر بعد أن دخلها الإسلام وفَتَحها النبيُّ ﷺ، فالمعنى: لا هجرة من مكَّة بعد الفتح.

وقال بعض أهل العلم: معنى «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ» يعني لا هجرة إلى المدينة.

وهل بين القولين الأخيرين فرق؟

الجواب: نعم؛ لأن قول من قال: إن معنى «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ»: أي لا هجرة من مكَّة؛ هذا خاصٌّ بالهجرة من مكَّة، لا يدخل فيه الهجرة من غير مكَّة إلى المدينة.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٦٩٠٦)، وأبو داود رقم (٢٤٧٩)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٨٦٥٨)، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» رقم (١٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٧٨٣)، ومسلم رقم (١٣٥٣)، من حديث عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥ المكتبة العلمية)، «طرح التثريب» (٢/ ٢٣)، و«الفتح» (٧/ ٢٢٩-٢٣٠)، و«مرقاة المفاتيح» (١/ ٤٦).

لكن قول مَن قال: إنَّ معنى الحديث: لا هجرة إلى المدينة، فهو يعني: لا هجرة بعد الفتح من أيِّ مكانٍ؛ من الجزيرة أو من غيرها إلى النبيِّ ﷺ بالمدينة، فالهجرة التي يُمدح صاحبُها ويسمَّى من المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ انقطعت بالفتح؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قد تمَّ له النصر، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، فلم تبقَ هجرةٌ إلى المدينة لنصرة الرسول ﷺ، فانقطعت الهجرة إذًا إلى المدينة.

وكلا القولين الأخيرين صحيح؛ فلا هجرة من مكَّة بعد الفتح، ولا هجرة إلى المدينة بعد الفتح؛ لنصرة النبيِّ ﷺ.

أمَّا هجرة المسلم من دار الكفر إلى دار الإسلام فرارًا بدينه؛ فهي باقيةٌ حتى تطلع الشمس من مغربها؛ سواء هاجر إلى مكَّة، أو هاجر إلى المدينة، أو هاجر إلى مصر، أو هاجر إلى أيِّ دولة من دول الإسلام.

وهذه الهجرة التي هي الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام يختلف حُكمُها؛

❁ فإن كان المسلم في ديار الكفر لا يستطيع أن يقيم دينه، بحيث يُمنع من إقامة دينه، وإظهار شعائر الإسلام، وهو يستطيع أن يُهاجر؛ ليس محبوسًا في سجن، ولا مريضًا مرضًا يمنعه من السير، ويجد بلدًا يُهاجر إليه، وهذا القيد الثالث لم يكن يذكره العلماء قديمًا، لكنه يُذكر في هذا الزمان؛ لأنَّ الحال اختلف، وأصبح للمسلمين دولٌ لها حدودها وأنظمتُها، وقد لا يجد المسلم بلدًا يُهاجر إليه ويَقبله ويمنحه الإقامة، فلذا قلنا: إذا كان المسلم لا يستطيع أن يقيم دينه في بلاد الكفر، ويستطيع أن يُهاجر، ويجدُ بلدًا يُهاجر إليه؛ فإن الهجرة في حقِّه واجبة.

❁ وإن كان المسلم يستطيع أن يُقيم دينه في بلاد الكفر، ومع ذلك هو يستطيع أن يُهاجر، فهو في حرِّيَّة في بلد الكفر؛ كلٌّ يَفعل ما يشاء؛ فالذي يريد أن يعبُد الله يعبد الله ولا يمنعه أحد، والذي يَعبد الشيطان يعبد الشيطان، فهذا الذي يستطيع أن يُقيم دينه، وفي الوقت نفسه يستطيع أن يُهاجر ولا يوجد ما يمنعه من الهجرة، ويَجد بلدًا يُهاجر إليه؛ فإن المحقِّقين من أهل العلم يقولون: إن الهجرة في حقِّه مستحبَّة، ليُكثِّر المسلمين وينصرهم ويتعاون معهم، ويستفيد من دعوتهم، ويَلزَمَ جماعتهم.

❁ وإن كان المسلم لا يستطيع أن يُهاجر؛ إمَّا لأنَّه محبوس في سجن الكفَّار، أو مريضٌ لا يستطيع السير، أو كان مريضًا مرضًا مخوفًا، ولا يوجد علاجُه في البلد الذي سيُهاجر إليه، وإنَّما علاجه في البلد الذي يُقيم فيه؛ فإنَّه معذورٌ، ولا تُطلب منه الهجرة، فإن تكلَّف فهاجر؛ أُجِرَ عليها.

❁ وإن كان يستطيع أن يُقيم دينه، ويستطيع أن يُهاجر، ويجد بلدًا يُهاجر إليه، لكن في بقائه في بلد الكفر مصلحةٌ للمسلمين: فيُستحبُّ بقاؤه مع المسلمين في بلد الكفر، كطالب العلم؛ فمن جاء منها إلى الجامعة الإسلامية، وتعلَّم فيها، وأخذ منها ومن حلقات المسجد النبويِّ عِلمًا طيِّبًا، ثم عاد إلى بلد الكفر الذي جاء منه، وهو يستطيع أن يُهاجر إن شاء، ويستطيع أن يُقيم دينه فيه، ولكن في بقائه بين الناس مصلحةٌ ليُعلِّمهم دينهم؛ فإنَّ أكثر المسلمين في بلاد الكفر لا يجدون مَن يُعلّمهم الدِّين تعليمًا صحيحًا؛ ولذلك - مع الأسف - يذوب كثيرٌ من المسلمين في أديان الكفَّار؛ فهنا نقول: إن بقاءه في ذلك البلد مستحبٌّ. وكذلك لو كان إمامٌ مسجد في منطقة من مناطق دول الكفر، ولا يوجد من يصلح للإمامة غيرُه، بحيث يَغلب على الظنِّ أنَّه إن ترك المسجد سيُهمل

المسجد ويُهجر؛ فإنَّه يقال: إنَّه يُستحبُّ أن يبقى هناك، بالشرطين المذكورين: أن يستطيع أن يُقيم دينه، وأن تكون هنالك مصلحة في بقائه.

وأمَّا النوع الثاني للهجرة: فهو هجرة العمل، ومعناها أن ينتقل الإنسان عن معصية الله إلى طاعة الله، فإذا كان المسلم مبتلًى بمعصية؛ فإن الواجب عليه أن يُهاجر عنها، بتركها والانتقال إلى طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»[1]، فمن هَجَر المعصية مُدبرًا عنها، مُقبلاً على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو مهاجرٌ، وهذه الهجرة قد تكون لذات المعصية، وقد تكون لمكان المعصية، وقد تكون لأهل المعصية.

❁ فالتي تكون لذات المعصية: هي تركُ الإنسان المعصية خوفًا من الله إلى طاعة الله.

❁ والتي تكون لمكان المعصية: كأن يكون الإنسان مبتلًى بمعصية يُجاهِر بها في مكان ما، يجد في ذلك المكان الإعانة عليها، وتُيسَّر له فيه أسبابُها، فيخشى إذا بقي في ذلك المكان أن يُعاودها، فمن الهجرة أن ينتقل من ذلك المكان إلى مكان آخر، بعيدًا عن هذه المعصية.

❁ والتي تكون لأهل المعصية: كمن كان مع أصدقاء يجتمعون على المعصية، ثم شاء الله أن يُحيي قلبه، وأن يترك هذه المعصية؛ فإنَّ مِن هَجْر هذه المعصية أن يَهجُر أولئك الأصحاب الذين يفعلون المعصية ما داموا مقيمين عليها؛ لأنَّه يُخشى خشيةً ظاهرة إن بقي معهم أن يعود إلى المعصية، كمن ابتُلي بتناول الحشيش أو الأفيون أو غير ذلك من

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٠)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

المخدِّرات، ثم تاب منه، فإنه بذهابه إلى أصحابه وهم يجتمعون على هذه المخدِّرات الليالي الطوال، يوشك في الغالب أن يعود إلى المعصية؛ لأنه كما يقول بعض أهل العلم: إنَّ أهل المعصية يَثقُلُ عليهم أن يتركهم مُشارِكُهم، فإذا تركهم؛ أجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم من أجل أن يعيدوه إلى المعصية.

وفي الحديث: دليلٌ على عِظَمِ النيَّة، وعلى عِظَمِ أثرها في صحة العمل وقَبُوله.

❁ ❁ ❁

١١- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا(١).

صحابيُّ هذا الحديث: أمُّنا الصِّدِّيقة بنتُ الصِّدِّيق، حبيبةُ المؤمنين، لا يُحبُّها إلا مؤمن، ولا يُبغضها إلا منافق كافر؛ عائشةُ حِبُّ رسول الله ﷺ التي مات النبيُّ ﷺ في حضنها، وكان ريقُها آخر ما دَخَل إلى جوفه ﷺ من الدنيا؛ لمَّا ليَّنت له السِّواك بريقها؛ فاستاك به الطَّيِّبُ ﷺ الذي طاب حيًّا وميِّتًا(٢)، بل كانت عائشة أمُّ المؤمنين ف وأرضاها ورضي عن أبيها أحبَّ الناس إلى النبيِّ ﷺ، وكان أبوها أحبَّ الرجال إلى النبيِّ ﷺ؛ فقد جاء في «الصحيحين» وغيرهما عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» فَعَدَّ رِجَالًا»(٣). وتكرمةً لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم يقل النبيُّ ﷺ: أبو بكر، فهنيئًا لمن أحبَّها؛ فإنَّه إيمان! وبُعدًا وسُحقًا لمن أبغضها!

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢١١٨)، ومسلم رقم (٢٨٨٤).

(٢) إشارة إلى ما أخرجه البخاري رقم (٤٤٤٩)، عن أَبِي عَمْرٍو ذَكْوَانَ، مَوْلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَلَيَّنْتُهُ» الحديث.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٦٦٢)، ومسلم رقم (٢٣٨٤)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

.....

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ**»، هل هذا الجيش من جيوش الكفار؟

الجواب: لا، هذا جيشٌ من أناس ظَلَمَة ينتسبون إلى الإسلام يَقصِدون رجلًا من قريش يلجأ إلى الكعبة مع نفر قليل.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ**» البيداء: هي الأرض الواسعة، وجاء في بعض الروايات الصحيحة: «بِبَيْدَاءِ الْمَدِينَةِ»[1] وبيداء المدينة المنطقة الواسعة التي تُشرف على الميقات، وعليها الآن مستشفى وما حوله.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»: أي أنَّ الأرض تسيخ بهم، فيدخلون في بطنها.

من لطائف ما ذكره بعضُ أهل العلم[2]: قال: قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»، فأين أوسطهم؟ هل يُفهم من هذا أن الوسط ينجو؟

الجواب: لا؛ لأنَّ الجيش إمَّا أوَّل وإمَّا آخر، فمن الأوَّل إلى المنتصف، هو بالنسبة للنصف الثاني كلُّه أوَّل، ومن الآخر إلى النصف هو بالنسبة للنصف الأوَّل كلُّه آخر، ولا شكَّ في هلاك الوسط؛ لأنَّ العلَّة واحدةٌ، والله حَكَمٌ عدل.

قَالَتْ عائشة: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟!»، في هذا دليلٌ على أنَّ الخسف للجميع، ودليلٌ أيضًا على أنَّ الجيش ممَّن ينتسبون إلى الإسلام؛ لأنَّها قالت: «كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ».

---

(١) أخرجها مسلم رقم (٢٨٨٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) انظر: «الفتح» (٤/ ٣٤٠).

والأسواق جمع: سُوق، والسُّوق هو مكان البيع، والمقصود بأسواقهم هنا: أهلُ أسواقهم الذين يسيرون معهم للبيع والشراء، فنيَّتُهم ليست نيَّة الجيش الذي يريد غزو الكعبة، إنَّما نيَّتهم البيع، فمعنى قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ» أي: فيهم أهل أسواقهم، وهذا تعبيرٌ سائغ؛ لأنَّ أهل الأسواق هم الذين يُقيمون الأسواق، فهم يسيرون مع الجيش، وإذا نزل الجيش أقاموا السوق، يبيعون الطعام والشراب وغير ذلك.

ومعنى قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ» مثل: المُكرَه الذي أُكره على الخروج وهو لا يريده، والعبد مع سيِّده يَخرج معه يَخدمه، وهو ليس منهم، وليس على نيَّاتهم.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» أي: مع كونهم فيهم من ليس منهم يُخسف بهم جميعًا، «ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» فهم من حيث الظاهر معهم، وأمَّا بَعثُهم وجزاؤُهم بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ؛ فعلى نيَّاتهم، فكلٌّ يُحاسَب بنيَّته.

وفي هذا الحديث: بيانُ أثر النيَّة في العمل، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة يحاسب الناس بحسَب نيَّاتهم، ولا يعني هذا أنَّ الله لا يُحاسب العبد على العمل السيِّئ إذا كانت نيَّة الفاعل حسنةً، كاللِّصِّ الذي يسرق بنيَّة أن يُنفق على والديه، فالنيَّة حسنة، والفعل سيِّئ، فإنَّه يُحاسب على هذا العمل، والذين يسرقون من الأغنياء بحجَّة أنَّهم يأكلون أموال الناس، فيأخذونها بنيَّة أن يدفعوا هذه الأموال إلى الفقراء؛ هؤلاء لُصوص، وإن كانت نيَّتهم حسنةً، فالله عَزَّوَجَلَّ يُحاسب العبد على عمله ونيَّته، والعمل لا يكون صالحًا إلَّا إذا صلُحت النيَّة وكان صوابًا.

ومن فوائد هذا الحديث العظيمة التي ينبغي أن نعتني بها: أنَّ المسلم لا ينبغي له أن يُجالس أهل المعاصي، وأهل البدع والظَّلمة؛ فإن أولئك مَظِنَّةُ العقاب، وإذا نزل العقاب

.....

بهم فإنَّه ينزل بمن يُجالسهم، فلا يجوز للمسلم أن يُجالس أهل المعصية على معصيتهم، إلَّا أن يُنكر عليهم ثمَّ يقوم، ولا أن يُجالس أهل البدع، فبعض الناس - مثلًا - سَمِع من المشايخ أنَّ الموسيقى والغناء حرام، فاجتنب هذا في نفسه وترك سماعها، وأبدله الله بسماع القرآن والدروس العلمية، لكن بقي يُجالس الذين يسمعون الغناء ويسمع معهم، فهو وإن أنكر بقلبه؛ فهو ليس مضطرًّا لأن يجلس معهم؛ لأنه يجلس باختياره، فهو آثم ومعرَّض للعقوبة. وبعض الناس يجلس لأهل البدع ويقول: الحمد لله أنا من أهل السُّنَّة! الحمد لله عقيدتي سليمة ولا أفعل ما يفعلونه! لكنه يجلس معهم، ويفعلون البدع وهو معهم غير مُنكِر؛ فهو مثلُهم، فهم يأثمون لبدعتهم، وهو يأثم لمجالستهم.

وبعض الناس يُجالسون الظَّلَمة باختيارهم من غير نُصح ولا إنكار، والذي يفعل هذا يكون آثمًا، وهو معرَّضٌ للعقوبة معهم، ويُستثنى من هذا إذا كان مضطرًّا للجلوس وليس له خيرة وأنكر بقلبه، فإنَّه لا يأثم؛ لأن الاضطرار يُسقط التحريم، فلا محرَّم مع اضطرار، ولا واجب بغير اقتدار، فإذا كان شخص مضطرًّا لمجالسة أهل البدع ليست تلك المجالسة الدائمة، لكن جمعه بهم مجلس مضطرًّا؛ فإنَّه لا يأثم ولا يُعاب إذا عُلِم أنَّه مضطرٌّ، ولكنه لا يُجالسهم باختياره.

ومن جلس إلى أهل المنكر فأنكر عليهم؛ فهو محمود حال الإنكار، لكن لا يفعل كما يفعل بعضُ النَّاس؛ يمشي معهم ويأكل ويشرب معهم ويقول: أنا أنكر! لا هذا ليس إنكارًا، هذه مجالسة، فإن الإنكار الصحيح أن يأتيهم ويقول لهم: أنتم مسلمون وهذا الذي تصنعونه حرام، ويذكر لهم الدليل على أنَّه حرام، ويُناقشهم ويبيِّن لهم، ثم يذهب وينصرف عنهم.

وأقبح من هذا أن يُعين العبدُ صاحبَ المنكر على المنكر بحجَّة أنَّه يُنكِر؛ فمثلًا بعضُ الناس يذهب يشتري دخانًا لمن يشرب الدخان بحجَّة أنَّه سيُنكر عليه! فيتسبَّب في المُنكر بحجَّة أنه سينكر، وهذا حرام لا يجوز، بل على الإنسان أن يُنكر بالطرق الشرعية ثمَّ ينصرف، إلَّا إذا كان مضطرًّا للبقاء؛ فإنَّه يُعذر حال اضطراره، والضرورة تُقدَّر بقدرها.

❁ ❁ ❁

١٢- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَأَبُو دَاوُدَ(٢)، وَلَفْظُهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ، إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ: «حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ».

قال الألبانيُّ: صحيح.

هذا الحديث العظيم فيه بشارةٌ عظيمة لأمَّة محمَّد ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ - أي في الطريق -: «إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا».

قوله ﷺ: «بِالْمَدِينَةِ» أي: لم يغزوا معنا بأجسادهم، بل بقوا بالمدينة.

قوله ﷺ: «مَا سَلَكْنَا شِعْبًا» الشِّعب: هو الطريق في الجبل.

قوله ﷺ: «وَلَا وَادِيًا» الوادي: هو ما يكون بين الجبال.

وكلاهما مسيلٌ للسيل، فإذا نزل المطر فإنه يسيل من الجبال مع الشعاب، ثمَّ ينحدر إلى الوديان.

قوله ﷺ: «إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا» سبحان الله! هم في المدينة والنبيُّ ﷺ يقول: «إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا»، ولا شكَّ أنَّهم ليسوا معهم بأجسادهم، ولكنهم معهم بنيَّاتهم،

---

(١) رقم (٢٨٣٩).
(٢) رقم (٢٥٠٨).

فعدَّهم النبيُّ ﷺ معهم، والمراد أنَّهم يشاركون القوم في الثواب، فيُثيبهم الله عَزَّوَجَلَّ كما يُثيب الغُزاة؛ وما ذلك إلَّا لأنَّهم: «**حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»، فهم قومٌ ينوون الغزو مع رسول الله ﷺ، وهم صادقون في هذا، وإنَّما منعهم من الخروج معه العذر.

وقد جاء في رواية أبي داود: «**لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ، إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ**»، فقال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا»، فنحن خرجنا وقاتلنا ورجعنا «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ»؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»، وجاء في رواية: «**حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**»[1] فهم يريدون الغزو إلَّا أنَّ الذي منعهم المرض ولا يستطيعون له دفعًا، ومن هنا أخذ أهل العلم أنَّ المؤمن إذا عَزَم عزمًا صادقًا، ونوى نيَّةً جازمة أن يعمل الخير ثمَّ منعه من ذلك الخير مانعٌ؛ فإنَّه يُكتب له أجرُ العمل الذي نوى، وهو لا يخلو من حالين:

الحال الأولى[2]: أن يكون فاعلاً للخير الذي نواه قبل المانع، مثلاً: إنسان من عادته صوم الاثنين والخميس، ثمَّ أُصيب بمرض الفشل الكلوي، فأصبح لا يستطيع الصيام، لكنه لا يزال ينوي الصيام ويريده، لكن الأطبَّاء يمنعونه؛ فإنَّ هذا يُكتب له أجرُ ذلك الصيام الذي كان يصومه قبل المانع. كذلك من كان يقوم الليل بإحدى عشرة ركعة، فأصبح مريضًا لا يستطيع القيام؛ فإنه يؤجر على إحدى عشرة ركعة؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا**

---

(١) أخرجها مسلم رقم (١٩١١)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: «شرح البخاري» لابن بطَّال (٥/ ١٥٤)، و«مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٢٣٦)، و«فتح الباري» (٦/ ١٣٦).

.....

صَحِيحًا»[1] يعني: إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل قبل المرض أو السفر، ما كان يعمل صحيحًا مُقيمًا، فالمسلم إذا كان فاعلًا للخير ثمَّ منعه مانعٌ؛ فإنه يُكتب له أجرُ ذلك الخير ما دام المانع قائمًا وإن طالت مدَّته، ما لم ينوِ قطع الخير، كما لو تبرَّم من البلاء، وقال: لو عُدت سليمًا؛ لما صُمتُ - والعياذ بالله -؛ فإن هذا قَطع لنيَّة الخير.

الحال الثانية: ألَّا يكون فاعلًا لذلك الخير قبل المانع؛ إمَّا لأنَّه لم يستطع أصلًا أو كان غافلًا، ثمَّ نوى الخير فمنعه منه مانعٌ، فإن هذا اختلف فيه أهلُ العلم، فقال كثيرٌ من العلماء: يُكتب له أجرُ العمل الذي نواه، مثاله: إنسانٌ لم يكن من عادته الصيام، فبدا له أن يصوم، فنوى أن يصبح يوم الخميس صائمًا، فأصيب بمرض في تلك اللَّيلة، وأصبح لا يستطيع أن يصوم، قالوا: يُكتَب له أجرُ صيام يوم الخميس.

مثال آخر: إنسانٌ فقير ليس عنده مالٌ يتصدَّق به، ونوى الصدقة ولم يكن تصدَّق قبلُ، لكن يقول: ليس عندي ما أتصدَّق، قالوا: فيُكتب له أجرُ الصدقة، ويستدلُّون بهذا الحديث، وهو قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ العُذْرُ**»، حيث أطلق النبيُّ ﷺ ولم يُقيِّد ذلك بكونهم فاعلين للخير قبل العذر، فهذا يدلُّ على شمول جميع الحالات، وسيأتي ما يؤكِّد ويقوِّي هذا القول في حديث الأربعة النَّفر - إن شاء الله - مع بيان دلالته.

وقال بعض العلماء[2]: إنَّما يؤجر على النيَّة، لا يؤجر على العمل، فتُكتب له حسنةٌ فقط؛ لحديث: «**ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ**»، وفيه: «**أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا**

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٩٩٦)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) انظر: «شرح رياض الصالحين» للشيخ ابن عثيمين (١/ ٣٧ دار الوطن).

رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلِ الدُّثُور بِالدَّرَجَات الْعُلَى، وَالنَّعِيم الْمُقِيم» يعني: ذهب أهلُ الأموال بالأجور، فَقَالَ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُوم، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّق، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِق، فَقَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُون أَحَد أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْل مَا صَنَعْتُمْ**» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ دُبُر كُلّ صَلَاة ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**». قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانَنَا أَهْل الْأَمْوَال مَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْله، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**»[1]. وجه الدَّلالة من الحديث: أنَّ الفقراء لمَّا جاءوا إلى النَّبيِّ ﷺ فقالوا: «ذَهَبَ أَهْل الدُّثُور بِالْأُجُورِ» لم يقل لهم: لا، أنتم مثلُهم؛ لأنَّكم تنوون الصدقة، بل أقرَّهم على قولهم: «ذَهَبَ أَهْل الدُّثُور بِالْأُجُورِ، وَالدَّرَجَات الْعُلَى»، وأرشدهم إلى عمل آخر، ولم يَكِلهم إلى النِّيَّة، ثم لـمَّا عَلِم الأغنياء بهذا الذكر عملوه، فأصبحوا مثلهم في الذِّكر، وفضلوا عليهم بالصدقة، فعاد الفقراء إلى النَّبيِّ ﷺ فأخبروه، فما قال لهم: لا، أنتم مثلهم؛ لأنَّكم تنوون الصدقة، بل قال: «ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ»، قالوا: فلو كانوا يؤجرون على العمل؛ لكانوا مثل الأغنياء، ووجه الدلالة ظاهرٌ على هذا القول، إلا أنَّ هذا القول - والله أعلم - عندي مرجوح، والراجح هو القول الأوَّل؛ وهو أنَّهم يؤجرون على العمل، لكن أجرهم لا يكون كأجر الفاعلين حقيقةً، كما سنبيِّن - إن شاء الله -، بل الفاعل أعظمُ منزلةً، وإن كانوا يؤجرون على العمل.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٨٤٣)، ومسلم رقم (٥٩٥)، واللَّفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

.....

إذًا ماذا نصنع باستدلالهم بحديث: «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى»؟

نقول: إنَّ فقراء المهاجرين أرادوا المساواة مع أهل الدُّثور من كل وجه، فأرشدهم النَّبيُّ ﷺ إلى العمل الذي يسبقون به، وهذا هو الجمع الصحيح بين هذه الأحاديث، وسيأتي مزيدُ بيانٍ في حديث أبي كبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ ❁ ❁

١٣- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[١] بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

قال الألبانيُّ: صحيح لغيره.

١٤- وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ»[٢].

قال الألبانيُّ: صحيح لغيره.

كلا الروايتين صحَّحها الشيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

ومعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»: أنَّ الناس يتفاضلون يوم القيامة في المنازل بحسَب نيَّاتهم، فالنِّيَّة مُقَدَّمَة في التفاضل، ولكن هذا لا يعني أنَّهم لا يتفاضلون بأعمالهم، بل يتفاضلون يوم القيامة بأعمالهم وبنيَّاتهم - كما سيأتي في الحديث الآخر -، فكلَّما عمل العبد العمل الصالح، وصَفَت نيَّتُه كان أعظم منزلةً يوم القيامة.

والنِّيَّة لها أثرٌ عظيم في صحَّة العمل وفضله، يعني لو أن رجلًا صلَّى لله بالليل خمس ركعات مخلصًا فيها، مُقبلًا على الله عَزَّوَجَلَّ فيها، وآخر صلَّى لله إحدى عشرة ركعةً، لكن في نيَّته خلل، لا تبطل صلاته ولكنها تكون ناقصة، فالخمس التي أخلص فيها صاحبُها أعظمُ أجرًا وأفضلُ من الإحدى عشرة ركعة التي لم يصفِّ صاحبُها النِّيَّة تصفيةً كاملةً.

---

(١) رقم (٤٢٢٩).

(٢) رقم (٤٢٣٠)، وروى أحمد الحديثين مجموعين برقم (٩٠٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُبْعَثُ النَّاسُ - وَرُبَّمَا قَالَ شَرِيكٌ: يُحْشَرُ النَّاسُ - عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

(٣) انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (١٣، ١٤).

وهنا ننبِّه على خطأ بعض الناس الذين يفهمون هذا الحديث وأمثاله بأنَّه لا نظر إلى العمل، وإنما العبرة بما في القلب، فهؤلاء إذا رأيته يفعل منكرًا من المنكرات، وقلت له: لِمَ تفعل هذا المنكر؟ قال: المهمُّ ما في القلب، فقلبي أبيضُ مثل القَشْطة! وهذا مع أنه كذب، فهو خطأ أيضًا؛ فهو كذب لأنَّه لا يمكن أن يزكو القلب ويفسد العمل، نعم يُمكن أن يَكسَل ويفتر أحيانًا، لكن أن يفسد العمل وهو يدَّعي زكاة قلبه فلا، إذ لو زكى القلب؛ زكى العمل؛ لقوله ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١).

فالارتباط بين صلاح القلوب وصلاح الأعمال لازم لا ينفكُّ، لكن بعض الناس إذا قُلت له: لِمَ لا تصلِّي مع الناس في المسجد، وتكون مع الصالحين؟ يقول لك: المُهمُّ القلب، والنَّاس يُحشرون بنيَّاتهم! نقول له: نعم يُحشر الناس بنيَّاتهم، لكن النيَّة ليست مجرَّدةً عن العمل، بل يتفاضل النَّاس بالعمل، ويتفاضلون بالنيَّة، كما سيأتي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٢)، ومسلم رقم (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

١٥- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» [وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ، [وَأَعْمَالِكُمْ][(١)]».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٢)].

هذا الحديث حديثٌ عظيمٌ يُخطئ في فهمه فئامٌ من النَّاس.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ» يعني لا ينظر الله إلى أجسامكم من حيث أنَّها خُلقت قويَّةً أو ضعيفةً، ولا ينظر الله إلى أجسامكم من حيث أنَّها بيضاء أو سمراء أو سوداء أو حمراء، ذلكم ليس من فعل العبد ولا كسبه، وليست ميزانًا للتفاضل، ولكن الله ينظر إلى ما أمرنا به في أجسامنا؛ فإنَّه من أعمالنا، وبعض الناس إذا قلت له: يا أخي أَعْفِ لحيتك، لماذا تحلق لحيتك؟ يقول: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ»، واللِّحية من الجسم، فليس لها ميزانٌ عند الله!

نقول: لا، قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ»، هذا من حيث الخِلقة، أمَّا ما أمرنا به من عملٍ في أجسامنا؛ فإنَّه ينظر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويدخل في التفاضل في الدنيا والآخرة، فقد قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْفُوا اللِّحَى»[(٣)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَفِّرُوا

---

(١) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٠٩ المعارف) (١٥): «قلتُ: زيادتان من «صحيح مسلم» (٨/ ١١)، والأخرى في روايةٍ له، ولم ينتبه لهما المعلِّقون الثلاثة. والثانية منهما ضرورية هامَّة، وقد انقلبت على بعضهم فأفسد المعنى. انظر تعليقي على «رياض الصالحين» (ص: ١٤ طبع المكتب الإسلامي)».

(٢) رقم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٨٩٣)، ومسلم رقم (٢٥٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

اللِّحَى»[١]، وقال أيضًا ﷺ: **«أَرْخُوا اللِّحَى»**[٢]، فهذه أوامر من النبيِّ ﷺ لنا في أجسادنا، فإعفاء اللِّحية عبادةٌ أمَرَ بها النبيُّ ﷺ.

وبعض النَّاس يقول: هذه سنَّة وقتيَّةٌ، يعنون أنَّها كانت سنَّةً في زمن النبيِّ ﷺ، أمَّا اليوم فلا!

سبحان الله! النبيُّ ﷺ قال: **«أَعْفُوا»، «وَفِّرُوا»، «أَرْخُوا»** وأطلق هذا الأمر، وحاشاه ﷺ أن يكون أمره مؤقَّتًا ولا يُعلِم الأمَّة به! فالشاهد أن بعض الناس يخطئ في فهم هذا الحديث.

قوله ﷺ: **«وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ»** يعني التي صُوِّرتم عليها، هذا جميل، وهذا فيه شيء من الدَّمامة، فالصور ليست ميزانًا للتفاضل عند الله، وبالتالي ليست ميزانًا للتفاضل عند المؤمنين، وإنَّما ميزان التفاضل التقوى في النِّيَّة والعمل؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال رسول الله ﷺ: **«وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»**[٣].

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: **«وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»**، وفي رواية عند مسلم: **«وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**، فالنَّاس يتفاضلون في الدنيا والآخرة بالأعمال الصالحة والنِّيَّات الحسنة، فمحلُّ الإكرام، ومحلُّ التفاضل هو العمل الصالح بالنِّيَّة الصالحة، والعمل الصالح هو الذي يكون مشروعًا، فإذا عَمِل العبد العمل المشروع

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٨٩٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٦٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالنيَّة الصالحة فضل غيره، وكان أكرم منهم في الدنيا وفي الآخرة، ممَّن لم يعمل مثل عمله، وإن كان فقيرًا، وإن كان دميمًا.

تنبيهٌ مهمٌّ: جرى على ألسنة جمعٍ من العلماء من قديم قبل البيهقيِّ وقبل النوويِّ أنَّهم يقولون الحديث بلفظ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**» هكذا وقع في «رياض الصالحين» في موطن من مواطن ذِكره[١].

وقال البيهقيُّ - بعد أن ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسنده - في كتابه «الأسماء والصفات»[٢]: «هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمَحْفُوظُ فِيمَا بَيْنَ الْحُفَّاظِ، وَأَمَّا الَّذِي جَرَى عَلَى أَلْسِنَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِمْ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**» فَهَذَا لَمْ يَبْلُغْنَا مِنْ وَجْهٍ يثْبتُ مِثْلُهُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ. وَالثَّابِتُ فِي الرِّوَايَةِ أَوْلَى بِنَا وَبِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَخَاصَّةً بِمَنْ صَارَ رَأْسًا فِي الْعِلْمِ يُقْتَدَى بِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ».

فهذا اللَّفظ مخالِفٌ لرواية مسلم الصحيحة: «**وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»، فليس لأحدٍ أن يحتجَّ بما يذكره بعضُ أهل العلم من هذا اللفظ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»، ويقول: الأعمال لا يُنظر إليها، وإنَّما العبرة بالقلب وبالنيَّة، فإنَّ هذا خطأٌ في الرواية، ومخالف للرواية الصحيحة، وكذبٌ في الحقيقة؛ فإنَّه لا يُمكن أن تصلح النيَّة ويفسد العمل، بل صلاحُ القلوب مرتبطٌ بصلاح الأعمال، وصلاحُ الأعمال مرتبطٌ بصلاح القلوب؛ بنصِّ حديث النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ذكرنا، لكن النَّاس يتفاضلون

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» بتحقيق الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (رقم ١٥٧٧، المكتب الإسلامي)، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني رقم (٢٦٥٦، المعارف).

(٢) (٢/ ٤٢٦ السوادي).

في العمل الواحد بحسَب النيَّة، فكم يصلِّي في مسجد النبيِّ ﷺ خلف الإمام؟ هم عدد كثيرٌ، ولكنَّهم يتفاضلون في الثواب، فلا يخرجون من الباب بثواب واحد، بل بحسَب نيَّاتهم وإقبال قلوبهم، فمن النَّاس من يخرج من المسجد بأجر عُشر الصلاة، ومن النَّاس من يخرج من المسجد مثلًا بأجر ربع الصلاة، ومن الناس من يخرج من المسجد بأجر نصف الصلاة[1]، وهكذا بحسَب النيَّة؛ وهذه التي يتفاوت الناس فيها تفاوتًا عظيمًا، ومنه كانت مجاهدة القلب على النيَّة من أفضل الجهاد وأشقِّ الأعمال، فقد تُجاهد نفسك على أن تحضر درس العلم وتحضر، وقد تجاهد نفسك على أن تصلِّي مع الجماعة وتصلِّي، لكن مجاهدة القلب على صفاء النيَّة شديدة، فتحتاج إلى جهاد كبير دائم؛ لأنَّه لا يطَّلع عليها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكنَّك إذا جاهدتها نِلتَ حُسن العاقبة في الدنيا قبل الآخرة، فإنَّ صفاء النيَّة جنَّةٌ في الدنيا، ونعيمٌ ولذَّةٌ لا تُدانيها لذَّةٌ، لكن الجنَّة لا تُنال إلا على جسر من التعب، ومن آثر الراحة؛ فاتته الراحة، فلابدَّ من الجهاد، ولابدَّ من المراقبة، ولابدَّ من محاسبة القلب حتى تصفُوَ النيَّة، فتزكو ويزكو معها العمل، ويزكو صاحبها ويرتفع.

❁ ❁ ❁

(١) إشارة إلى ما أخرجه أحمد رقم (١٨٨٩٤)، وأبو داود رقم (٧٩٦)، واللَّفظ له، عن عمَّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ؛ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا». والحديث حسَّنه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» رقم (٢١٢).

١٦- وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ» قَالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا.

«وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ».

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»(١).

قال الألبانيُّ: صحيح لغيره.

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَه(٢)، وَلَفْظُهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ؛ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا وَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٨٠٣١)، والترمذي رقم (٢٣٢٥).
(٢) رقم (٤٢٢٨).

وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، وَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ».

قال الألبانيُّ: صحيح.

هذا الحديث الصحيح الثابت يرويه أبو كبشة الأنماريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ»، فالنبيُّ ﷺ يؤكِّد على هذه الثلاث بالقَسَم، وهو ﷺ ليس بحاجة لأن يُقسم عند المؤمنين، بل لو أخبر النبيُّ ﷺ لصدَّقه المؤمن غير متردِّد، لكن النبيَّ ﷺ أراد أن يؤكِّد على هذه الثلاث.

ثم قال ﷺ: «وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ» يعني أذكر لكم ثلاثًا وأؤكِّدُهن بالقَسَم، فاحفظوه بلفظه، واحفظوه بالعمل بما فيه، ويُرجى لمن حَفِظ هذا الحديث طاعةً للنبيِّ ﷺ، واستجابةً لهذا الأمر، أن يكتب الله له عظيم الثواب، فإنَّ النبيَّ ﷺ خصَّ هذا الحديث بقوله: «فَاحْفَظُوهُ»، وهذا يشمل حفظه باللفظ، وحفظَه بالعمل.

هذه الثلاث التي أقسم عليهنَّ النبيُّ ﷺ أوَّلُهنَّ: قوله ﷺ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»، وهذا لا شكَّ فيه، فقد أقسم عليه النبي ﷺ مُخبرًا به، فالصدقة لا تُنقص المال أبدًا، بل تزيده، وكلَّما تصدَّق الإنسان، زاد ماله، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أنَّه كلَّما تصدَّق الإنسان بصدقة أَخلَف الله عليه، وما بالُك بأمر يكون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ! لا شكَّ أنَّه سيكون أعظمَ ممَّا أنفق المتصدِّق.

.....

الوجه الثاني: أنَّ الملائكة تدعو له، فتقول كما في الحديث: «**اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا**»[١]، فعبادُ الله المكرمون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يدعون له بأن يُخلِف الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

الوجه الثالث: أنَّ الله يُبارك له في المال فيغدو قليلُه كثيرًا بالبركة.

الوجه الرابع: أنَّ الله يجعل غناه في قلبه فيشعر أنَّه غنيٌّ، وكلَّما رُزق شيئًا من المال رآه كثيرًا، وقال: الحمد لله.

الوجه الخامس: أنَّ الله يُذهب بالصدقة الشرَّ الذي في المال، فإنَّه ما اكتسب عبدٌ مالًا إلَّا وكان فيه خير وشرٌّ، فإن تصدَّق منه ذَهَب شرُّه وبقي خيرُه، فبالصدقة يُذهب الله الشرَّ الذي في المال، فكيف لا يُنفق العبدُ في سبيل الله بعد هذا، ولو وُعد بواحدةٍ؛ لكَفت.

والمقصود من قَسَمِ النبيِّ ﷺ: أن يَحُثَّ أمَّته على الصدقة، وأن يُؤكِّد هذا الحثَّ، فكأنَّ النبيَّ ﷺ قال: ما نقص مالٌ عبد من صدقة؛ فتصدَّقوا، وقد جاء هذا في روايةٍ[٢] ولكن فيها مقال.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجها أحمد رقم (١٦٧٤)، وعبدُ بنُ حميد رقم (١٥٩ المنتخب)، وأبو يعلى رقم (٨٤٩)، والبزَّار رقم (١٠٣٣)، من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٠٥): «فِيهِ رَجُلٌ لَمْ يُسَمَّ». وضعَّف إسناده الشيخ أحمد شاكر في تخريج «المسند» (٢/ ٣١٤).
وأخرجها البزَّار (١٠٣٢)، من وجه آخر عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي إسناده عمرو ابن مجمع السكوني، وهو ضعيف؛ كما في «الميزان» (٣/ ٢٨٦).
وقد خالفه الثوري؛ فرواه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلًا، أخرجه ابنُ أبي شيبة في «المصنَّف» (٢/ ٣٥٢)، وابنُ عمشليق في جزئه (١٧ ابن حزم)، وصوَّبه الدارقطني في «العلل - الدباسي» =

.....

ثم قال ﷺ: «وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً» (بكسر اللام)، هكذا قال العلماء، وقالوا: هي ما أخذه الظالم ظُلمًا أو أوقعه ظُلمًا[1]؛ لأنَّ الظلم قد يكون بالأخذ وقد يكون بالفعل، الظالم قد يظلم أخاه بالأخذ فيأخذ كتابه أو يأخذ أرضه أو نحو هذا، وقد يكون بالفعل، وأعظمه الظلم في الدِّين بأن يبهته في دينه فيكذب عليه في دينه، فيقول مثلًا: أنا كنت معه وهو يقول: كذا وكذا، وهو يكذب عليه، أو يقول: أنا معه، وهو يسبُّ المشايخ، وهو يكذب عليه، هذا أعظم الظلم في الفِعل، أو في عرضه، فيكون مُصادقًا له عشر سنين أو عشرين سنة ثم يختلفان على أمر ديني أو دنيوي، ثم يظلمه ويكذب عليه، ويقول: أنا كنت صديقَه، وأعرف أنه ينظر إلى النساء، وهو يكذب عليه، فهذا ظلم.

فالظلم حرامٌ على كلِّ حال، فلا يجوز لك أن تظلم أحدًا؛ سواء كان يخالفك في أصل الدِّين، أو يخالفك في شيءٍ من الدين، وإن أبغضته لله من أجل مخالفته، فلا يحلُّ لك أن تظلمه، ومن الظلم أن تتكلَّم في عرضه في غير مخالفته، فبعض النَّاس مثلًا قد يأخذ على أخيه مؤاخذةً في أصل شرعيٍّ تقتضي تبديعه، فيُبدِّعه، لكن لا يكتفي بذلك،

= (٢/ ١٦٥) و(٩/ ٢١٢).

ولـه شـاهد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أخرجه البزَّار (٩٣٠ الكشف)، وقال: «مَا حَدَّثَ بِهِ هَكَذَا إِلَّا هِشَامٌ، وَلا رَوَاهُ عَنْهُ إِلا عَبْدُ اللهِ بْنُ غَالِبٍ الْعَبَّادَانِيُّ، وَقَدْ حَدَّثَ بِغَيْرِ حَدِيثٍ عَنِ الأَعْمَشِ». وفي إسناده ضعف؛ فهشام هو ابنُ عبد الرحمن الكوفي ترجم له البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ١٩٩) برواية عبد الله بن غالب العبَّاداني عنه، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وعبد الله العبَّاداني، قال فيه الحافظ في «التقريب»: «مستور».

وقد ذهب الألبانيُّ إلى تقوية الحديث، انظر: «صحيح الجامع» (٣٠٢٥)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٦٢).

(١) انظر: «الفتح»(٥/ ١٠١)، و«شرح المصابيح» لابن الملك (٥/ ٤٣٠ إدارة الثقافة)، و«مرقاة المفاتيح» (٩/ ١٣٨، الفكر، ط ١٤١٤هـ).

بل يذهب يتكلَّم عن امرأته، هي كذا...، فما علاقةُ امرأته بكونه فَعَلَ بدعة؟! لا يحلُّ لك إذا خالفك المخالف أن تظلمه أبدًا، وأهل السُّنَّة هم أهل العدل التامِّ، وما عُرف في تاريخ السُّنَّة إلَّا العدل، بدءًا من صاحبها محمد بن عبد الله ﷺ، وانتهاءً إلى علمائنا المعاصرين الذين يدعون إلى السُّنَّة ويعملون بها، فينبغي أن ينتبه لهذا طلَّاب العلم؛ فإن الشيطان حريص على أن يوقعنا فيما يُغضب الله، وقد يدخل علينا من باب غيرتنا على ديننا، أو على السُّنَّة، أو كُرهنا للبدعة، فيقودنا إلى أن نظلم أو نكذب، أو نتساهل في النقل، فنرضى بأيِّ خبر، ولو كان ضعيفًا عندنا في العادة، لكن مادام أنه في فلان الذي لا نرضاه؛ فالخبر صحيحٌ رواه الثقات! فلا ينبغي التساهل إذًا.

أمَّا ما رواه الثِّقات حقًّا؛ فهذا له شأنٌ آخر، لكن كلامنا هنا عن الظلم والتَّعدِّي لنحذره، فالحاصل أن الظلم قد يكون بالأخذ، وقد يكون بالإيقاع والفعل، وكلُّه يدخل في قول النبيِّ ﷺ: «**وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً**» والظلم ظلماتٌ يوم القيامة؛ ولذلك نوَّه النبيُّ ﷺ بمن وقع عليه هذا الظلم فصبر: «**وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا**»، الله أكبر! أين هذا الرجل الذي يُظلم فيصبر فيعفو، فيكفُّ لسانه فلا يقول إلَّا خيرًا، ويكفُّ جوارحه عن البطش والأذى.

والإنسان إذا أصابته مظلمة لا يخلو من ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: أن ينتصر من ظالمه بالطريق المشروع، وهذا جائزٌ لا عيب فيه.

الحالة الثانية: أن يعفُو عمَّن ظَلَمه، وهذا خيرٌ له، وهو عملٌ صالحٌ يُثابُ عليه، ويزداد به عزًّا في الدنيا والآخرة.

.....

الحالة الثالثة: أن يعتدي على ظالمه، كمن ظُلم مرَّة، فانتقم عشرًا، وهذا ينقلب من كونه مظلومًا إلى كونه ظالمًا، ومن كونه منصورًا إلى كونه منصورًا عليه؛ لأن ظلم غيرك لك لا يسوِّغ لك أن تظلمه، وإنَّما يسوِّغ لك أن تنتصر منه، وإن عفوت؛ فذلك خير.

وقوله ﷺ: «**إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِـزًّا**» أي: لا تظنَّ أنَّ صبرك على مَن ظلمك ذلٌّ، بل واللهِ إنَّه عزٌّ ورفعة، قال العلماء: ومفهوم الحديث أن الله يزيد الظالم إن أصرَّ على ظلمه ذُلًّا وهوانًا، يعني: لـمَّا كان الله يزيد المظلوم الصابر عِـزًّا؛ فإنَّه يزيد الظالم المتكبِّر ذُلًّا، ولربَّما أدال الله الدولة، فجعل المظلوم فوق الظالم.

والمقصود: أنَّ النبيَّ ﷺ يحثُّنا على الصبر والعفو عند الظلم، فمن مكارم أخلاق المؤمن أنَّه إذا ظُلم صبر، وذلك يزيده عزًّا بنصِّ هذا الحديث.

ثم قال ﷺ: «**وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْـأَلَةٍ**» أي: سؤال الناس من غير حاجة ولا ضرورة، وإنَّما للتكثُّر والزيادة، كمن يكون عنده ما يكفيه ومن يعول، ويذهب يسأل النَّاس ويستجدي بالكذب؛ أنَّه لا يملك قُوت أطفاله وأنه لا يجد ما يُطعمهم رغبةً في الازدياد من المال وشرهًا في الجمع، وهذا الحديث يدلُّ على حُرمة المسألة من غير حاجة ولا ضرورة؛ لأن الله رتَّب عليها عقابًا، فقال النبيُّ ﷺ: «**إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**» فلا تحلُّ المسألة للمستكثر، ولا لمن يريد الزيادة، وإنَّما تحلُّ المسألة لثلاثة؛ كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم[1]، فعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الهِلَالِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «**أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ**

(١) برقم (١٠٤٤).

بِهَا»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ؛ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا». فما عدا هؤلاء الأصناف الثلاثة فالمسألة حرامٌ عليهم.

قوله ﷺ: «وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ» يريد بها الزيادة، «إِلَّا» عاقبه بضدِّ قصده، و«فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»؛ أي أنَّ الله يفتح عليه باب الفقر فيظهر عليه الفقر، وكلَّما زاد في المسألة؛ زاد ظهورُ الفقر عليه أمام الناس، ولا ينتفع بماله الذي يجمعه، فترى -مثلًا- أحدهم أوَّل ما يبدأ السؤال يكون عليه ثوبٌ متواضع شيئًا ما كسائر الفقراء، ثمَّ إذا صار يجمع المال، اتَّسخ ثوبُه! ولا يظهر عليه من الغنى شيءٌ، ثم إذا انهمك في المسألة؛ صار الثوب مقطَّعًا! أو تراه كان يملك سيارة مصنوعة سنة ثمانين، وبعد المسألة رجع إلى سيارة مصنوعة سنة سبعين، وربَّما صار بلا سيارة، هذا هو المقصود من قول النبيِّ ﷺ: «فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ» وفسَّر هذا أهل العلم بأحد ثلاثة أوجه[1]، ففي قول بعض أهل العلم، أنه لا ينتفع المتسوِّل بذلك المال، بل يأخذه ويدَّخره ثم يموت ويتركه، ولذلك نسمع أنَّ متسوِّلةً في مدينة كذا توفِّيت ووُجد عندها مليون كذا، وكانت تعيش في غرفة حقيرةٍ؛ لأن الله عاقبها فحرمها من الانتفاع بذاك المال، فلا تعجب من هذا؛ هذا وجه.

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣١٨٦، ٣٣٠٨)، و«تحفة الأحوذي» (٦/ ٥٠٧).

والوجه الثاني: أنَّ الله يَسلب منه ما كان معه من المال، حتى يصبح فقيرًا، فيذهب ما كان عنده من المال، ويسلبه الله ما يحصِّله، فيصبح فعلًا فقيرًا لا شيء عنده.

الوجه الثالث: أنَّ الله يجعل فقره بين عينيه فلا يرى إلا فقرًا؛ لأنَّ الله جعل الفقر بين عينيه كلَّما نظر رأى الفقر، الخزينة تمتلئ والقلب يفرغ، لا يرى إلا الفقر، وكل هذه الوجوه صحيحة، وهذا ليس اختلاف تضادٍّ، وإنَّما اختلاف تنوُّع، فمعنى أن يفتح الله عليه باب الفقر أن يظهر عليه الفقر فيما يراه الناس، ويسلبه الله ما معه ولو بعد حين، قد يكون هذا، وقد يشاء الله غير هذا، ويجعل فقره بين عينيه، فالمسألة ليست أمرًا هيِّنًا، بل المسألة خطيرةٌ جدًّا!

والمقصود: أنَّ النبيَّ ﷺ يريد من هذا أن يؤكِّد على أمَّته ألَّا يسأل المسلم الناس شيئًا إلا عند الحاجة أو الاضطرار.

هذه هي الثلاث التي أقسم عليهنَّ النبيُّ ﷺ.

ثم قال النبيُّ ﷺ: **«وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ»**، والحفظ هنا يدخل فيه أمران:

الأمر الأول: حِفظ الألفاظ؛ بأن يحفظه الإنسان ويستظهره عن ظهر قلب.

الأمر الثاني: حفظ العمل؛ بأن يعمل المسلم بما فيه من خير، ويجتنب ما حُذِّرَ منه من شرٍّ.

وقوله ﷺ: **«إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ»** يعني أنَّ أصناف الناس في الدنيا أربعة؛ صنفان محمودان، وصنفان مذمومان، ولا يخرجون عن هذه الأربعة، فاسمعها واحفظها، وانظر في أيِّ درجةٍ أنت!

قال ﷺ: «عَبْدٌ» بالرفع على الاستئناف، أو «عَبْدٍ» بالجرِّ على البدلية، «رَزَقَهُ اللهُ مَـالًا وَعِلْمًـا» أي: علمًا نافعًا ينتفع به في ماله، كما سيأتي - إن شاء الله - في الرواية الأخرى، قال العلماءُ[1]: وهذا يدلُّ على أنَّ المال والعلم كلاهما من رزق الله، فلا تحسبنَّ أنَّك بذكائك وكثرة الدروس والشيوخ تُحصِّل العلم، ولكنها أسباب، وإنَّما أصلُ تحصيل العلم رزقٌ من الله لمن بذل سببه، وليس لمن قعد في البيت وقال: العلم اللَّدُنِّي! يقولون للرجل: قم وتحدَّث، افتح فمك؛ يفتح الله عليك! وهو ما عنده شيءٌ!

فالعلم يُؤتيه الله ويرزقه مَن بذل سببه، فاطلُبْه من بابه، فأخلص لله فيه، واسأل الله في دعائك أن يزيدك علمًا؛ كما قال الله لنبيِّه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ومهما بلغت من العلم فلا تغترَّ؛ فإنَّ الرزق كما أُوتي يمكن أن يُسلب فينسى، أو يُسلب منه البركةُ، ويصبح العلم وبالًا على صاحبه.

قال ﷺ: «فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ» يعني: لا يستعمله في حرام، ولا يشتري به حرامًا، وإن خالف مراد زوجته وأولاده الذين هم أحبُّ الناس إليه. وإنَّما يجعله في الطاعة أو المباح ولا يصرف منه شيئًا في حرام؛ لأنه يَعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي رزقه، وأنه يجب عليه أن يشكر الله على هذه النعمة، ومن شُكر الله على النعمة ألَّا تستعملها فيما حرَّمَ الله، بل تحبسها على طاعة الله، فمن النِّعم التي أنعم الله بها عليك النَّظرُ، ووالله لو اجتمع أطبَّاء الدنيا ما استطاعوا أن يُعطوك هذه النعمة، فواجبٌ عليك أن تشكرها، ومن شكرها أن لا تنظر بها إلى حرام، لا إلى امرأة لا تحلُّ لك، ولا إلى صور محرَّمة، ولا إلى أفلام خبيثة، والمالُ نعمةٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، فمن شُكر الله على هذه النعمة أن

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح» (٩/ ١٣٩).

لا تصرف شيئًا من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ من هذا المال فيما حرَّمَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن طلَبَ منك النَّاسُ الحرام؛ فإن الله الذي نهاك عن الحرام أعظم في نفسك من هؤلاء، الله الذي تعظِّمه في الصلاة بقولك: (الله أكبر)، هو أكبرُ من كلِّ شيءٍ؛ إذا طلب منك أولادك الحرام؛ فاعلم أن محبَّة الله أحقُّ أن تُطلب، فقدِّم أمره عز وجل، وإذا سألتك زوجتك شيئًا حرامًا؛ فاعلم أن رضى الله أعظمُ، فالتمسه في طاعة أمره واجتناب نهيه عَزَّوَجَلَّ.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ» أي: أنه يُنفق منه على ذوي الأرحام، وهذا من أحسن ما يُنفق فيه المال، ولذلك خصَّه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبدأ به، فصلة الرحم بالمال من أعظم الصِّلة، من غير منَّةٍ عليهم، بل بتواضع لهم، وإحسان وإكرام، فمن أحسن البرِّ أن تعطي أباك من غير أن يسألك، وتقول: يا أبي تفضَّل عليَّ بقبول هذا المال؛ فإنَّك سببٌ فيه، والمنَّة بعد الله لك! وتذهب إلى عمِّك، وتُقبِّل رأسه، وتقول: يا عمَّاه خُذ هذا المال، وتفضَّل عليَّ فلا تردَّه، واللهِ إنَّ المنَّة لك بعد فضل الله! وتذهب إلى خالتك فتلاطفها وتقبِّل رأسها، وتجود عليها من مالك، وتتودَّد إليها؛ تقول: يا خالة، والله إنِّي أحبُّك، وهذا شيءٌ من فضل الله عَزَّوَجَلَّ، والمنَّةُ لكِ. وكثيرٌ من الناس لا يعرف حقَّ الخالة، وهي بمنزلة الوالدة[1]، فمن لم تكن له والدة؛ فليبرَّ خالتَه، فمن النَّاس إذا ماتت أمَّه تأسَّف على تفريطه في برِّها، وتمنَّى أن لو بقيت فيُحسنَ إليها؛ لأنه حينئذ تفجَّرت ينابيع الرحمة من قلبه، لكنَّه يغفل عن برِّ خالته، فنقول له: اذهب وبُرَّ بخالتك؛ فإن الخالة بمنزلة الأمِّ.

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه البخاري رقم (٢٦٩٩)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ».

.....

ومن العجيب أن الله عَزَّوَجَلَّ جَعَل المال طريقًا للصلة، وجَعَل الصِّلة طريقًا للمال! فمن أراد أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أجله؛ فلْيَصل رحمه، فسبحان الله! وهاهنا لفتةٌ لطيفةٌ؛ وهي أنَّك إذا أنفقت المال في صلة الرحم؛ زاد مالُك بوجهين:

الوجه الأول: أنه صدقة؛ لقوله ﷺ: «**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**».

الوجه الثاني: أنه صِلةٌ؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١).

قوله ﷺ: «**وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا**» أي: عِلمًا عامًّا؛ يعلم الحقَّ الواجب، فيُزكِّي الزكاة المفروضة، ويعلم الحقَّ المستحبَّ، فيتصدَّق ويُنفق على الفقراء والمحتاجين.

ثم قال ﷺ: «**فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ**»: يعني هو أفضل النَّاس منزلةً، فإذا أردت أن تكون بأفضل المنازل؛ فاحرص على العلم، فالعلم أشرفُ ما يُطلب إذا صحَّت النيَّة، وتصرَّف في مالك بما يحبُّ الله ويرضى.

ثم قال ﷺ: «**وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا**» أي: لم يرزقه مالًا زائدًا عن حاجته، وإنَّما الذي عنده يكفيه ليُقيم حياته، وينفق النَّفقة الواجبة.

قوله ﷺ: «**فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ**» فيه دليلٌ على أنَّ النيَّة قد تكون صادقة، وقد تكون كاذبةً، والمقصود بالنيَّة الصادقة هي النيَّة الجازمة التي أشعر بها العبد قلبَه وحَرِص عليها، وهي التي لا تردُّد فيها، وما عداها؛ فليست نيَّةً صادقة.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٦٧)، ومسلم رقم (٢٥٥٧)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

.....

قال ﷺ: «يَقُولُ» بلسان المقال أو بلسان الحال، ولا يُشترط أنَّه يكون هذا باللسان، لكنه يَعزم بقلبه على هذا الأمر: «لَوْ أَنَّ لِي مَالًا؛ لَعَمِلْت بِعَمَلِ فُلَانٍ»، فلم يقل: لو أنَّ عندي مالًا لبنَيْت قصرًا، واشتريت طائرةً خاصَّةً، وسافرت إلى بلدان الدنيا وفعلت، مثل أحلام كثير من الناس التي يسمُّونها أحلام اليقظة! بل قال: «لَعَمِلْت بِعَمَلِ فُلَانٍ» أي: الأوَّل، فاتَّقيتُ فيه ربِّي، ووصلت به رحمي، وأظهرتُ فيه حقَّ الله؛ لأنه عالم.

قال ﷺ: «فَهُوَ بِنِيَّتِهِ» أي: مُحاسَبٌ بنيَّته، فيُثيبه الله بهذه النيَّة على ما نوى لا على النيَّة، يعني يُثيبُه على ما نواه من العمل لا على النيَّة فقط.

ثمَّ قال ﷺ مؤكِّدًا هذا المعنى: «فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ» أجر الأول والثاني سواء، قال المحقِّقون[1]: معنى «فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ» أي: أنَّهما يؤجران على العمل، لا أنَّهما يستويان في قدر الثواب، فهُما يشتركان في الأجر على العمل؛ فالأوَّل يؤجر على العمل، والثاني يؤجر على العمل كأنَّه قد عَمِل، لكنَّهما لا يستويان في قدر الثواب، فلا شكَّ أنَّ العامل أكثر أجرًا من الناوي.

قد يأتي أحدُ طلَّاب العلم - وله حقٌّ - فيقول: كيف يكون العاملُ أفضل، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ»؟!

الجواب: الدَّليل من نفس الحديث؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال في الأوَّل: «فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ»؛ إذًا فهو أفضلُ من الثاني، وما دام أنَّه أفضل من الثاني؛ فهو أكثرُ ثوابًا.

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٢١).

ويدرك المسلم هذا بأن يعلم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ وَعَد المؤمنين وعدًا مُلزِمًا للجميع، وهو أن يُثيبهم على الحسنة المقبولة بعشر حسناتٍ، وهذا يحصل لكلِّ مؤمن قُبِل عملُه، إلَّا إذا كان هناك خللٌ من عنده، ثمَّ يُضاعف الله من فضله إلى سبعمائة ضعفٍ ويزيد؛ فمثلًا المصلُّون في المسجد النبويِّ، إذا خرجوا من صلاتهم وكانت مقبولةً؛ لم يؤجروا بأقلَّ من عشر حسنات؛ لكن يختلفون في التضعيف الزائد، وكون الصلاة في المسجد النبويِّ خيرًا من ألف صلاة فيما سواه هذا شيءٌ آخر؛ لأنَّه قد يؤجر العبد بأجر عشر صلواتٍ مضروبة في ألفٍ أو أكثر؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ**»(١)، فقوله ﷺ: «خَيْرٌ» دليلٌ على أنَّ الصلاة في مسجد النبيِّ ﷺ غير محدودة بألف صلاة، وإنَّما هي «**خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ**»، فالله أعلم كم تكون هذه الخيرية، لكنَّها دون المائة ألف؛ لأنَّ الصَّلاة بمسجد الكعبة بمائةِ ألفٍ، والصَّلاة في مسجد النَّبيِّ ﷺ دونها.

فهؤلاء المصلُّون منهم مَن يَخرج بأجر عشر صلوات، ومنهم مَن يخرج بأجر مائة صلاةٍ، ومنهم من يخرج بأجر سبعمائة صلاة، ومنهم مَن يَخرج بأجر لا يعلمه إلَّا الله، وهكذا الأمرُ بالنِّسبة لهذين الصِّنفين العامل والناوي العاجز عن العمل، فكلاهما يشتركان في أجر العمل، لكن الذي عَمِل أكثرُ ثوابًا من الذي نوى ولم يعمل، وهذا دليلٌ على ما قدَّمناه، وهو أنَّ المؤمن إذا نوى الخير صادقًا، ومنعه من عمله مانعٌ، يُكتب له أجرُ العمل الذي نواه، مثاله: إنسانٌ بلغه أن قريبًا له أو جاره مريضٌ وكان في حلقة علميَّة في المسجد، فنوى أن يعوده بعد العشاء إذا خرج من المسجد، فبعد ما صلَّى العشاء جاءته

(١) أخرجه البخاري رقم (١١٩٠)، ومسلم رقم (١٣٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رسالة أن ذاك المريض تُوفِّي، فصار لا يستطيع أن يعوده؛ لمانع الوفاة، فيُكتب له أجرُ عيادة المريض كأنَّه ذهب وعاده، ليس أجر النِّيَّة فقط، وإنَّما أجرُ عيادة المريض. ومثلُه إنسانٌ عَلِم عظيم ثواب زيارة المسلم أخاه في الله، لا لحاجة دنيويَّة، فقال: غدًا إن شاء الله، سأزور أخي في الله، ففي الغد أُخبِر أن فلانًا سافر إلى مكَّة، فيَكتُب الله له أجر زيارة أخيه كأنَّه قد زاره، وهذا ظاهرٌ في قول النبيِّ ﷺ: «**فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**»، فمعنى هذا أنَّه يؤجر على العمل.

وقوله ﷺ: «**وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا**» فيه دليلٌ على أنَّ المال بدون تقوى نقمةٌ على صاحبه وليس نعمة؛ قال ﷺ: «**فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ**» أي أنَّه يصرفه في أوجه الدنيا بغير علم، مرَّة في الحرام، ومرَّة في الحلال، فهو على غير هدى.

قال ﷺ: «**لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ**» أي: لا يتَّقي الله في المال، بل يأخذه بالحرام، ويصرفه في الحرام، ولا يقف عند حلال أو حرام في مصادر المال، إذا سمع العلماء يقولون: هذه المعاملة حرام؛ هو يقول: المهمُّ كم تُدخِل! فأنتم متشدِّدون؛ لو أطعناكم عِشْنا على بساط الفقر، كلُّ شيءٍ عندكم حرام! فالحلال عنده ما حلَّ في جَيبه، ومنهم من يكون وكيلًا على أيتام فيأكل مالهم، ويصرفه في الحرام؛ يقول: أنا كم مرَّةً سأعيش في الدنيا! ونقول له: صحيح ستعيش في الدنيا الدنيَّة مرَّةً، لكن كم ستعيش في الآخرة؟! إنَّها حياةٌ مؤبَّدة...، لكن لجهله يقول: متِّع نفسك؛ كم ستعيش...! هي مرَّة واحدةٌ! والعجيب أنِّي سمعت مرَّة واحدًا منهم يقول: كلُّنا سنمُوت!! لكن لو كنت تعقل؛ لكان هذا داعٍ لك إلى أن تتَّقي الله، لكنَّه عكس الأمر؛ فقرَّر أنه ما دام سيموت، ولن يأخُذ المال معه، فإنه يتصرَّف فيه في الدنيا ويتمتَّع به كما شاء! وهذا غاية الجهل!

قولـه ﷺ: «وَلَا يَصِلُ فِيـهِ رَحِمَهُ» تجده يعيش أنعم حيـاة، ورَحِمُه في أبأس حياةٍ، ولربَّما كان والدُه يُعاني الأمَرَّين، تراه يأكل الشَّهد واللَّحم مع أولاده في بيته، ولربَّما يمـرُّ الشـهر والشـهران والثلاثة على أبويـه لم يريا فيها لحمًا، وتـراه يتنعَّمُ بأنـواع الفاكهة والحلـوى، ولربَّما كانت خالته محتاجة إلى لباسٍ يسـترها، ولا يَلتفت إليها، حتَّى يتصدَّق عليها النَّاس، وهذا دليلٌ على قُبح حرمان الرَّحم من الصِّلة.

قولـه ﷺ: «وَلَا يَعْمَلُ لِلهِ فِيـهِ حَقًّا» يعني: إذا قيل له: أدِّ الزَّكاة؛ قال: لمن، للفقراء يشـاركونني في مالي! ما فعلوا معي شـيئًا...، أنا الذي تَعبْت فيه...! وإذا قيل له تصدَّق؛ يقول: أُنقص مالي! وهذا لجهله وحرصه.

قولـه ﷺ: «فَهَـذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَـازِلِ» إذًا فلا تغبط عبـدًا على مال بغير علم ولا تُقًى؛ فإنَّه في منزلة دنيَّةٍ.

ثمَّ قال ﷺ: «وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا» لكنَّه يتمنَّى أن يكون مثل الثالـث؛ «فَهُـوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَـالًا لَعَمِلْت فِيهِ بِعَمَلِ فُـلَانٍ» أي: الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ»، فهو يقول: أنا لو كان لي مالٌ؛ لعمِلتُ بمثل فلانٍ، فقلبه متعلِّق بالدنيا مفتونٌ بها؛ يقول: ليتني مثل ذاك المتنعِّم، انظروا إلى عيشته؛ إنه يعيش عيشة الأمراء.

قال ﷺ: «فَهُوَ بِنِيَّتِهِ» أي: أنَّه مُحاسـبٌ بنيَّتـه، وقال ﷺ: «فَوِزْرُهُمَا سَـوَاءٌ» أي: أنَّـه يأثـم كأنَّه قـد عَمِل مع أنَّه لم يعمـل، فالذي يريد الحـرام عازمًا عليه غير مـتردِّد فيـه، لكن يمنعـه من ذلك مانـع، وما حال بينه وبـين الحرام إلَّا ذلـك المانع، فإنَّه يُكتـب عليـه وزرُ العمـل، ليس سـيِّئة النيَّة فقط، بل يُكتـب عليه وزرُ العمـل، مثالُه من

السُّنَّة قولُ النَّبيِّ ﷺ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا؛ فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قال أبو بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»(١)، كان عازمًا على قتل صاحبه، لكن الذي منعه أنَّ الأوَّل سبقه فقتله، ولو بقي لقتل صاحبَه.

إذًا لو أنَّ إنسانًا كان في فندق فَنَوى - والعياذ بالله - أن يشرب الخمر جازمًا عازمًا حريصًا غير متردِّد، فرفع السماعة، واتَّصل على خدمة الغرف، فسألهم: أعندكم خمرٌ؟ فقالوا: لا، نفد اليوم؛ فهذا يُكتب عليه وزرُ شرب الخمر، والحمد لله الذي سلَّمَ بلادنا من مثل هذه الفنادق، وأسأل الله أن يزيدها خيرًا وبركةً.

وسيأتينا - إن شاء الله - مزيدُ تفصيل في أحكام النِّيَّات؛ متى يأثم الإنسان بنيَّة الحرام ومتى لا يأثم. لكن في مثل هذه الحالة يأثم؛ لأنه نوى الحرام عاقدًا قلبه جازمًا غير متردِّد حريصًا على فعله، لكن منعه من الحرام مانعٌ، فيُكتب عليه وزرُ العمل، لكنَّه ليس كالذي عَمِل، بل الذي عَمِل أشدُّ، فهؤلاء هم الأصناف الأربعة، والنَّاس في النِّعم على هذه الأصناف الأربعة، وذِكرُ المال في الحديث ليس حصرًا، وإنَّما هو مثالٌ للنِّعم، فكلُّ نعمة الناس فيها أصناف أربعة، فانظر إذا أنعم الله عليك بنعمةٍ أو حُرمتَها؛ فرأيتها من أيِّ الأصناف أنتَ؛ لأنَّ الناس الذين أنعم الله عليهم بنعمةٍ ينقسمون إلى قسمين:

❁ قسم يشكر الله على النِّعمة، فيستعملها في طاعة الله.

❁ وقسم يَكفُرُ بالنعمة، فيستعملها فيما حرَّم الله.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣١)، ومسلم رقم (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والناظر إليهم صنفان:

❁ صنفٌ ينوي أنَّه لو أُنعِمَ عليه بهذه النِّعمة؛ لعَمِل بها بمثل عمل الشاكر، فهو بنيَّته، فأجرهما سواء.

❁ وصنفٌ ينظر بنيَّته إلى عمل الكافر بالنِّعمة؛ فوزرهما سواء.

ولَمِن فضل الله علينا أنَّه ليس في أمَّة محمَّد ﷺ محروم إنْ وُفِّق، فإنَّك لو لم تُرزق النِّعمة، فإذا عرفتها ورأيتها، ونويتَ أنَّك لو رُزقتها جعلتها في خير؛ أُجِرتَ على هذا؛ ولذلك جاء في الحديث الآخر: «لَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ»(١).

وجاء في رواية ابن ماجه بعضُ التفسير؛ ولذلك أوردها الحافظ المنذريُّ عقب الحديث، وفيها قال النبيُّ ﷺ: «مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ» أي: أنَّ هؤلاء الأصناف الأربعة من هذه الأمَّة، فالكلام ليس عن الكفَّار، وليس عن تقسيم النَّاس إلى مسلمين وكفَّار، وإنَّما هؤلاء الأصناف من أمَّة محمَّد ﷺ.

قال ﷺ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ»، فذكر فيه أثر العلم فقال: «يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا وَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ» وهذا تفسيرٌ لقوله في اللفظ الأوَّل: «لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ»، يعني: يُنفق ماله في غير حلِّه، وفي غير ما أذِن الله فيه، بل يُنفقه في الحرام.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٣١)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

....

قال ﷺ: «وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، وَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ»؛ هذا ما في هذا الحديث العظيم.

❁ ❁ ❁

١٧- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، زاد في رواية[1]: «أَوْ مَحَاهَا، وَلَا يَهْلِكُ [عَلَى] اللهِ إِلَّا هَالِكٌ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[2].

الله أكبر! الله أكبر! هذا بشارةٌ من رسول الله ﷺ؛ فاقبلوها.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ» هذا الحديث يسمَّى الحديث القدسي، وهو أن يروي النبيُّ ﷺ عن رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وقد اتَّفق العلماء على أن الحديث القدسي معناه من الله، واختلفوا في لفظه؛ هل هو من الله أو من رسول الله ﷺ؟

والصحيح: أنَّ معناه من الله، ولفظُه من النبيِّ ﷺ، ومعنا في هذا الحديث شاهدٌ لهذا القول؛ فإن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذكر أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ»، فمن الذي قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ»؟! فابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يروي الحديث هنا بالمعنى؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أسنده إلى الله، وستأتي بعضُ ألفاظه، فلو لم يكن اللَّفظ من رسول الله ﷺ؛ لما رواه ابن عبَّاس

---

(١) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الرواية من أفراد مسلم دون البخاري؛ خلافًا لما يُوهمه صنيعُ المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ، كما نبَّه عليه النَّاجي (٩/ ١)».

(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٤٩١)، ومسلم رقم (١٣١).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالمعنى، فابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضيفه إلى الله، ففهمه عنه وحكاه لنا بالمعنى.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسِّيِّئَاتِ**»، قال بعض أهل العلم(١): أي: قدَّرَها، فالله كَتَب هذه الحسنات وهذه السيِّئات، وهي الكتابة التقديرية وهي إحدى مراحل القدر، فكتبها وقوعًا، وكَتَب من يعمل بالحسنة ومن يعمل بالسيِّئة، فهل إذا عَلِمنا هذا نترك العمل بالحسنة والعمل بالسيِّئة، ونقول: قد قدَّر الله؟

الجواب: لا؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(٢)، ثم إنَّ الإنسان قبل وقوع الفعل لا يدري هل كتبه الله ممَّن يعملون الحسنات، أو ممَّن يعملون السيِّئات، فاختر لنفسك في أيِّ الحزبين تكون، فقبل وقوع الفعل أنت الذي تختار؛ لأنَّك لا تعلم في أيِّ الحزبين كُتِبت، فأنت تختار لنفسك طريق الحسنات أو طريق السيِّئات، والعياذ بالله!

وقال بعضُ أهل العلم(٣): معنى كَتَبَها أي: جَعَل الحسنة حسنةً، وجعل السيِّئة سيِّئةً، فكلُّ ما أمر الله به فهو حسنٌ في ذاته، وكلُّ ما نهى الله عنه فهو قبيح في ذاته، أهل السُّنَّة والجماعة يقولون: كلُّ ما أمر الله به فهو حسنٌ في ذاته، إلَّا أمر الابتلاء وسيأتي توضيحه.

وهذا الحُسن قد نُدركه بعقولنا وقد لا نُدركه بعقولنا، فإذا أمرنا الله به عَلِمنا أنَّه

---

(١) انظر: «الإفصاح عن معاني الصحاح» لابن هبيرة (٣/ ٧٨، الوطن)، و«الفتح» (١١/ ٣٢٤)، و«إرشاد الساري» (٩/ ٢٨٠)، و«مرقاة المفاتيح» (٥/ ٢١٠).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٩٤٩)، ومسلم رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) انظر: «الكواكب الدراري» (٢٣/ ١٣)، و«عمدة القاري» (٢٣/ ٧٩).

حَسَنٌ، وهو لا يُخالف العقل، فمثلًا: أمرنا الله بالصِّدق، وكلُّ عاقلٍ يَعرف أنَّ الصدق حسنٌ، والكذب قبيح، فكثيرٌ من الكفَّار قبل بعثة النبيِّ ﷺ يستحسنون الصدق، ويستقبحون الكذب، ويمدحون الرجل بأنَّه صادقٌ؛ ولذلك كانوا يسمُّون الرسول ﷺ قبل البعثة بالصادق، وكذلك في قصَّة أبي سفيان رضي الله عنه لـمَّا ذهب إلى هرقل مَلِك الروم - وكان ذلك قبل أن يُسلم - وسأله عن النبيِّ ﷺ؛ لم يكذب عليه، مع أنَّه كان يُعاديه ويُقاتله، وخشي أن تؤثَر عنه كِذبةٌ[1]، وإلى الآن تجد بعض الكفَّار يستقبحون الكذب ويستحسنون الصدق، وكثير منهم إذا أحضِر إلى المحكمة، وأقسم بقسم المحكمة لا يستطيع أن يكذب، وللأسف! ترى الكثير من المسلمين اليوم يكذبون في كل شيء حتى صار الكذبُ عندهم أحلى من السُّكَّر، وقد أضاع كثيرٌ من المسلمين أخلاقهم.

والشاهد: أنَّ هذا يدلُّنا على أنَّ الصدق يُدرك حُسنَه العاقل، والله أمرنا به، وكذلك العفَّةُ يُدرك العاقل حُسنها، وخاصَّةً عن نساء الجيران، يُدرك كلُّ عاقل أنَّها حسنةٌ، وقد كان عنترةُ يقول:

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا[2]

يعني: لا يقف وراء المنظار عند الباب ينظر في امرأة الجار وهي بارزة، فالعفَّة حسنة في العقل، مأمور بها في الشرع.

---

(١) أخرجها البخاري رقم (٧)، ومسلم رقم (١٧٧٣)، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربّه الأندلسي (٦/ ٣، الكتب العلمية)، و«نهاية الأرب في فنون الأدب» لأحمد النويري (١٥/ ٣٣٨ الكتب والوثائق).

وكوننا مأمورون بالصلاة هذا أمر حسن في ذاته، وكونُنا نصلِّي أربع ركعات في الظهر هذا حسنٌ في ذاته، لكن لا نُدركه بالعقول ابتداءً، إنَّما علمنا حُسنه لـمَّا أمرنا به ربُّنا عَزَّوَجَلَّ، وعقولنا لا تأبى حُسنه.

إلَّا أمر الابتلاء؛ وهو ما يبتلي الله به العبد ليتبيَّن هل يفعلُ أو لا يفعل، فإن العلماء قالوا: حُسنُه في الاستجابة، وليس في ذاته، وهذا قليلٌ جدًّا، ومثاله: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أمر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يذبح ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ - وهو الراجح من قولَي العلماء -، فكَون الأب يذبح ابنه ليس حسنًا في ذاته، لكن هذا أمر ابتلاء، وحُسنه في امتثال العبد؛ ولذلك لـمَّا امتثل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فأضجع ابنه للذبح وتلَّه للجبين؛ فداه الله بذبحٍ عظيم، ولم يقع الذبح؛ لأن الحُسن لم يكن في الذبح، وإنَّما كان في الامتثال؛ حيث أقدم الأب الذي حُرم من الابن طويلًا، ورُزقه على كِبر سنِّه، لـمَّا أُمِر بذبحه لم يتردَّد، ولا تردَّد الابنُ كذلك: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٢]، يعني: امتثلا أمر الله(١).

وكلُّ ما نهى الله عنه فهو قبيح في ذاته؛ وهذا القُبح قد يُدركه العقل، وقد يَعلمه بعد أمر الشرع، فالزنا يُدرك كلُّ عاقل قُبحه، وقد نهانا الله عنه.

إذًا المعنى الثاني لقول النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» أي: جعلها حسنةً وجعلها سيِّئةً، فكلُّ ما أمر الله به فهو حسن، وكلُّ ما نهى الله عنه فهو قبيح.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٠٣)، و«منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٣/ ٢٠٢-٢٠٣، جامعة الإمام).

.....

وقال بعض أهل العلم[١]: معنى ذلك أنَّ الله كَتَب ثواب الحسنات، وكَتَب عقاب السيِّئات، وهذا أقربُ المعاني - والله أعلم -؛ لأنَّه هو الذي فُصِّل في الحديث، أعني: الثَّواب والعقاب.

قوله ﷺ: «ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ» أي: أظهره للخلق، فأظهر لهم ثواب الحسنات وعقاب السَّيِّئات.

قوله ﷺ: «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ» أي: أرادها إرادةً جازمةً مُحبًّا لها، عازمًا وحريصًا عليها.

قوله ﷺ: «فَلَمْ يَعْمَلْهَا» أي: لغير مانع؛ لأنَّه إذا لم يعملها لمانع فقد قدَّمنا أنَّه يؤجر أجر العمل. فمثلًا: شخصٌ نوى ليلة الخميس أن يصوم يوم الخميس نيَّةً جازمةً، وكان حريصًا على الصيام، وقبل الفجر جاءه والده وقال: يا بُنيَّ اذهب بي الآن إلى مكَّة، ففي هذه الحال نقول: إنَّه إن استجاب لأبيه يكون تركُه لمانع؛ لأنَّ طاعة أبيه واجبةٌ في غير معصية الله.

مثال آخر: شخص نوى ليلة الخميس أن يصوم يوم الخميس صادقًا جازمًا، وقبل الفجر اتَّصل به زميله فقال: ما رأيك لو نذهب نتجوَّل في الحديقة الفلانية! فقال: أنا نويت أن أصوم، فقال: الخميس كثير، إن شاء الله مرَّة أخرى وصم، فترك الصوم وذهب مع صاحبه، هنا في هذه الحال يكون تركه لا لمانع، ومع ذلك يكتُبُ الله له حسنةً كاملةً

---

(١) انظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (٣/ ٣٢٢)، و«شرح الأربعين» لابن عثيمين (ص: ٣٧٢، الثريا).

.....

غير منقوصة، فمن نوى الخير صادقًا عازمًا حريصًا على الخير، لا على سبيل اللعب والاستخفاف، فلم يعمل ذلك الخير لغير مانع؛ فإنه تُكتب له حسنةٌ كاملة.

وهنا لطيفةٌ؛ تأمَّل قوله عَزَّوَجَلَّ في الحسنات: «كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ» أي عند الله، لكن في باب السَّيِّئة قال: «كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً» فلم يقل: عنده!

قال العلماء: في هذا تشريفٌ للطَّائعين، وحثٌّ على عمل الصالحات، الَّتي تُكتب عند الله[1].

فيا أيُّها المؤمن إذا علمتَ أنَّك بفعلك الحسنة تُكتب عند الله، وأن ذلك سبب لأن تُذكر عند الله، كيف لا يحثُّك هذا العلم إلى كسب الحسنات والمسارعة في الصالحات لتنال الفضل الكبير ويحصل لك هذا الشرف العظيم؟!

وقال عَزَّوَجَلَّ في الحسنة: «كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً» ولم يقل: حسنةً واحدة؛ وذلك لتعظيمها وبيان أنَّها لا تنقص، بل هي حسنةٌ كاملة، بينما في السَّيِّئة قال: «كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» تخفيفًا وتقليلًا، فالسَّيِّئة سيِّئةٌ والحسنة حسنةٌ؛ كلاهما من حيث العدد واحدة، لكن أكَّد الحسنة تشريفًا وتعظيمًا وبيانًا أنَّها لا تنقص.

قال عَزَّوَجَلَّ: «فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ» هذا التضعيف ثابتٌ لكلِّ مَن يُقبل عمله، فلْيثق العبد تمامًا أنَّ الله إذا قَبِل عمله لن يُثاب على عملٍ واحد، بل سيُثاب على عشرة أمثاله.

قال عَزَّوَجَلَّ: «إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ» فالحدُّ الأدنى للتضعيف عشرة، إلى أن يبلغ

---

(١) انظر: «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد (ص: ١٢٢)، و«فيض القدير» (٢/ ٢٤٧).

سبعمائة ضعف، فقد تُنفق ريالًا فتؤجر على عشرة ريالات، وقد تُنفق ريالًا وتؤجر على سبعمائة ريال، فالله يُضاعف لمن يشاء.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: «إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ» يعني: تزيد على السبعمائة ضعفٍ، وأخفاها الله عَزَّوَجَلَّ ولم يذكر العدد؛ كما في حديث ثواب الصيام، ففيه يقول النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[1] فالصوم لا يُدرى كم ثوابُه، وهو أكثر من سبعمائة ضعف، والله أعلم بأجره وقدره، وهذا فضلُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

واعلم أيُّها المسلم أنَّ العمل الصالح يُضاعف في بعض الأزمنة؛ قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»[2]، فمعنى هذا أنَّ العمل يُضاعف في عشر ذي الحجَّة أكثر من مضاعفته في غيرها، فالعبد إذا صام في عشر ذي الحجَّة ضوعف صيامُه أكثر من صومه في غيرها من الأيَّام، وإذا تصدَّق في عشر ذي الحجَّة؛ ضوعفت صدقته أكثر من مضاعفتها في سائر الأيَّام.

إذًا ثوابُ العمل الصالح الحسنةُ بعشر أمثالها، لكن في الزمان الفاضل تُزاد المضاعفة على العشر.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١١٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٩٦٩)، وأحمد رقم (١٩٦٨)، وأبو داود رقم (٢٤٣٨)، والترمذي رقم (٧٥٧)، واللفظ له، وابن ماجه رقم (١٧٢٧)، وعن عبد الله بن عباس. قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

وقد تكون المضاعفة بالمكان، مثل الصلاة في مسجد النبيِّ ﷺ، قال ﷺ: «صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ، إلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»(١)، فالَّذي يصلِّي الظهر في بلده يُثاب الحسنةُ بعشر أمثالها، وقد يُضاعِف الله له أكثر من ذلك، لكن الَّذي يصلِّي الظهر في مسجد النَّبيِّ ﷺ هو خيرٌ في ثوابه ممَّن صلَّى الظهر في بلده، فصلاته خيرٌ من ألف صلاةٍ للآخر.

وكذلك طلبُ العلم في مسجد النبيِّ ﷺ يُضاعَف ثوابُه؛ ففي الحديث قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا هَذَا، يَتَعَلَّمُ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمُهُ، كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٢)، فإذا خرجتَ من بيتك تريد المسجد النبويَّ؛ فانو أن تتعلَّم في المسجد، أو تُعلِّم إن كنت ممَّن يعلِّم، فإذا جلست في حلقة من حِلق العلم في المسجد النبويِّ؛ فأجرُك كأجر المجاهد في سبيل الله.

وقد تكون المضاعفة بذات العمل، كما في الصوم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ؛ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»(٣).

وقد تكون المضاعفة بوصف العمل، ودليلُه حديثُ النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن الله عَزَّوَجَلَّ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»(٤)، فأحبُّ

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١١٩٠)، ومسلم رقم (١٣٩٤)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٠٨١٤)، وابنُ حبَّان برقم (٨٧)، والحاكم (١/ ١٦٨، ١٦٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الحاكم على شرطهما. ووافقه الذهبيُّ! وحسَّنه الألبانيُّ في «التعليقات الحسان» (١/ ٢٠٣).

(٣) تقدَّم تخريجه قريبًا.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عملٍ إلى الله هو الفريضة، فوصفُ العمل بأنَّه فرض يُضاعَف ثوابُه أكثر من مضاعفة النفل.

وقد تكون المضاعفة بحسن القصد، فكلَّما صفا القصد عَظُم الثواب، وكلَّما فرَّغت قلبك لله عَظُم الثواب.

وقد تكون المضاعفة بحسن المتابعة لرسول الله ﷺ، فكلَّما تشبَّهت بالنَّبيِّ ﷺ في عمله ضوعف ثوابُك، فإذا أدَّيت الصلاة كما صلَّاها النَّبيُّ ﷺ، وحافظت على أركانها وواجباتها وسننها متأسِّيًا بالنبيِّ ﷺ، كنت أكثر أجرًا من الَّذي يصلِّي الصلاة الَّتي لا يحافظ فيها على السُّنن، وهي وإن كانت مجزئةً مقبولةً، لكنَّها ليست كاملةً لأن فيها نقصًا في المتابعة، فمثلًا رجلان يصلِّيان في المسجد بجوار بعضهما البعض، فأحدهما يرفع يديه عند كل خفض ورفع، والآخر لم يرفع إلا في تكبيرة الإحرام، فالَّذي يتحرَّى الرفع عند الرفع والخفض أكثرُ أجرًا من الآخر، وعملُه أكثرُ مضاعفة من عمل الآخر؛ لأنه أكمل اتِّباعًا منه. ومن هنا نقول لإخواننا المسلمين الَّذين يتَّبعون المذهب الحنفيّ: ارفعوا أيديكم في الصلاة كما كان يرفع النبيُّ ﷺ؛ لأنَّكم بترككم الرفع تحرمون أنفسكم من أجر عظيم، ولا تقولوا: مذهبُ إمامنا تركُ الرفع؛ لأنه واللهِ لو ثَبَت عند الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحاديثُ الرفع من غير ما ظنَّه معارضًا لها؛ لقال بالرفع، وقد جاء عن أحد تلاميذ أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكبار أنَّه لما سَمِع بعض الأحاديث؛ قال: «لَوْ رَأَى صَاحِبِي مَا رَأَيت لَرَجَعَ كَمَا رَجَعْت»[1]؛ فأبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمامٌ من أئمَّة المسلمين يُعظِّم السُّنَّة ويأخذ بها، حتى أنَّه في بعض فتاواه أخذ بالأحاديث الضعيفة

(١) انظر: «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (١/ ٢٢٣ الكتب العلمية)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٦١٧ هجر).

.....

التي لم يجد غيرها، ولو وقف على أحاديث الرفع بأسانيدها الصِّحاح مع سلامتها من المعارض عنده؛ لقال بالرفع.

إذًا العمل يُضاعف بحُسن الاتِّباع للرسول ﷺ، والله يضاعف بفضله لمن يشاء.

فهذه أسبابُ مضاعفة الحسنات.

وقوله ﷺ: «**وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»، يعني: من أراد شرًّا، فنوى حرامًا جازمًا عازمًا عليه حريصًا عليه، لكنه لم يعمله خوفًا من الله كتبت له حسنة. فلو أنَّ رجلًا استدعاه مديره أو طالبًا استدعاه العميد ليسأله عن شيء، فنوى أن يكذب، فسار إليه وهو في الطريق يرسم الكذبة كيف تكون مُحكمةً؛ أقول له كذا، وأقول له كذا، وعندما وصل إلى الباب قال: أعوذُ بالله! الكذب حرام! أكذبُ وأُغضب الله من أجل رجل! لا والله لن أكذب! فترك الكذب خوفًا من الله؛ فهذا تُكتب له حسنة كاملة، أمَّا إذا نوى السَّيِّئة عازمًا عليها حريصًا عليها، ثمَّ تركها لا لخوفٍ من الله، ولا لمانع آخر؛ فهذا لا له ولا عليه، مثالُه: رجلٌ نوى أن يزني - والعياذ بالله -، وصمَّم على ذلك جازمًا، ثمَّ فكَّر وقال: هذه الزانية ستأخذ مالي، ويضيع وقتي؛ فترك ذلك وقال: لا أفعل؛ فهذا لم يترك الفاحشة خوفًا من الله، ولا منعه مانعٌ يحول بينه وبين الفعل، بل كان يستطيع أن يفعل لكنَّه تركها من تلقاء نفسه، فهذا لا له ولا عليه؛ لا تُكتب له حسنةٌ، ولا تُكتب عليه سيِّئةٌ.

فلو قال قائل: هذا تحكُّم؛ لأن النَّبيَّ ﷺ قال: «**وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»، فلم يقل: تركها لمانع، أو خوفًا من الله، ولا من غير خوف الله؟!

الجواب: بلى، جاء ذلك في الروايات الأخرى، أَنَّ الله قال: «إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»[١] يعني من أجلي، وفي رواية: «وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي»[٢] يعني كُتبت له حسنة كاملة، فهذه الرواية مقيِّدة لتلك الرواية. أمَّا إذا ترك المعصية من تلقاء نفسه، من غير خوفٍ من الله، ومن غير مانع، وقال بعضُ أهل العلم: إن تركها نسيانًا أو سهوًا؛ فلا له ولا عليه. أمَّا إذا نوى السَّيِّئة عازمًا عليها حريصًا عليها ساعيًا فيها، لكن منعه منها مانعٌ؛ فإنَّه - كما قدَّمنا - يُكتب عليه وزرُ العمل.

قوله ﷺ: «وَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، فلم يقل كما قال في الحسنة «كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ»، ولم يقل: «كَامِلَةً»، ولكن قال: كتبها الله سيِّئةً واحدة، تخفيفًا.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «زاد في رواية[٣]: «أَوْ مَحَاهَا»» أي: أزال أثرها بسببٍ من الأسباب الماحية، وأعظمها سعةُ رحمة الله ومغفرةُ الله، وقد يمحوها الله بالتَّوبة، وقد يمحوها الله بالعمل الصالح وغيرها من الأسباب.

فلْينظُر العبد إلى رحمة الله بنا؛ مَن همَّ بسيِّئةٍ فعَمِلها لا تُكتب عليه إلَّا سيِّئةً واحدةً، بينما الحسنة تُكتب له عشرُ حسناتٍ إلى سبعمائة ضعف، والله يُضاعف لمن يشاء، ومع ذلك هذه السَّيِّئة التي كُتبت سيِّئة واحدةً قد يغفرها الله عَزَّوَجَلَّ، بل من كَرَمِ الله على المؤمن الموحِّد أنَّه عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة يغفر له السَّيِّئة، ويجعل مكانها حسنةً، كما جاء في الحديث؛

(١) أخرجها مسلم رقم (١٢٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجها البخاري رقم (٧٥٠١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قال الشيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترغيب» رقم (١٨): «هذه الرواية من أفراد مسلم دون البخاري؛ خلافًا لما يوهمه صنيعُ المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ ...».

.....

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»[1]، ففضلُ الله على أمَّةِ محمَّد ﷺ عظيمٌ، وبهذا نُدرك معنى قول النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه: «وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ» يعني: مع هذه السَّعة في الحسنات؛ من همَّ بحسنةٍ صادقًا عازمًا ولم يعملها لغير مانع؛ كُتبت له حسنةً كاملةً، ومن همَّ بحسنةٍ صادقًا عازمًا فلم يعملها لمانع، وكان يعملها قبلُ؛ كُتب له أجر ما كان يعمل قبلُ، ومن همَّ بحسنةٍ صادقًا عازمًا حريصًا فلم يعملها لمانع، ولم يكن عاملًا لها قبلُ؛ كُتب له أجر العمل الَّذي نواه، ومن همَّ بحسنةٍ فعمِلها كُتبت له عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء، ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها خوفًا من الله؛ كُتبت له حسنةً، فصارت من جملة الحسنات، ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها من غير خوف أو مانع؛ لم يُكتب عليه شيء، ومَن همَّ بسيِّئة فعمِلها لم تكتب عليه إلَّا سيِّئةً واحدةً، وقد يغفر الله له، فوالله لا يهلك على الله إلَّا هالك!

لكن اعلم أنَّ رحمة الله إنما تُنال بالإحسان، فلا تغترَّ برحمة الله، وتسترسل في المعاصي كما يفعل بعض الناس؛ وإذا قلت له: يا أخي، اتقِّ الله؛ قال لك: الله غفور رحيم! الله

(١) أخرجه مسلم رقم (١٩٠)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أرحم بي من الأمِّ بولدها! ونقول: نعم، هو صادقٌ واللهِ فيما يقول، ومن رحمته بك حرَّم عليك المحرَّمات، ولكن رحمته إنَّما كتبها للمُحسنين، فلا تغترَّ بعفو الله وفضله! لكن افرح بفضل الله واقْبَله، وكُن من أهله.

فلنشكر الله معاشر المؤمنين على فضله بأن نحقِّق توحيده تحقيقًا كاملًا، فهو أغلى وأعزُّ ما عندكم، وكيف لا والله خلقكم من أجله؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليوحِّدوني، وكيف لا يكون أعزّ شيء عندك في الدنيا التوحيد وهو حقُّ الله!

ولنشكر الله على فضله بالإكثار من الصالحات ما استطعنا، وبترك المحرَّمات رأسًا؛ لأن النَّبيَّ ﷺ يقول: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ؛ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»[1]، فلا خيار لنا في المعصية؛ لأنَّ الترك يستطيعه كلُّ أحدٍ إلاَّ عن هوى ومكابرة.

فلنشكُر اللهَ على فضله أنْ جعلَنا مسلمين، وأكرمنا بهذا الإكرام العظيم، ولْنقبَل فضلَ الله، وعلامة ذلك أن نسلك أنفُسنا في أهل الفضل، ولَأَن تكون مع أهل الفضل من أهل التوحيد والطاعة في الدنيا وأنت أدناهم مكانةً عند الناس، خيرٌ لك من أن تكون من أهل المعصية وأنت أعلاها عند الناس، فاسلك نفسك مع أهل الفضل، وإيَّاك ثمَّ إيَّاك أن تتأخَّر! فإنَّ الدنيا كلَّها قليل! وما مَثَل الدنيا في الآخرة إلَّا كمَثَل مخيط أُدخل في اليمِّ، فلا يرجع بشيء، فالدنيا كلُّها قليلة، والباقي منها قليل، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٢٨٨)، ومسلم رقم (١٣٣٧)، واللَّفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، وذلك عند بعثة النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»[1]، فماذا بقي منها؟! وما الَّذي جعله الله لنا من هذا الباقي، وقد قطعنا منه شوطًا عظيمًا، والله أعلم متى ينتهي؟! هل بقي لنا منها لحظةً، أو بقي يومٌ، أو بقي شهر، أو بقيت سنة، أو أكثر؟! لكنَّنا على يقين من أن الله يحبُّ منَّا أن نعمل الصالحات، كما أنَّنا نوقن أنَّ الموت قادمٌ، لكن متى يحلُّ علينا...؟! الله أعلمُ! إذًا فلنشكر الله، ولنحرص على طاعته، ولنتمسَّك بدينه وشرعه، ولنتسابق إلى رضوانه، فإن أعظم مسابقةٍ وأشرفها أن نسابق إلى مغفرة من الله ورضوانه، وأحسن شيءٍ واللهِ أن يكون همُّك في نفسك: أريد أن أسبق النَّاس إلى الله! فأنت في مسابقة دائمة واجتهاد متواصل، وكم من الصالحين من يفعل هذا! وقد رأينا ناسًا فيما مضى يأتون إلى المسجد النبويَّ قبل الأذان الأوَّل، ولم يكن يفتح أربعًا وعشرين ساعة كما هو الآن، بل كان يُغلق في اللَّيل، ولا يُفتح إلَّا عند الأذان الأول من الفجر، كان هؤلاء الناس يحضرون قبل الأذان الأوَّل، ويجلسون على البلاط البارد ينتظرون فتح الباب ليسابقوا إلى الصَّفِّ الأوَّل! أولئك الأكياس! أمَّا الآن فبعضُ الناس طلَّاب علم، وتجدهم في آخر الصفوف، طبعًا منهم من له عذرٌ، ومنهم من ليس له عذرٌ، ونحن لا نتَّهم الناس بلا بيِّنةٍ؛ لأنه قد يكون عند الإنسان عذر، فالإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر حياته انقطع عن الجماعة فلم يكن يحضرها، ثمَّ انقطع بعدها عن الجمعة، فلمَّا قيل له في ذلك؛ قال: «فيقول ما يتهيأ لكل أحد أن يذكر ما فيه». وفي رواية أنه قال: «من الأعذار أعذار لا تذكر»[2]، فكان له رَحِمَهُ ٱللَّهُ عذرٌ لا يستطيع أن يقوله، فرحمة الله على إمام دار الهجرة، الإمام الأثري الذي كان

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٤)، ومسلم رقم (٢٩٥١)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض (٢/ ٥٥، مطبعة فضالة).

معلِّمًا في مسجد رسول الله ﷺ، فقد كان من خيرة علماء الأمَّة، وشَهِد له الأفذاذ وهو حدَثٌ صغير، ولم يجلس للفُتيا إلَّا بعد أن شَهِد له سبعون بأنَّه أهلٌ لذلك[1]، ونحن نُشهِد الله أنَّنا نحبُّه، رحمه الله رحمة واسعةً.

أقول هذا مذكِّرًا بقاعدة في الخُلق تقول: «أَسِيء الظنَّ بنفسك، وأحسن الظنَّ بإخوانك»، ومعنى: «أسِيء الظن بنفسك» أي: حاسبها محاسبةً شديدة، وقل لها: أنتِ مقصِّرة والنَّاس قد سبقوك، ولا تنظر إلى عملك مهما كان، ولا إلى علمك مهما بلغ، ومعنى «أحسن الظنَّ بإخوانك» يعني: إذا بدر منهم شيءٌ فاحمله على العذر، والتمس لهم المخرج، ولا يمنع هذا من المناصحة أن تقول لأخيك: يا أخي أراك تتأخَّر عن الجماعة، أراك لا تصلِّي في المسجد، فهذا من مقتضى الأخوَّة والمحبَّة، لكن من لطائف الأخلاق ومكارمها أن يحسن المسلم الظنَّ بإخوانه أهل الصلاح، أمَّا الذي يُظهر الفسق ويجاهر به؛ فهذا قد حكم على نفسه بنفسه، لكن إخوانك الذين يظهر عليهم الصلاح، ويظهر عليهم الدِّين والتُّقى، وتظهر عليهم السُّنَّة؛ فأحسن الظنَّ بهم حتى يبدو خلافُ هذا، فهناك يكون حكم آخر، ولكنَّ المشكلة أنَّ كثيرًا من النَّاس اليوم أحسنوا الظنَّ بأنفسهم فاغترُّوا، يقول: أنا أحسنُ من هؤلاء الناس، فأنا لا أذهب إلى المراقص، ولا أفعل كذا وكذا...، وهو قاعد عن فعل الخير ومنافسة أهله فيه، فلا يزال كذلك يزكي نفسه ويسيء الظنَّ بالنَّاس، وهو يرجع وراء وراء! حتى يصل به الحال إلى الطعن والتنقيص من أهل الصلاح ولمزهم يقول: انظر إلى ذاك (المطوع) صاحب اللِّحية...! وهو عاطل من عمل الخير؛ لا استقامة ولا هدي ولا لحية! حتى ظهر هذا الخلق السيِّئ فيمن ظهر عليه الخير

(١) انظر: «الحلية» لأبي نعيم (٦/ ٣١٦)، و«الفقيه والمتفقِّه» للخطيب (٢/ ٣٢٥)، و«تعظيم الفُتيا» لابن الجوزي (ص: ١٢٢).

والصلاح؛ تراه يسيء الظنَّ بإخوانه، فهذا من مساوئ الأخلاق التي ينبغي تطهير النفس منها، وبالضد من ذلك من مكارم الأخلاق أن تسيء الظنَّ بنفسك وتحاسبها وتقُودها بزمام التقوى وتلزمها التواضع، وتحسن الظنَّ بإخوانك، ما كان لذلك سبيل.

❁ ❁ ❁

١٨- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - وَمُسْلِمٌ(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ(٢): قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ».

وَفِي أُخْرَى لَهُ(٣) قَالَ: عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ».

قَوْلُهُ: «مِنْ جَرَّايَ» بِفَتْحِ الجِيمِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، أَيْ: مِنْ أَجْلِي.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ» أي: للملائكة الكاتبين الحفظة «إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً» يعني: نواها بقلبه جازمًا، قال: «فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا»، وهذه الرواية مقيَّدةٌ

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٥٠١)، ومسلم رقم (١٢٨)، نحوه مختصرًا.

(٢) رقم (١٣٠).

(٣) رقم (١٢٩).

بالروايات الأخرى، وهي أنَّ تارك المعصية إن تركها من أجل الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّها تُكتب له حسنة، وإن تركها من غير خوفٍ من الله ولا مانع؛ فلا يُكتب لا له ولا عليه، وإن تركها لمانع مع حرصه عليها؛ فإنَّه يُكتب عليه وزرُ ما نوى.

قوله عَزَّوَجَلَّ: «**فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا**» فالسَّيِّئة تكتب بمثلها ولا تُضاعف.

قال عَزَّوَجَلَّ: «**وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي**» فنصَّ على هذا القيد: «تركها من أجلي» بعد أن نواها؛ «**فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً**».

قال عَزَّوَجَلَّ: «**وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا؛ فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ**»، والله يُضاعف أكثر من ذلك لمن يشاء، كما جاء في الرواية الأخرى.

وفي هذا الحديث فائدة: وهي أنَّ الملائكة الكاتبين يطَّلعون على ما في قلب العبد من الإرادة والهمِّ؛ وقد اختلف العلماء كيف تطَّلع الملائكة على ما في قلب العبد:

فمنهم مَن قال(١): إنَّ الله يُعلمهم فيقول لهم: إن عبدي فلانًا أراد حسنةً، وإنَّ عبدي فلانًا أراد سيِّئة، وعلى هذا تكون الملائكة عالمةً بما في قلب العبد بإعلام الله لها.

وقال بعضُ أهل العلم(٢): إنَّ الملائكة تعرف هذا بالرَّائحة، فللحسنة رائحة طيِّبة تعلمها الملائكة، وللسَّيِّئة رائحةٌ خبيثة تعلمها الملائكة.

---

(١) انظر: «الفتح» (١١/ ٣٢٥)، و«إرشاد الساري» (٩/ ٢٨١).

(٢) انظر: «طرح التثريب في شرح التقريب» للعراقي (٨/ ٢٢٩، إحياء التراث العربي)، و«الفتح» (١١/ ٣٢٥)، و«إرشاد الساري» (٩/ ٢٨١).

ونقول: إنَّنا عَلِمنا من هذه الأحاديث أنَّ الملائكة تعلم بإرادة العبد، لكن لم يَقُم عندنا دليلٌ صحيح صريح على كيفية استفادتها هذا العلم، فنقف حيث أُخبرنا وحيث عُلِّمنا، وهو أنَّ الملائكة تعلم بإرادة العبد وتكتب ذلك، أمَّا كيف تعلم؛ فهذا مردُّه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ»». وهذه الرواية فُسِّرت بالرواية الأولى المفصَّلة.

قال: «وَفِي أُخْرَى لَهُ» أي: لمسلم، قال: «قَالَ: عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ» فهذا حديث قدسيٌّ كحديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إلَّا أن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رواه بالمعنى، وهو هنا مرويٌّ بالنَّصِّ، وهذا لفظه: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ» أي: إنَّما تركها من أجلي، وهذه الروايات كلُّها بمعنى واحد، ويفسِّر بعضُها بعضًا على ما بيَّنَّاه، ووضَّحناه في ما تقدَّم.

❁ ❁ ❁

١٩- وَعَنْ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

هذا الحديث له قصَّة؛ يحكيها صاحبُها وهو معنُ بنُ يزيد - رضي الله عنه وعن أبيه -، يقول: «كَانَ أَبِي» أي: يزيد «أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ» أي وكَّله بأن يتصدَّق بها على من يراه أهلًا لها من الفقراء، قال معنٌ: «فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا» أي من الرجل الذي وكَّله يزيدُ بها، إذ رآه أهلًا لها، فأعطاه الدنانير، والظاهر - والله أعلم - أنَّه أعطاه إيَّاها بصرَّتها الَّتي جاء بها أبوه، قال: «فَأَتَيْتُهُ بِهَا» يعني: ذهب بها إلى البيت، فرآها أبوه، فقال: «وَاللَّهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ»! ويظهر أنَّ في الكلام طيًّا؛ فإن الظاهر أنه سأله عنها، فقال: أعطانيها رجل، فقال: هذه صدقتي، ووالله ما إيَّاك أردتُ بها، إنما أردت بها فقيرًا من المسلمين، وأمَّا أنت فأعطيك من مالي غيرَها.

قال معنٌ: «فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» أي خاصم أباه إلى رسول الله ﷺ، أبوه يقول: هات الأموال، أنا ما أريدك أنت، أنا أريد أن أتصدق على غيرك، وهو يقول: لي ما أخذتها منك الرجل أعطاني إياها صدقة فهي لي ملكتها بالصدقة، فتخاصما فخاصم الابن أباه إلى رسول الله ﷺ فأخبراه.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ**» أي: الصَّدقة، «**وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**» لأنَّك أهلٌ لها، فالنَّبيُّ ﷺ أثبت ليزيد ما نواه وهو الصَّدقة، فيؤجر على ما نواه، وأثبت المِلك لمعن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنَّه مَلَكها بطريق الصدقة الَّتي تصدَّق بها الوكيل عليه.

---

(١) رقم (١٤٢٢).

.....

وفي هذا فائدة: هي أنَّه لا بأس أن يُخاصم الابن أباه إذا لم يكن في ذلك إزراءٌ بالأب، فكونه خاصمه إلى رسول الله ﷺ هذا لا يزري بأبيه.

كما أن فيها فائدة أخرى: وهي أنَّ قول النَّبيِّ ﷺ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»[١] ليس على إطلاقه، فالأب لا يملك مال الابن باتِّفاق العلماء، بل المال مِلكٌ للابن، ولكن للأب أن يتملَّك من مال ابنه عند حاجته بشرط عدم الضرر بالابن، ولا يحتاج أن يستأذن ابنه، بل له حقٌّ شرعي أن يأخذ من مال الابن، وإن طلبه من الابن فحسنٌ، لكن له حقُّ التملُّك بشرط أن يكون محتاجًا، أمَّا إذا لم يكن محتاجًا فليس له حقٌّ، ولذلك من الظلم أن يأخذ الأب من مال ابنه ليُعطي ابنًا آخر؛ لأنَّ أخذ الأب إنَّما هو مقيَّد بحاجته، وله أن يطلب من ابنه يقول له: أعطِ أخاك، فهذا حسن، لكن أن يأخذ منه بحُكم الأبوَّة لا لحاجة الأب، ولكن ليُعطي أخًا له فهذا ظلم، كذلك إذا كان أَخْذُ الأب من مال ابنه يضرُّه فإنَّه لا يجوز له؛ أخذًا من الحديث، أعني: أن قول النَّبيِّ ﷺ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ» ليس على إطلاقه؛ لأن النَّبيَّ ﷺ قَبِل مخاصمة معنٍ لأبيه، ولو كان مالُ معن لأبيه لقال له النَّبيُّ ﷺ كيف تُخاصمه ومالُك له، لكن النَّبيَّ ﷺ قَبِل، وأثبت المال لمعن، ولم يُعطِ للأب، ولم يقل: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ» فأعد المال لأبيك[٢].

إذًا علمنا أنَّ قول النَّبيِّ ﷺ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ» إنَّما هو إثباتُ حقِّ التمليك، والتملُّك للأب وليس ملكًا، وتظهر فائدةُ هذا فيما لو كان الابن يملك أَمَة، فالسيِّد هو الابن، والمعلوم شرعًا أن السَّيِّد يجوز له أن يطأ أمَته، فهل للأب أن يطأ أمَة ابنه؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٢٢٩١)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (١٠/ ٤٧٤ مكتبة القاهرة).

الجواب: لا باتِّفاق العلماء؛ لأنَّه لا يَملكها، وإنَّما الذي يَملكها الابنُ، لكن اختلف العلماء هل يُقام عليه الحدُّ أو لا يُقام عليه الحدُّ إن وطئها؟

والصواب: أنَّه لا يُقام عليه الحدُّ؛ من أجل الشبهة، إذًا لو كان الأب يملك مال ابنه لجاز لـلأب أن يطأ أمَة ابنه، لكنَّه لا يملك، وإنَّما له حقُّ التملُّك في غير البُضع، فليس له أن يتملَّك الجارية، وإنَّما يتملَّك من الأموال إذا احتاج بشرط عدم الإضرار بالابن.

وفي هـذا الحديـث: دلالة عـلى أنَّ المؤمن يؤجر عـلى عمله بمقدار مـا نوى، ويزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هنا نوى الصدقة، فكتَبَ الله له ما نوى.

❁❁❁

٢٠- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَارِقٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ! لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ! لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَنِيٍّ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَزَانِيَةٍ وَغَنِيٍّ! فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ[1]، وَقَالَا فِيهِ: «فَقِيلَ لَهُ أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ تُقُبِّلَتْ»، ثُمَّ ذَكَرَ الحَدِيثَ.

هذا الحديث يُخبرنا فيه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قصة عجيبة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ» ولم يُسمَّ هذا الرجل، وجاء في رواية عند الإمام أحمد[2] أنَّه من بني إسرائيل، وهذه الرواية في إسنادها نظر، فالله أعلم عن هذا الرجل من أيِّ أمَّة هو، ولكنَّا نجزم أن هذه القصَّة قد وقعت.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ» أي: والله لأتصدَّقنَّ بصدقة، ثم صدَّق فعلُه قولَه «فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ» وهو لا يعلم أنَّه سارق، والظاهر - والله أعلم - أنَّ الرجل أراد أن يُخفي صدقته فخرج بها في الليل حتى لا يراه

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٤٢١)، ومسلم رقم (١٠٢٢)، والنسائي رقم (٢٥٢٣).

(٢) رقم (٨٦٠٢)، وفي سندها ابن لهيعة. انظر: «الفتح» (٣/ ٢٩٠).

أحد وهو يتصدّق، فوضع الصدقة في يد رجل، وهو لا يعلم حاله، ثم تبيّن له أنّه سارق؛ لأنَّ قومه أصبحوا يتحدّثون: تُصدّق الليلة على سارق، أمر عجيب!

قال: «فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ!» اللَّهمَّ لك على هذا المكروه، أنا أردت أن أتصدَّق فتصدَّقت على سارق، والله يُحمَد على كلِّ حال.

وقيل: معنى قوله: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ!» اللَّهمَّ لك الحمد أردتها على رجل غير هذا، وأردتها أنت على سارق، وأنت أحكمُ الحاكمين، ففوّض الأمر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (١).

ثم قال: «لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ» أي: في ليلة أخرى.

قال ﷺ: «فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ» وهو لا يعلم أنّها زانية، رأى امرأة ظنّها محتاجة فوضع الصدقة في يدها.

قال ﷺ: «فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ!» عجيب! وهذه المرأة الزانية بَغِي؛ لأنّها معروفة بالزنا.

قال ﷺ: «فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ!» على المعنيَين المذكورين سابقًا، اللهم لك الحمد على هذا المكروه، وأنت يا ربي تُحمَد على كل حال، أو اللهم لك الحمد فأنت أحكم الحاكمين أردتُ أن أتصدق على امرأة فأردت بحكمتك أن تكون الصدقة على زانية.

ثم قال: «لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ» خرج في الليل فوجد رجلًا فوضع الصدقة عنده، فإذا به يضعها في يد غنيٍّ، وهو لا يدري.

(١) انظر: «الفتح» (٣/ ٢٩٠).

قال ﷺ: «فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَنِيٍّ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَزَانِيَةٍ وَغَنِيٍّ!» على المعنيَين السابقين.

ثم قال ﷺ: «فَأُتِيَ»، وفي رواية عند الإمام أحمد بإسناد صحيح[1]: «فِي المَنَامِ»، أي رأى رؤيا صادقة في المنام.

قال ﷺ: «فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ» لعلَّه إنَّما سرق من أجل الحاجة فأعطيته هذه الصدقة فقد يستغني بها، يَعمل بها حتَّى يصبح مستغنيًا عن السرقة، فيُكتب لك أجرُ الصدقة، وأجر التسبُّب في توبة السارق.

قال ﷺ: «وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا» لعلها لا تزني إلا من حاجة، ولعلك عندما تصدّقت عليها أن تستغني بصدقتك عن الزنا فيُجمع لك أجران: أجر الصدقة وأجر التسبُّب في توبة الزانية.

قال ﷺ: «وَأَمَّا الْغَنِيُّ» والغنى ليس ذنبا «فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ» لعله أن يتّعظ بفعلك، رجل يأتيه في الظلام ولا يعرفه، ويتصدق عليه؛ فلعل هذا أن يُحرك قلبه فيتصدق في سبيل الله.

ويؤخذ من هذا: أنَّ المؤمن إذا نوى الخير وعَمِل به أُجِر عليه، ولو لم يقع في موقع الذي أراد، فهذا الرجل أراد بالصدقة أن تقع في يد فقير لكنها لم تقع في يد فقير، ولأنَّه نوى وتصدّق، فكتب الله له أجرُ الصدقة التي نواها.

---

(١) رقم (٨٦٠٢)، وفي سندها ابن لهيعة. انظر: «الفتح» (٣/ ٢٩٠).

ويؤخذ من الحديث: أنَّ العبد المؤمن إذا تسبّب في أن يترك مسلم المعصية فله بذلك أجر، وإذا تسبَّبَ في أن يعمل المسلم الحسنة فله بذلك أجر، ولو لم ينوِ أن يتسبّب، فهذا الرجل لم ينوِ أن يستعف السارق، وأن تستعف الزانية، وأن يعتبر الغني لكن الله جعل له ذلك العمل.

ولذلك قال رسول الله ﷺ «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[1]؛ لا يعني أنهَّ ابتدع، ولكنَّه دلَّ على سنَّة، «**فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**»، يعني عندما تأتي المسجد النبويَّ وتصلِّي على السُّنَّة، وتحرص على أن تتابع النَّبيَّ ﷺ في صلاتك فيراك رجال، ربَّما قدِموا من أقاصي الدنيا، ويرون هيئتك، ويرون أنك طالب علم فيعرفون هذه السُّنَّة، ثمَّ يذهب كلُّ واحدٍ منهم يصلِّي كما صلَّيت على السُّنَّة الَّتي رأوها منك، فلك أجرُهم ما صلّوا على السُّنَّة، ربَّما بقي الواحد منهم خمسين عامًا يصلِّي على السُّنَّة التي تعلَّمها منك وأنت لا تدري، يكتب الله لك هذا الأجر هذه المدَّة كلَّها، ولربَّما رآه أحدٌ في بلاده، فقال: من أين أَتيت بهذه السُّنَّة؟ فقال: من المؤمنين في مسجد رسول الله ﷺ، قال: ما شاء الله! فأصبح يصلِّي بها، فلك أجرُه، وهكذا كلُّ من تعلَّم من أثر فعلك إلى يوم القيامة يُكتب لك أجرُه، مع أنك لم تنوِ هذا، ولم تُرده قصدًا، لكنَّك فعلتَ السُّنَّة، فدللت بفعلك على السنَّة.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

ثم قال ﷺ: «**وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»، مثاله: كأن يجيء رجل من أقاصي سيبيريا، أو من أيِّ مكان جاء إلى المدينة، والناس عندهم أنَّ أهل المدينة أبرار على ما يقول العامَّة: ملائكة لا يعرفون المعصية، جاء فرآك - أعيذك بالله من هذا - مثلًا تشرب الدخان عند باب المسجد، فقال: هؤلاء الأبرار يشربون الدخان إذًا هو حلال طيِّب، فشَرِب الدخان، وقال لقومه هناك: اشربوا الدخان فإني رأيت أهل المدينة يشربونه، فشربوا، فعليك وزرُهم ووزر من يشرب اقتداءً بك إلى يوم القيامة؛ لأنك دللت على هذه السُّنَّة السيِّئة وهذا الفعل المحرَّم، فيا أهل المدينة النبويَّة ينبغي أن تكونوا على حذر، وأن لا يظهر منكم إلَّا الخير ما استطعتم؛ لأنَّ الناس ينظرون إليكم ويقتدون بكم وينقلون أخلاقكم إلى أصقاع الأرض، فإن كان خيرًا فأجرٌ مستمرٌّ لا ينقطع إلَّا أن يشاء الله زواله، وإن كان شرًّا فوِزرٌ مستمرٌّ لا ينقطع إلَّا أن يشاء الله زواله، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن في كلِّ مكان، لكن أخصُّ أهل المدينة؛ لأن النَّاس ينظرون إليهم نظرة احترام وتقدير، ويتأثَّرون كثيرًا بما يرونه من أهل المدينة، فينبغي التنبُّه لهذا الأمر.

❁ ❁ ❁

٢١- وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى أَصْبَحَ؛ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ».

رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ[1]، وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»[2] مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ أَوْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَلَى الشَّكِّ.

قال الألبانيُّ: حسن صحيح.

قَالَ الحَافِظُ عَبْدُ العَظِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسَيَأْتِي أَحَادِيثُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مُتَفَرِّقَةً فِي أَبْوَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ هَذَا الكِتَابِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى».

هـذا الحديث الصحيح حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ» أي أتى فراشه لينام «وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» أي: نوى قبل نومه، أن يستيقظ آخر الليل ليصلِّي ويوتر.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى أَصْبَحَ» أي: استمرَّ في نومه مغلوبًا غير قاصد النوم حتى دخل في الصبح، وهذا دليلٌ على أنَّ وقت صلاة اللَّيل ينتهي بدخول الصبح، فإذا أذَّن المؤذِّن للفجر؛ انتهى وقتُ صلاة الليل، فإذا نمت ولـمَّا أوتر، فغلبتني عيني، ولم أستيقظ إلَّا والمؤذِّن يؤذِّن أذان الفجر الصادق؛ خرج وقت الوتر - لأن الأذان الأوَّل يُقصد به تنبيه النائم الذي لم يصلِّ حتى يقوم ويصلِّي، لكن أذان الفجر الصادق نداءٌ لصلاة الفجر -، فليس لي أن أصلِّي الوتر بعد أذان الفجر، لكن إذا كنت محافظًا على الوتر فغلبتني عيني حتى دخل الصبح، وأذَّن المؤذِّن للفجر؛ فإنَّ لي أن أقضي وردي الليلي في النهار قبل الظهر، وأزيد على وتري ركعةً، فمثلًا إذا كنت أقوم الليل بخمس

---

(١) أخرجه النسائي رقم (١٧٨٧)، وابن ماجه رقم (١٣٤٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.
(٢) رقم (٢٥٧٩)، وقال الألبانيُّ في «التعليقات الحسان» رقم (٢٥٧٩): حسن صحيح.

ركعات، فنِمت ليلةً حتى أصبحت، فَلِي أن أقضيها فأصلِّي ستَّ ركعات، وإن كان وردي ثلاثًا قضيته أربعًا، ووقت صلاة الليل يبدأ من حين يصلِّي المسلم العشاء إلى أذان الفجر، ولذلك لو كنت مسافرًا فصلَّيت المغرب والعشاء جمع تقديم؛ فإن وقت قيام الليل يبدأ بعد العشاء التي جمعتها إلى المغرب، فلك أن توتر ولو كان الناس لم يصلُّوا العشاء، وإذا كنت في بلدك؛ فإن وقت قيام الليل يبدأ بعد صلاة العشاء إلى الصبح.

قال ﷺ: «**حَتَّى أَصْبَحَ**» أي ففاته أن يصلي من الليل.

قال ﷺ: «**كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى**» يعني كَتَب الله له أجر ما نواه.

قال ﷺ: «**وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ**» فيكتب الله له أجر ما نواه، وإن قضى ورده أُجِر زيادة، وهذه فائدة المحافظة على الخير، يعني أنت متعوِّد على أن تصلِّي من الليل سبع ركعات، نويتَ ليلة أن تقوم من الليل، فشاء الله أن تغلبك عينك فلم تقُم حتَّى أذَّن المؤذِّن، يكتب الله لك ما نويت وهو أجرُ صلاة سبع ركعات، فإن قضيت وردك على ما ورد في الحديث في السُّنن بإسناد صحيح قبل الظهر؛ كُتب لك أجرُ العمل هذا مع ما تقدَّم من أجر، وهذا فضلُ الله عَزَّوَجَلَّ على عباده.

❁ ❁ ❁

الرِّياء معناه: أن يُظهر العبدُ العمل الصالح للنَّاس ليمدحوه، فهذا رياءٌ؛ لأنَّه يُظهر العمل الصالح للنَّاس ليراه النَّاس وليمدحوه عليه، سواء كان هذا في أصل العمل أو في وصف العمل كما سيأتي، لكن إذا كان إظهار العمل للنَّاس لا بقصد المدح فليس رياءً، فقد يُظهر العبد العمل أمام الناس ليُعلِّمهم، فهذا ليس رياءً، وقد يُظهر العبد العمل أما الناس ليقتدوا به كما لو أظهر الصَّدقة، كمن رأى فقيرًا فأخرج مالًا من جيبه - والنَّاس ينظرون - ووضعه في يده، وقصده من هذا أن يقتدي به الناس؛ فهذا عمل صالح، وليس رياءً.

إذًا ضابط الرِّياء: أن يُظهر العبدُ العمل الصالح أمام الناس ليراه الناس ليمدحوه، سواء كان هذا في أصل العمل، مثل أن يتصدَّق أمام النَّاس ليقول الناس: إنَّه كريم، لكن لو رأى المسكين في الشارع الخلفي أو في اللَّيل لا يُعطيه شيئًا، لكن إذا كان رأى الناس قال: لا إله إلا الله! مسكين مسكين! حتَّى ينتبه النَّاس ويُعطيه، يريد أن يمدحوه بهذا الفعل، هذا رياء في أصل العمل، أو في وصفه، كمن يقوم يصلِّي لله، فأصل العمل لله، لكنَّه يُظهر صفةً في العمل ليُمدح بها، كأن يُسمعهم البكاء في قراءته، فهو لا يبكي وإنَّما يريد أن يمدحه النَّاس بأنه خاشع! رجل بكَّاءٌ في صلاته! فهذا الرياء في الوصف، وليس في أصل العمل.

وهناك شيء آخر - كما سيأتينا في الحديث - وهو ما يسمَّى بالسمعة أو التسميع، وكلاهما رياءٌ يقصد الإنسان أن يُمدَح بهما، لكن بعض أهل العلم(١) قال: الرِّياء متعلِّق

---

(١) انظر: «الفتح» (١١/ ٣٣٦)، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٢/ ٢٣٣، أضواء السلف، إمام دار الهجرة)، و«حاشية كتاب التوحيد» لابن قاسم النجدي (ص: ٢٦٤، الطبعة الرابعة).

بالأفعال، والتسميع متعلِّق بالأقوال؛ فالرِّياء كأن يتصدَّق حتَّى يراه الناس متصدِّقًا، والتسميع كأن يقول: (سبحان الله، سبحان الله) حتى يراه الناس ذاكرًا، وإذا جلس لوحده لا يذكر الله، ونحن نقيِّد هذا بأن يكون قصدُه أن يسمع الناس فيُمدح، كبعض النَّاس إذا كان عند أناس يحبُّون الصلاة على النبيِّ ﷺ - وكلُّ المؤمنين يحبُّون الصلاة على النَّبيِّ ﷺ - قال: (صلَّى الله عليه وسلَّم، اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد) حتى يقولوا: هذا يحبُّ النَّبيَّ ﷺ! وإذا ذهب إلى أناس يحبُّون الذكر، قال: (سبحان الله، سبحان الله) ليسمعوه فيمدحوه! فهذا تسميع وليس رياءً في قول بعض أهل العلم.

وقال بعض أهل العلم[1]: بل الرياء يتعلَّق بالعمل الظاهر الذي يراه الناس سواء كان قولًا أو فعلًا، فيأتي أمام الناس بالقول أو الفعل ليُمدح.

والسُّمعة أن يفعل الفعل الخفيَّ على النَّاس ثمَّ يُظهره للنَّاس ليُمدح سواء أظهره صراحةً أو دلالةً، فمن التصريح كمن يصلِّي في بيته صلاة اللَّيل، فإذا أصبح قال للنَّاس: صلَّيت البارحة خمس ركعات أطلت فيها، ولله الحمد والمنَّة! يريد بها أن يُمدح، ومن الدِّلالة كمن يقول لأصحابه: البارحةَ وأنا أصلِّي سمعتُ صوتًا مرتفعًا أفزعني! يريد أن يعرف النَّاسُ أنَّه كان يصلِّي باللَّيل!

إذًا على هذا القول: الرِّياء يقع في الأعمال الظاهرة الَّتي يعرفها الناس ويرونها، والسمعة تقع في الأعمال الخفية التي يتحدث بها صاحبها أمام الناس ليُمدح.

والشاهد: أنَّ قصد العبد بالعمل أن يمدحه الناس قبيحٌ على كل حال، سواء كان بالقول أو الفعل أو التسميع.

---

(١) انظر: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» للشيخ صالح الفوزان (ص: ١٢٠، دار ابن الجوزي).

والرِّياء نوعان: رياء كثير، ورياء يسير.

النوع الأوَّل: الرِّياء الكثير: فهو أن يغلب على أعمال العبد بحيث لا يذكر الله إلَّا قليلًا، صلاته رياءً، فريضته رياءً، نافلته رياءً، جُمُعته رياءً، صومه رياءً، صدقته رياءً، زكاته رياءً، فهذا الرِّياء لا يقع من مؤمن أبدًا، بل هو من أفعال المنافقين[١]، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وهذا الرياء من الشرك الأكبر.

والنوع الثاني: يسير الرِّياء، وهو الذي لا يغلب على أعمال الإنسان، بل أحيانًا يرائي، وأحيانًا يُخلص، فهذا من الشرك الأصغر، وقد سمَّاه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشرك الأصغر[٢]، أن يقوم الرجل فيُزيِّن صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه، وسمَّاه بشرك السرائر[٣]، وسمَّاه بالشرك الخفيِّ[٤]، وهو من أكثر الأمور الَّتي خافها النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمَّته، وهذا شركٌ أصغر ليس شركًا أكبر.

والرِّياء إذا وقع في العمل لا يخلو من أحوال:

الحالة الأولى: أن يكون واقعًا من أصل العمل، ويكون العمل غير متجزئ بل يتَّصل بعضُه ببعض مثل الصلاة، فإنسان - والعياذ بالله - دخل المسجد فرأى وجيهًا، أو رأى أميرًا، أو رأى غنيًّا، أو رأى شيخًا، أو رأى رجلًا له عنده حاجة كأن يريد أن يخطب ابنته، فلمَّا رآهُ كبَّر للصلاة، وهو يريد أن يراه ذلك الرَّجل فيُحسن الظنَّ به ويمدحه، فهذا الرِّياء مبطلٌ للعمل، دفعه صاحبُه أو لم يدفعه.

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٧٥).
(٢) كما في حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الآتي في الباب برقم (٣٢).
(٣) كما في حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الآتي في الباب برقم (٣١).
(٤) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الآتي في الباب برقم (٣٠).

أو إنسان دخل في الصلاة وهو يريد أن يراه أحدٌ من الناس كائنًا من كان - والعياذ بالله - ثمَّ بعدما قرأ الفاتحة رجع إلى نفسه وقال: أعوذ بالله أرائي الناس وأترك الله عَزَّوَجَلَّ! واستمرَّ إلى أن سلَّم، فصلاته باطلة، ويجب عليه أن يعيد الصلاة، لأنَّ صلاته لم تنعقد شرعًا أصلًا؛ لأن تكبيرة الإحرام وقعت باطلة وهي رُكن فيها.

فلو أن إنسانًا شرع في صلاته - والعياذ بالله - وهو يرائي أحدًا من النَّاس، ثمَّ بعدما قرأ الفاتحة ثاب إلى رشده، فلا يتمُّها، بل يجب أن يخرج من الصلاة ويُكبِّر من جديد تكبيرة الإحرام مخلصًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وذلك لأمرين:

الأمر الأوَّل: أنَّ هذا العمل باطل، فيجب عليه أن يخرج منه.

الأمر الثاني: أنَّه يجب عليه أن يصليَّ مع الجماعة، فيجب عليه أن يخرج ويصلي.

أمَّا إذا بدأ المسلم العبادة المتصلة بعضها ببعض مخلصًا لله، وطرأ الرِّياء في أثناء العمل فلا يخلو من حالين:

الحال الأولى: أن يدفع الرياء قبل الانتهاء من العمل، مثاله: دخل يصلِّي لله، لكن - والعياذ بالله - وهو يقرأ سمع صوت الشيخ أو صوت الأمير، فحسَّن صوته من أجل الأمير ليمدحه، ثمَّ تاب وجعل يقول: أعوذ بالله، وعاد مخلصًا، ويضبط بعضُ أهل العلم هذه المسألة بأنه يبدأ مخلصًا وينتهي مخلصًا.

والتحقيق: أن هذا الرياء لا يُبطل العمل[1]، بل ولا يُنقص الأجر؛ لأن تركه الرياء توبة، والتوبة تجبُّ ما كان قبلها.

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٨٢ - ١٨٣).

الحال الثانية: أن يستمرَّ مرائيًا حتى يَفرغ مُرائيًا، فبدأ مخلصًا وفرغ مرائيًا.

والتحقيق: أنَّ هذا العمل يبطل، فالعبرة بالخواتيم.

فمعرفة هذه الأحوال مُهمَّة جدًّا، وكثيرٌ من النَّاس يغفلون عنها: فإذا بدأ العبد صلاته - أعني الفريضة مثلًا - مُرائيًا؛ فإنَّ الصلاة لم تنعقد، فإذا أخلص وَجَب أن يخرج ويبدأ الصلاة مخلصًا.

وإذا بدأ الصلاة مخلصًا، وطرأ عليه الرِّياء ثمَّ دفعه قبل أن يُسلِّم فصلاتُه صحيحة ولا يحتاج أن يُعيدها.

وإذا بدأ الصلاة مخلصًا ثمَّ طرأ عليه الرِّياء وهو يصلِّي واستمرَّ في مراءاتُه إلى أن سلَّمَ، فإنَّ الواجب عليه أن يُعيد هذه الصلاة؛ لأنه لم تبرأ ذمَّته من الصلاة.

الحالة الثانية: إذا كان العمل لا يتَّصل بعضه ببعض كالزكاة والصَّدقة مثلًا، فإن الذي يَبطُلُ منه ما وقع فيه الرِّياء(١)، مثالُه: إنسان بلغت زكاتُه عشرة آلاف، فذهب يُخرجها إلى الفقراء، فأعطى الفقير الأوَّل ألف ريال مُخلصًا، ثمَّ عندما وصل إلى الفقير الثاني وإذا بشخص يُهمّه أمره في السيَّارة فأعطى ذلك الفقير ألفًا يرائي بها ذلك الرجل، ثمَّ أعطى البقيَّة مُخلصًا لله، فهنا تبطل الألف الَّتي راءى فيها فقط، ويجب عليه - على الصحيح - أن يعيد إخراج تلك الألف ريال؛ لأنَّها لم تُقبل، لأن الزكاة عبادةٌ.

ومثلُها الصدقة؛ فمن فرَّق ألف ريال مائةً مائةً، فأعطى شخصًا مائةً لله عَزَّوَجَلَّ، وأعطى آخر مائةً لله عَزَّوَجَلَّ، ثمَّ أعطى ثالثًا مائةً يرائي بها شخصًا رآه، فهنا تُتَقَبَّل صدقتُه

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٣).

إلَّا في المائة الَّتي راءى بها، فإنَّها لا تكون صدقةً، بل تكون معصيةً، ويجب عليه أن يتوب منها.

أمَّا إرادة الإنسان الدُّنيا بعمله الصالح، فهي أن يريد عرضًا من أعراض الدنيا، لا يريد أن يمدحه النَّاس.

كالذي يحجُّ يريد أن يحصل على المال.

أو يهاجر من بلد الكفر يريد أن يتزوَّج امرأةً، كمن يُقيم في بلد من بلدان الكفر، وأراد أن يتزوَّج امرأة، فقالت له المرأة: أنا لا أتزوَّجك إلَّا في بلدنا الأصلي، أو في بلد من بلدان المسلمين، وأنا مهاجرة، فهاجرت لله، وهاجر هو يريد أن يتزوَّجها، وإلَّا لبقي في بلد.

أو يريد أن يحصل على طعام مثلًا، كما لو أن شخصًا عَلِم أن رجلًا يوزِّع طعامًا على المسلمين عند باب المسجد، ولا يُعطي إلَّا مَن خَرَج من المسجد، فيذهب ليصلِّي في المسجد لا لله، ولا استجابةً لأمر الله، وإنَّما ليحصل على ذلك الطعام، فهو يريد عرضًا من أعراض الدنيا.

فهذا لا يدخل في باب الرياء؛ لأنَّ الرياء خاصٌّ بقصد مدح الناس، فالمرائي لا يريد أن يحصل على عرض من الدنيا، ولكن يريد أن يمدحه الناس، أمَّا إرادة الدنيا فهو أن يحصل على مصلحة من مصالح الدنيا، ومثارُ الرياء هو التعظيم، ومثارُ إرادة الدنيا هو الشهوة وحبُّ الدنيا، فالمرائي يرائي الناس لأنَّه يُعظِّمهم، فلمَّا عظَّمَ الشخص وعَظُم في عينه أراد مدحه وراءاه، أمَّا إرادة الدنيا فليست مبنيَّةً على تعظيم أحدٍ، لكنَّها مبنيَّةٌ على

شـهوة الإنسـان، فالَّذي جعل الإنسـان يريد الدنيا هو أنه يشتهي هذه المصلحة، ولذلك كان الرياء أقبح من إرادة الدنيا.

وإرادة الدنيا بالعمل الصالح له صور، من أمثلتها:

❁ أن يصوم إنسـانٌ سـمين الاثنين والخميس لأنَّهما سُـنَّة لوجه الله، ويريد أن يَخِفَّ وزنُه، فهذا يريد دنيا.

❁ أن يذهـب إلى الحـجِّ يريد الحجَّ، ويريد أن يؤجِّر سـيارته على الحجَّاج، فهو يريد وجه الله ويريد دنيا.

❁ أن يذهب طالب علم إلى الحجِّ يريد وجه الله، ويريد أن يدُلَّ الحجَّاج ويرشدهم ويذهب بهم إلى الفندق ويُعطى أجرةً، فهذا أراد دنيا.

❁ أن يتصـدَّق عـلى ذي رحمه يريد وجه الله، ويريد أن يُبسـط له في رزقه، فهذا أراد دنيا.

❁ أن يتعلَّم في الجامعة الإسـلامية يريد أن يحصل على العلم، ويريد أن يحصل على الشهادة، فهذا أراد دنيا.

هـذه هـي المسـألة، وكلُّ هـذه الصُّـور لها أحكامٌ مختلفة، وسـنبيِّن هـذا ونفصِّله بما يضبط الأمر - إن شاء الله - بحول الله وقوَّته.

فما حكم العمل إذا أراد الإنسان به الدنيا؟

الجواب: لا يخلو الإنسان من أحوال:

الحالـة الأولى: أن يريد بأعماله كلِّها الدنيـا - والعياذ بالله -، لا يريد وجه الله؛ إن

صلَّى يريد الدنيا، وإن صام يريد الدنيا، وإن تصدَّق يريد الدنيا، فهو يريد الدُّنيا فقط، وهذا - والعياذ بالله - لا يصدُر من مؤمن، ولا يكون المتَّصف به مؤمنًا، بل هذا إنَّما يصدُرُ من المنافقين الَّذين لا يؤمنون بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦]، فهؤلاء هم الذين يريدون بجميع أعمالهم الدنيا وزينتها، فهؤلاء إن شاء الله وفَّى إليهم أعمالهم في الدنيا، ورزقهم بأعمالهم مصالح في الدنيا، وإن شاء لم يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ فهم من أهل النار - والعياذ بالله -، ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ أي: حبطت أعمالهم؛ لأنَّهم أرادوا الدنيا فقط.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، فهذا يدلُّ على أنَّ الذي تكون أعماله كلُّها للدنيا، وليس منها شيءٌ لله ليس مؤمنًا، وإنَّما هذا من المنافقين؛ لأنَّه يعمل عمل المسلمين في الظاهر وأمَّا قلبه ففاسد، وهذا هو المنافق الذي يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر.

الحالة الثانية: أن يكون الإنسان مُريدًا بعملٍ من أعماله الدنيا، لا بأعماله كلِّها، مثل أنه يصلِّي لله ويصوم لله، لكن يطلب العلم الشرعي الذي يُراد به وجهُ الله من أجل المال، ومن أجل أن يحصل على شهادةٍ ليجني النقود فقط، فهذا العمل باطلٌ حابطٌ، وصاحبُه آثمٌ يستحقُّ العقاب وإن كان مؤمنًا، لكن عمله هذا حابطٌ باطلٌ مردودٌ؛ للآيات المذكورة آنفًا، فإنَّ هذا يدخل فيها من جهة إحباط هذا العمل، ولقول النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ**

....

عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١)، فقوله ﷺ **«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ»**، يريد العلم الشرعي، وليس العلم الدنيوي مثل علم الهندسة، وعلم الطب، وإنَّما العلم الشرعي، فقوله ﷺ: **«لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلا»** حصر **«لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِن الدُّنْيَا»** فنيَّته الدنيا فقط، **«لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ»** يعني لم يجد رائحة الجنَّة **«يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**، وقد ورد في بعض الأحاديث أنَّ رائحة الجنَّة توجد على مسيرة أربعين عامًا(٢)، وفي بعض الروايات الصحيحة على مسيرة سبعين عامًا(٣)، وفي رواية صحيحة على مسيرة مائة عام(٤).

والمقصود: أنَّه يُبعَد عن الجنَّة، ويستحقُّ دخول النَّار بهذا العمل.

الحالة الثالثة: أن يريد وجه الله ويريد الدنيا، فليس عملُه خالصًا للدنيا، ولا خالصًا لوجه الله، وإنَّما يريد وجه الله ويريد الدنيا، فهذا له صور:

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٨٤٥٧)، وأبو داود رقم (٣٦٦٤)، وابن ماجه رقم (٢٥٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه على «المشكاة» رقم (٢٢٧).

(٢) كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٣١٦٦)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»**.

(٣) كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد رقم (١٨٠٧٢)، والنسائي رقم (٤٧٤٩)، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا»**.
والحديث صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٤٨).

(٤) كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبرانيُّ في «الأوسط» رقم (٨٠١١)، والإسماعيليُّ في «معجم شيوخه» (٣/ ٧٢٥-٧٢٦)، والضياء المقدسيُّ في «صفة الجنَّة» رقم (٤٠)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا بِغَيْرِ حَقِّهِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ»**. وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٣٥٦).

الصورة الأولى: أن يريد بالعمل الصالح وجه الله، ويريد به الدُّنيا من الله، فلا يريدها من الناس وإنَّما يريدها من الله، وهذا التشريك لا يضرُّ العمل ولا العامل؛ لأنَّه يسأل الدنيا من مالكها سبحانه، فمثلًا: وقع إنسانٌ في ضيق دنيوي، وطالبه صاحبُ الدَّين بالدَّين، ولم يجد مالًا وضاقت به الدنيا، فقام يصلِّي يريد بالصلاة وجه الله، وأن يحصل له الرزق حتى يُفرِّج عنه، فهو يريد الرزق من الله، ولا يريده من أحدٍ من المخلوقين ولا بعمله، ولكن يريده من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا لا يضرُّ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]؛ فلمَّا رتَّبَ الله على العمل أنَّه يُفرِّج عن المكروب ويرزق به العبد من حيث لا يحتسب؛ علمنا أنَّ العبد إذا أراد بالعمل الصالح وجه الله وأراد الدنيا من الله، أن هذا لا يضرُّه.

مثال آخر: إنسان يَصِلُ رحِمه ابتغاءَ مرضاة الله، ويريد أن يؤخَّر في أجله، ويُبسطَ له في رزقه، ويريد هذا من الله، فهذا لا يضرُّ عمله؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١) فلمَّا رتَّب النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العمل هذا الثواب العاجل؛ علمنا أنَّه لا بأس أن يريده العامل، بل معلوم أنَّ العبد إذا عَلِم أنَّ الله يُرتِّب على العمل شيئًا فلابدَّ أن يقع في قلبه حصول ذلك المطلوب، ويصعب أن يتخلَّص منه، فلمَّا كان ذلك كذلك فإنه لا يضرُّ.

الصورة الثانية: أن يريد بالعمل وجه الله، ويريد الدنيا بأسبابها، وقد أَذِن الله له في هذا، كما في الحجِّ، كمن يحجُّ يريد الأجر والتجارة، وهو تاجر ثياب في بلده، فقال: أذهب أحجُّ، فأكسب حجَّة، ومنها - ولله الحمد والمنَّة - أربح في التجارة، فهذا جائزٌ،

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٦٧)، ومسلم رقم (٢٥٥٧)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولا حرج فيه، ولا يُنقص الأجر؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال في الحجِّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، فرفع الله الجناح وهو المؤاخذة والإثم، ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾ أي: تطلبوا وتريدوا وتقصدوا ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وقد اتَّفق العلماء[1] على أن الفضل الذي أَذِن الله فيه هو التجارة، فالرَّجل يريد وجه الله ويريد ما أَذِن الله فيه وهو التِّجارة.

لكن مَن أكمل حجًّا؛ أحدُهما ذهب يريد الحجَّ فقط، والآخر يريد الحج والتجارة؟

الجواب: الَّذي يريد الحجَّ فقط أكملُ من الَّذي يريد الحج والتجارة؛ وذلك لأمرين:

الأمر الأوَّل: لصفاء نيَّة الأوَّل الَّذي يريد الحجَّ فقط.

الأمر الثَّاني: أنَّه لن يشتغل عن الحجِّ بغيره، فهو متفرّغٌ لأعمال الحج، أما الذي يريد التجارة فهو يحج ويشتغل بالتجارة.

فإن قال قائلٌ: قد قلتُم: إنَّ نيَّة التجارة لا تُنقص الأجر، فكيف تقولون: إن الَّذي لا ينوي مع حجِّه التِّجارة وينوي الحجَّ فقط، يكون حجُّه أكملُ؟

فنقول: هاهنا قاعدةٌ يُقرِّرها أهلُ العلم، وهي: «أن التَّفاضل في الكمال لا يقتضي نقصًا»، مثلًا: أليس القرآنُ - وهو كلام ربِّنا - يتفاضل؟ بلى يتفاضل، فأفضل آيةٍ في

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٠١ - ٥١٠)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم (١/ ٣٥١-٣٥٢، الباز)، و«زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي (١/ ١٦٦)، «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٥/ ٥٣٢، عالم الفوائد).

القرآن هي آيةُ الكرسي، فهي أفضلُ من غيرها من الآيات، فهل هذا يقتضي نقصًا في الآيات الأُخَر؟ الجواب: لا، لكنَّه تفاضلٌ في الكمال.

أوليس الأنبياء يتفاضلون؟ بلى يتفاضلون، فأفضلُ الأنبياء أولو العزم، وأفضلُ أولو العزم محمَّد ﷺ، فهل إذا قلنا: إنَّ محمدًا ﷺ أفضلُ الأنبياء، يقتضي هذا نقصًا في الأنبياء الآخرين؟ الجواب: لا، فكلُّهم أنبياءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كاملون، لكنَّهم يتفاضلون في الكمال، وهذا لا يقتضي نقصًا، ولذلك نصَّ أهلُ العلم على أن التفضيل بين الأنبياء إذا كان مُشعرًا التنقُّصَ فهو حرامٌ[1]، يعني يجوز أن نقول: إنَّ محمَّدًا ﷺ أفضلُ من موسى ﷺ؛ لأنَّ محمدًا ﷺ أفضل الأنبياء، إلَّا إذا أشعر المقام أو القصد بتنقُّص موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهنا يكون حرامًا؛ لأنه لا نقص في موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنَّما هذا تفاضلٌ في الكمال.

وإذا قلتُ - مثلًا -: إنَّ الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والشيخ الألبانيَّ والشيخ مقبلًا الوادعيَّ - رحمهم الله جميعًا - هم علماء، وأعلمُهم عندي ابنُ باز، فهل هذا يقتضي نقصًا في بقيَّة العلماء؟

الجواب: لا، بل أثبتُّ لهم العلم.

فهذا النوع من التفضيل يسمِّيه العلماء بالتفاضل في الكمال.

فهؤلاء الَّذين يحجُّون حجًّا مقبولًا لهم أجرُ الحجِّ، ثمَّ يتفاضلون في الكمال.

الصورة الثالثة: أن يريد وجه الله، ويريد عرضًا من الدنيا غير الَّذي أُذِن فيه؛ فهذا

---

(١) انظر: «شرح السنَّة» للبغويِّ (٧/ ١١)، و«المعلم بفوائد مسلم» للمازريِّ (٣/ ١٣٤)، و«شرح مسلم» للنووي (١٥/ ٣٨)، و«مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٣٦)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٤٦).

اختلف فيه العلماء هل يُحبط العمل أو لا؟ والصحيح أنه يُنظر إلى أصل النيَّة، فإن كان أصلُ النيَّة الدنيا، وكان ابتغاء وجه الله تبعًا للدنيا، ولولا الدُّنيا لَـمَا تحرَّك للعمل؛ فهذه الإرادة تُبطلُ العمل؛ لأنَّ الإرادة الأصليَّة هي الدنيا.

مثالُه: سمع طالبٌ في بلده بأنَّ الجامعة الإسلامية في المدينة تُدرِّس العلوم الشرعية وتتكفَّل بالطالب من حيث سكنُه ومعاشُه، فقال: هل تُعطي مكافأة؟ قيل له: نعم، فأتى بالملفِّ المطلوب وأتى المسؤول المكلَّف فقال: كم المكافأة؟ فقال: ليس فيه مكافأةٌ، إنَّما تتكفَّل الجامعة بك في مسكنك ومطعمك، أمَّا مكافأة فلا تُصرف لك مكافأةٌ! فقال: هاتِ أوراقي لا أريد التسجيل؛ فهذا الطالبُ حرَّكتُه الدُّنيا، لَّما ذهبت الدُّنيا ترك الدراسة الشرعية.

مثال آخر: قال شخصٌ لآخر: أريدُك أن تحجَّ حجَّ بدل عن أبي، وأعطيك مائة ألف ريال، فوافق، وبعدما رتَّب أموره قال له الرَّجل: والله تبيَّن أنَّ أخي حجَّج عن أبي، فلن أحجِّج عنه، فرجع الرجل إلى امرأته فقال لها: أفرغي الحقيبة؛ فلن نحجَّ، فهذا تبيَّن أن أصل نيَّته الدنيا، فهذا لو حجَّ لكان الأصل في نيَّته الدنيا، وكان ابتغاء وجه الله تبعًا، فهذا الحجَّ باطل، والعمل بهذه الإرادة يحبط على التحقيق.

أمَّا إذا كان أصل العمل لله وأراد الدنيا بقلبه، مثل أن يريد الحجَّ ويريد هذا المال الَّذي سيدفعه له هذا الشخص من أجل أن يسدِّد ديونه، أو من أجل أن يشتري شيئًا؛ فهو يريد الدنيا، لكن الأصل عنده إرادةُ وجه الله، فلو خلا العمل من إرادة الدنيا وتيسَّر له الحجَّ؛ فإنَّه يحجَّ، فهذا على التحقيق من أقوال أهل العلم أنَّه لا يبطل عمله، لكنَّه يُنقص الأجر بمقدار نقصان النيَّة، فهو لا يُبطل العمل، وإنَّما يُنقص أجر العامل بمقدار

.....

ما نقص من نيَّته، وقد سُئل الإمام أحمد عن المُكاري في الغزو فقال: «أجرُه بمقدار ما يَخلُصُ من نيَّته»[1]، يعني: إنسانٌ يذهب إلى الغزو يريد إعلاء كلمة الله، ويريد أن يؤجِّر الدابَّة ليكسب نقودًا، هذا يؤجر بمقدار ما كان لله، ونيَّتُه للدُّنيا تُنقص ثوابه.

إذًا الَّذي يريد بالعمل الصالح وجه الله أصلًا ويريد الدنيا ولم يكن ذلك ممَّا أُذِن فيه، فإن عمله صحيح لا يبطل، لكن ينقص أجرُه بمقدار ما ينقص من نيَّته.

تنبيه:

كلامنا هنا عن العمل الصالح الذي يراد به الدُّنيا، أمَّا أعمالُ الدُّنيا من بيع وغيره الأصلُ فيها أنَّها للدنيا، لكن بعض الناس يزكو فيجعل هذه الأعمال أيضًا لله عَزَّوَجَلَّ، يعني يترقَّى بنفسه فيريد مثلًا بالبيع المال من أجل أن يُعفَّ نفسه، ومن أجل أن يتصدَّق على أقاربه وغيرهم، فهذا يؤجر على البيع.

ومثله النوم فجائز أن ينام الإنسان ليرتاح، وهذا مصلحة دنيوية، فلو نام الإنسان يريد أن يرتاح لا نقول: أراد الدنيا؛ لأنَّه هو الأصل، لكن بعض النَّاس ينام ليرتاح من الحرام ولينشط للحلال، مثلًا: يكون مع أناس يغتابون فينام حتَّى يرتاح منهم، فيؤجر على نومه، أو يقول: أنام حتَّى أستيقظ للفجر مبكِّرًا نشيطًا، فيؤجر على نومه.

هذا مجموع ما قرَّره العلماء - على التحقيق - في هذا المسألة.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٢).

٢٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: فُلانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ(١).

هذا الحديث العظيم قطَّع قلوب الصالحين، فكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كما سيأتي- إذا حدَّث بهذا الحديث يُغشى عليه مرارًا من شدَّة ما في هذا الحديث، ولـمَّا حُدِّث معاويةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالحديث بكى بكاءً شديدًا حتَّى خَشي أصحابُه أن يموت من شدَّة بكائه.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ»»، من المعلوم أنَّ أوَّل أمَّةٍ يُقضى

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٩٠٥)، وأحمد رقم (٨٢٧٧)، والنسائي رقم (٣١٣٧).

عليها ولها يوم القيامة هي أمَّةُ محمَّد ﷺ، وهؤلاء من أمَّة محمَّد ﷺ أوَّلُ النَّاس قضاءً عليهم، فإنَّ القضاء يكون عليهم لجُرمهم.

قال ﷺ: «رَجُلٌ»، قال العلماء: المراد به الصِّنفُ، وليس رجلًا واحدًا، وإنَّما هم صنفٌ يتَّصفون بهذه الصفة، ويؤتى بهم، ويقضى على كلِّ رجل منهم.

وقال العلماء أيضًا: ليس المقصود الرَّجل بذاته، فحتَّى المرأة يمكن أن تدخل في هذا، فهم صنفٌ يؤتى أوَّلًا منهم برجل.

قال ﷺ: «اسْتُشْهِدَ» أي فيما يظهر أنَّه قُتل في المعركة فكان شهيدًا، وفي هذا دليلٌ على أنَّ المسلم إذا قُتل في الجهاد الصحيح في سبيل الله يُحكم له ظاهرًا بالشهادة، ويعامل معاملة الشهيد وتثبت له أحكامه، وقد اختلف العلماء في إطلاق لفظ الشهيد على هذا، والصحيح: أنه يجوز أن يُطلق عليه لفظُ الشهيد بحسَب الظاهر، أمَّا بحسَب الباطن فلا يُطلق عليه الشَّهيد جزمًا، وإنَّما يقال: نحسَبُه شهيدًا، أو نرجو أن يكون شهيدًا؛ لأنَّنا لا ندري ما نيَّتُه، وهذه لا يطَّلع عليها إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أمَّا بحسَب الظاهر فما دام أنَّه مسلم وقُتل في المعركة؛ فيصحُّ أن يقال: إنَّه شهيد.

ولذلك قال في الحديث: «رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ» أي: بحسَب الظاهر، وإلَّا فسيتبيَّن أنَّه ليس شهيدًا

قال ﷺ: «فَأُتِيَ بِهِ» للقضاء بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال ﷺ: «فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ» أي عرَّفه الله عَزَّوَجَلَّ نِعمة التي أنعم بها عليه؛ سواء ما يتعلَّق بهذا العمل أو بغيره، بأن أنعم عليه فجعله مسلمًا، صحيح البدن، قويَّ البنية، فيُعرِّفه الله عَزَّوَجَلَّ نِعمه الَّتي يتمكَّن بها من العمل. «فَعَرَفَهَا» وأنَّى له أن يُنكر.

قال ﷺ: «قَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟» هذا هو السؤال الذي يجب أن نعمل له، كلُّنا يُنعم الله علينا بنعم متتالية متتابعة لا تنقطع، وسنُسأل: فما عملت فيها؟ فمن استعمل نِعم الله في طاعة الله فقد ربح وفاز، ومن استعمل نِعم الله في معصية الله فقد خاب وخسر.

قال ﷺ: «قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ» أي: قاتلت لأجلك، وكنت مجاهدًا في سبيلك حتَّى استُشهدت، فلم أكن مُدبرًا، وصبرت حتى قُتلت.

قال ﷺ: «قَالَ: كَذَبْتَ» فيُفضح على الملأ، وينادى بأنَّه كاذب، «وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ» يعني: قاتلت ليقال: فلان شجاع، كنت تريد مدح الناس وأن يصفك الناس بالشجاعة.

قال ﷺ: «فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ» إذلالًا ومهانةً حتَّى أُلقي في النَّار.

قال ﷺ: «وَرَجُلٌ» قال العلماء: أي صنفٌ يتَّصفون بهذه الصفة، فيؤتى برجلٍ منهم، «تَعَلَّمَ الْعِلْمَ» في الدُّنيا فتعب، ولربَّما سافر، ولربَّما تحمَّل الكثير، «وَعَلَّمَهُ» فبذله ودرَّس وخَطَب، «وَقَرَأَ الْقُرْآنَ» فحفظه وتلاه، «فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ» ومنها تيسير العلم، «فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ» أي: تعلَّمتُ العلم فيك لأجلك وعلَّمتُه، «وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ» فإنَّك أردتَ المنزلة عند النَّاس والمدح، أن يقال: مولانا الشيخ، العالم، الدكتور، طالب الجامعة، العلَّامة...! إنَّما تعلَّمت لهذا القصد والغرض، «وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ» فرتَّلته وجوَّدته وحسَّنت صوتَك به؛ «لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ» أي ليقال: القارئُ فلان، المُقرئ فلان!

.....

قال ﷺ: «فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

قال ﷺ: «وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ» أي في دنياه، «وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ» أي: ما تركتُ من سبيل للنفقة تحبُّ أن يُنفق فيه، إلَّا أنفقتُ فيه؛ بَنيتُ مساجد، وتكفَّلت بطلَّاب علم، وطبعت مصاحف، وتصدَّقت على الفقراء، وفعلتُ هذه النفقات الَّتي تحبُّ. فَقَالَ الله: «كَذَبْتَ! وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ»، أنفقتَ ليقال: المُحسن الكريم، الجواد الكريم، ابن الكرماء! «فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»؛ هؤلاء الثلاثة أوَّل من تُسعَّر بهم النار حتَّى قبل عُبَّاد الوثن.

وما جاء في أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول له: «وَقَدْ قِيلَ» قال العلماء: ليس شرطًا، فإنَّ العقاب ليس على قولهم، وإنَّما العقاب على إرادته، فلو أنَّه - والعياذ بالله - أراد بتعلُّم العلم أن يُقال: عالم، لكنَّ النَّاس لم يقولوا فإنَّه يدخل في الوعيد؛ لأنَّ الذنب أنَّه أراد أن يقولوا.

وفي هذا الحديث: بيان أنَّ الرِّياء من أشرِّ الذنوب وأقبحها، وذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يبدأ بهم في القضاء - أعني: المرائين -، ويُدخلهم النَّار قبل غيرهم - والعياذ بالله -.

❁ ❁ ❁

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِهِ»[(١)]؛ كِلَاهُمَا بِلَفْظٍ وَاحِدٍ عَنِ الوَلِيدِ بْنِ الوَلِيدِ أَبِي عُثْمَانَ المَدِينِيِّ؛ أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ حَدَّثَهُ أَنَّ شُفَيًّا الأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ دَخَلَ المَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا، قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى، ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ[(٢)] لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعَى بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: كَذَبْتَ،

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٣٨٢)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن حبَّان في «صحيحه» رقم (٤٠٨)، والحديث صحَّحه الألبانيُّ في «التعليقات الحسان» رقم (٤٠٩).

(٢) قال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلتُ: هذا النزول نزول حقيقيٌّ كما يليق بجلاله وكماله، وهو صفة فعل لله عَزَّوَجَلَّ، فإيَّاك أن تتأوَّله كما يفعل الخَلَف؛ فتضلَّ!».

وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ.

وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: أَلَمْ أُوسِعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ.

وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَمَرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ»، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

وَقَالَ الوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ المَدِينِيُّ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ: «أَنَّ شُفَيًّا، هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا» قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي العَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ: أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

وَرَوَاهُ ابْـنُ خُزَيْمَـةَ فِي «صَحِيحِـهِ»(١) نَحْوَ هَذَا لَمْ يَخْتَلِفْ إِلَّا فِـي حَرْفٍ أَوْ فِي حَرْفَيْنِ.

قَوْلُهُ: (جَرِيءٌ) هُوَ بفتحِ الجِيمِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَبِالْمَدِّ، أَي: شُجَاعٌ.

(نَشَـغَ) بفَتـحِ النُّونِ وَالشِّـينِ الـمُعْجَمَـةِ وَبَعْدَهَا غَينٌ مُعْجَمَةٌ، أَيْ: شَـهِقَ حَتَّى كَادَ يُغْشَى عَلَيهِ أَسِفًا أَو خَوْفًا.

قال الألبانيُّ: صحيح.

هذه الرواية فيها أن شُفيًّا «دَخَلَ المَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ» أي بعالم يُعلِّم الناس، «قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» يُحدِّثهم ويُعلِّمهم.

قـال: «فَقَـالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو هُرَيْـرَةَ، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّـى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَـكَتَ» أي: فلمَّا فرغ من حديثه، «وَخَلَا، قُلْتُ لَهُ: أَسْـأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ» أي: أكَّدتُ عليه السـؤال، «لَـمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَـمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ» أي: فهمتَه.

قـال: «فَقَـالَ أَبُو هُرَيْـرَةَ: أَفْعَلُ»، وكان السَّـلف كرمـاء بالعلـم، وإذا طُلبوا العلمَ فـلا يـردُّون الطالب إلَّا من عذر، بل بلغ من حال السـلف أنَّ شـيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كان يكـون عنـده الكتاب يحتاجـه، فيطلبه منه طالـبٌ علم فيعطيه إيَّـاه، فقيل له في ذلك؟ فقال: سـألني علمًا، فكيف أردُّه! وكان السَّـلف مـن أخلاقهم أنهم يتواضعون مـع طلَّاب العلم، ويرون لطلَّاب العلم فضلًا؛ لأن صفوان بن عسَّـال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لـمَّا قَدِم المدينـة على رسـول الله ﷺ قال: «إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْـمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِطَالِبِ

---

(١) رقم (٢٤٨٢).

الْعِلْمِ»[١] فكانت سنَّة، يعني أنَّ العالم والشيخ إذا جاءه طالب العلم لا يطرده ولا يقهره ولا ينهره ولا يذلُّه، بل يرحِّب به ويقول: مرحبًا بطالب العلم، بل بلغ الحال أن أحد السلف قال: «كُلُّ مَنْ كَتَبْتُ عَنْهُ حَدِيثًا، فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ»[٢]، يعني: من علَّمني حديثًا صرتُ له عبدًا ذليلًا؛ لفضله عليَّ، فحُكي هذا القول لأحد العلماء من السَّلف، فقال: «مَنْ كَتَبَ عَنِّي حَدِيثًا فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ»[٣]، أي: أنَّ الطالب يستحقُّ الإكرام؛ لأنَّه هو الذي حمل علمي، وهو الَّذي ينشر علمي، فالسلف الصالح ﷺ من سنَّتهم ومنهجهم وطريقتهم إكرامُ طالب العلم وإعطاؤه ما سأل، إلَّا أن يكون هنالك عذر؛ ولذا قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَفْعَلُ».

قال: «لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ» أي: فهمته وحفظته.

قال: «ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً» النشغ أصلُه: الشهيق الشديد من الخوف أو الرجاء حتَّى يكاد يُغشى عليه[٤]، هذا أصل النشغ، يقال: نشغ أي أخرج شهيقًا شديدًا أو سحب

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٧٣٤٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» رقم (١٦٢)، والضياء في «المختارة» (٨/ ٤٥-٤٦، دار خضر)، وحسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» رقم (٣٣٩٧).

(٢) رواه البغويُّ في «مسند ابن الجعد» (١٢ حيدر)، وعبد الله بن أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (٢٩٩١ وصي الله)، وابنُ المقرئ في «المعجم» (٩٢٠ الرشد)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٥٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٨٢٨ الزهيري)، والقاضي عياض في «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» (ص: ٢٢٧).

(٣) «طبقات علماء الحديث» لابن عبد الهادي (٣/ ٣٦٢)، و«السير» للذهبي (١٨/ ٣٥٨)، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ٥٦ العبيكان).

(٤) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٣٢٧)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٥٨).

شـهيقًا شـديدًا حتَّى كاد يُغمى عليه، هذا أصله، أمَّا هنا فهو قد غُشي عليه، يعني شَـهِق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغُشي عليه.

قال: «فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ» هذا دليلٌ أنه غُشي عليه، فبقوا ينتظرونه حتَّى أفاق.

قـال: «فَقَـالَ: لَأُحَدِّثَنَّـكَ حَدِيثًـا حَدَّثَنِيـهِ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَـا وَهُـوَ فِي هَذَا البَيْـتِ مَـا مَعَنَا أَحَـدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ» قال العلماء: هذا البيت يمكـن أن يكون المراد به بيت أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويمكن أن يكون المراد به المسـجد، فأبـو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان في زمن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلازمه على شِبَعِ بطنه، فلا حاجة له سـوى أن يسـدَّ جوعه ويجلس إلى النَّبـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى لا يفوته شيءٌ من أحاديث الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أمكن، فحدَّثه النَّبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهـذا الحديـث حيـث خلا به؛ إمَّـا في بيـت أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإمَّا في المسجد.

قال: «ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى، ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَـغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْـغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ»، ففي هذه المرَّة غُشي عليه فسقط ومكث مغشيًّا عليه طويلًا.

قال: «فَأَسْـنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَـاقَ»، وفي هذا زكاءُ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتأثُّرهم بما يروون من أحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قـال: «فَقَـالَ: حَدَّثَنِي رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ» وهو اليوم الذي يُحشر فيه النَّاس جميعًا حفاةً عراةً غرلًا؛ يُحشرون على صعيد واحد حفاةً غير منتعلين، عراةً عوراتهم بادية، غرلًا غير مختونين، على صعيد واحد في يوم شديد، فيه

﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ أي: يتمايلون كأنَّهم سكارى ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] تيقَّنوا العذاب، فأخافهم ذلك.

قال ﷺ: «يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ» فالله ربُّنا الكريم العليُّ مستوٍ على عرشه فوق سمواته، وينزل يوم القيامة نزولًا حقيقيًّا يليق بجلال ربِّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا نردُّ ما ثبت من سنَّة نبيِّنا ﷺ، ولا نكيِّف ولا نحرِّف، بل نقول: ينزل نزولًا حقيقيًّا.

قال ﷺ: «لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ» فالذي يقضي هو الله مالك يوم الدِّين، نسأل الله أن يرحمنا.

قوله ﷺ: «وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ» أي على رُكبها من شدَّة الهول.

قال ﷺ: «فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعَى بِهِ» ليُقضى عليه «رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ» وهذا الذي قلنا: إنَّه حفظ القرآن وتلاه، «وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ» يعني فيما يظهر للنَّاس، وإلَّا فحقيقتُه أنَّه ما قُتل في سبيل الله، «وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ».

قال ﷺ: «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟»، وفي هذا دليل على أن حفظ القرآن من أعظم نعم الله على الإنسان، ومن أحسن ما ينبغي أن يهتمَّ به طالبُ العلم أن يحفظ القرآن، فليتنا نخصِّص جزءًا من أنفس أوقاتنا لأنفس كلامٍ وأكرمه، وهو القرآن، ولا نجعل له كما يُقال: الضائع من وقتنا، بل نجعل له شيئًا من أنفس وقتنا، ولو في كلِّ يوم آية، فإنَّ هذا من أبرك ما يكون لطالب العلم وللمسلم؛ فإنه يبارك له في الوقت، ويُعان فيه على العلم، وعلى أموره كلِّها، ولذلك كان من وصيَّة السلف للطالب إذا رحل

ليطلب العلم أن يُكثر من قراءة القرآن، فهذا فيه أعظمُ البركة، وهو من أعظم النعم؛ ولذلك بدأ الله عَزَّوَجَلَّ الحساب بمن لم يستعمل هذه النعمة في الطاعة.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**» أي: كنت أقوم بحقِّه، فأصلِّي به في الليل، وأتلوه في النهار، وأصلِّي به بالنَّاس، فأنا قائمٌ بحقِّه، ويزعم أنَّه يفعل ذلك لله كما في الرواية الأخرى.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: كَذَبْتَ**» فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يقول له: كذبت! فنعوذ بالله! فواللهِ لو لم يكن من عذابه إلَّا أن يقول الله له: كذبت في هذا الموقف العظيم؛ لكفى به عذابًا وخزيًا!

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ**» أي: على الملأ، فيُجازى يوم القيامة بنقيض قصده الفاسد؛ لأنَّه أراد في الدنيا أن يُمدح ويُرفع بقراءة القرآن وتعلُّم العلم، فيفضحه الله يوم القيامة أقبح فضيحة ويُذمُّ بهذا الذمِّ العظيم، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة له على الملأ: كذبت.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ**».

ثمَّ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: أَلَمْ أُوسِعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟**»، وهذه نعمة عظيمة من نعم الله أن يرزقك الله المال الذي تستغني به عن الناس ولا تحتاج إليهم، فيا ويح من أنعم الله عليه بالمال حتَّى أغناه عن النَّاس ثمَّ صرفه في معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأقبح من هذا أن يستعمله الإنسان فيُظهر العمل الصالح فيه من أجل أن يُمدح.

.....

قال ﷺ: «قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ» أي: بمالي، وهذا من أفضل الأعمال لو أراد به وجه الله.

قال ﷺ: «فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ».

قال ﷺ: «وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ» أي في معركة، «فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَمَرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ» أي: مجاهدًا.

قال ﷺ: «فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ»، فإنَّك لم تقاتل في سبيلي.

قال ﷺ: «وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ» أي شجاع «فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ».

قال رضي الله عنه: «ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ». فهم أوَّل النَّاس دخولًا النار - والعياذ بالله - حتَّى قبل الكفَّار.

وهذا دليلٌ على قُبح الرياء، وعلى أنَّه يجب أن نجاهد قلوبنا جهادًا عظيمًا حتَّى نتخلَّص من الرياء، والمؤمن وسط لا يعمل العمل من أجل الناس، ولا يترك العمل خوف الرِّياء، بل يعمل العمل ويحرص عليه ابتغاء مرضاة الله؛ لأنَّ عادة الشيطان أنَّه يأتي إلى مَن يسمع هذا الحديث، فيوسوس له ليترك عمل الخير، فيقول له: أنت طالب علم! أما سمعت أن أوَّل النَّاس يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه لأنَّه يرائي وأنت مُراءٍ! فأنت لا تعمل لله، أُنظر كيف تحمل الكتب أمام الناس وتذهب

للمسجد حتَّى يُقال: طالب علم! والوعيد شديد! ما الَّذي يُقحمك في النار! اترك هذا فطُرق الخير كثيرة!!

فترى الشيطان أحيانًا يأتي بصورة ناصح ليَحْرم الإنسان من الخير، وبعض الناس من ضعفه وقلَّة علمه وفقهه إذا سمع هذه النصوص، وجاءه الشيطان يوسوس له؛ ترك العمل، وقال: لا يمكنني أن أخلص نيَّتي!

وبعض الناس - والعياذ بالله - يرائي وهو يسمع هذه النُّصوص الزاجرة، ولا يتحرَّك قلبُه مقدار شعرة، بل يبقى على سوء القصد، وفساد القلب!

أمَّا المؤمن المبارك فيُصرُّ على العمل، ويَثبت عليه، ولا يتركه خوف الرياء، وقد قال بعض السلف: «تَرْكُ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيَكَ اللهُ عَنْهُمَا»[1]، والمقصود بالشرك: شرك الطاعة؛ لأنَّه يُطيع الشيطان، يوسوس له الرِّياءَ حتَّى يترك العمل، فالمؤمن المبارك وسطٌ، يعمل العمل ويثبت عليه، ويُجاهد قلبه ليُخلص لله، وأولئك هم المجاهدون، فينبغي أن ننتبه لهذه الدقيقة، فكلا الطرفين ذميم؛ الذي يعمل العمل من أجل الناس مذموم، والذي يترك العمل خوف الرياء مذموم، والمحمود والممدوح هو الذي يعمل العمل لوجه الله، فإن أصاب القلب شيءٌ جاهده، ومن أحسن الجهاد أنَّك إذا سجدت بين يدي الله تقول: يا ربِّ، أنت أعلم بحالي، يا ربِّ، خلِّصني ممَّا أنا فيه، يا ربِّ، أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترزقني الإخلاص، فإنَّ هذا من أحسن الجهاد للرِّياء، ومنه أيضًا أن تُكثر من الأعمال الخفيَّة، فإن مَن أطاع الله في الأعمال الخفيَّة زاد إيمانه، وزكى قلبُه، فحسُن

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٦٤٦٩).

إخلاصُـه في الأعمال الظاهرة، فأكثـر من صلاة الليل حيث لا يراك أحدٌ من الناس؛ لأنَّ الإيمان يزيد بالطاعة، فإذا زاد إيمانُك زكى قلبُك، وإذا زكى قلبُك كان في ذلك عون لك على أن تُخلص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: « وَقَالَ الوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ الـمَدِينِيُّ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ: « أَنَّ شُـفَيًّا، هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَـلَى مُعَاوِيَـةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا» قَالَ أَبُو عُثْـمَانَ: وَحَدَّثَنِي العَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ: أَنَّهُ كَانَ سَـيَّافًا لِـمُعَاوِيَـةَ قَـالَ: فَدَخَـلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ» وهو شُـفيٌّ الذي روى هذا الحديـث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: « قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا» وهم قد عملوا أعمالًا صالحةً جليلةً في الظاهر، ولكنَّه راءوا بها.

قـال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « فَكَيْـفَ بِمَنْ بَقِيَ مِـنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَـدِيدًا» لتأثُّره بالحديـث، قال الرَّاوي: «حَتَّـى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَـذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ» لأنَّهم ظنُّوا أن الخليفة سيموت ممَّا سمع.

قـال: «ثُـمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَـحَ عَنْ وَجْهِـهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُـولُهُ» الله أكبر! مـا أجمل هـذه الجملة! المؤمـن إذا جاءه الحديثُ عـن رسـول الله ﷺ ثابتًا بطريق صحيـح لا يقول: أعرضُه عـلى عقلي، بل يقول: صدق رسـولُ الله ﷺ، فإن كان عقلُه المريض قال له: ما جاء في هذا الحديث ليس صحيحًا، قال لعقله: صدق رسولُ الله ﷺ، وهكـذا المؤمن؛ فالعـبرة عنده بالثُّبوت، فإذا ثبت النَّصُّ عَلِم أنَّه صدقٌ، فإن ظنَّ بعقله أنَّه يعارض العقل اتَّهم عقلَه، ولم يتَّهم الحديث.

.....

فقول معاويةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صدق الله»؛ لأنَّ الله تَعَالَىٰ قال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هُود: ١٥ - ١٦].

وقولُه: «صدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»؛ لأنَّه ذَكَر هذا الحديث.

❁ ❁ ❁

٢٣- وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالدِّينِ وَالرِّفْعَةِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ».

رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ، وَقَالَ الحَاكِمُ: «صَحِيحُ الإِسْنَادِ»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبَيْهَقِيِّ(٢): قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ، وَالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ بِالدِّينِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ، وَالنَّصْرِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا؛ فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ».

قال الألبانيُّ: صحيح.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ» «أي الأمَّة الَّتي أجابت النَّبيَّ ﷺ في كلِّ زمان «بالسَّنَاءِ» السَّناء هو الارتفاع، فهذه الأمَّة مبشَّرة بارتفاع المكانة.

قال ﷺ: «والدِّينِ» أي وثبات الدِّين وبقائه، فدين هذه الأمّة محفوظ لن يدخله تحريف ولا تغيير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال ﷺ: «والرِّفْعَةِ» أي: الرفعة للمسلمين، فالأمَّة مبشَّرة بالارتفاع، والمسلمون مبشَّرون بالرفعة، هذا أولى ما حُمل عليه المعنى؛ لأنَّ التأسيس خير من التأكيد، فبعض أهل العلم فسَّر السَّناء والرفعة بمعنى واحد، ويكون هذا من باب التأكيد، لكن

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢١٢٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٤٠٦)، والحاكم في «المستدرك» رقم (٧٨٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٩٨٥٢)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» رقم (٤٠٦).

(٢) في «شعب الإيمان» رقم (٦٤١٦).

القاعدة عند أهل العلم: أنَّ حَمل الكلام على معنى جديد أولى من حمله على التأكيد[١]؛ ولذلك الأَوْلى في المعنى: أنَّ الأمَّة مبشَّرةٌ بالارتفاع، وأنَّ المسلمين مبشَّرون بالرِّفعة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

قال ﷺ: «وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ» فالله يُمكِّنُ لهذه الأمَّة.

قال ﷺ: «فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا» التعقيب بالفاء إشارة إلى أنَّ هذه البشارة إنَّما هي للأمَّة ما أخلصت لربِّها واتَّبعت سنَّة نبيِّها ﷺ، فإن كانت الأمَّة مخلصةً لله، متَّبعة لرسوله ﷺ فهي مبشَّرة بهذه البشارات العظيمة؛ بالارتفاع والثبات على الدِّين - ولا يضرُّها مكر الماكرين من شياطين الإنس والجنِّ -، والرِّفعة والتمكين في الأرض، لكنَّها إذا عَمِلت بعمل الآخرة للدنيا فإنَّها ليست أهلًا للبشارة، فقد يكون هذا وقد لا يكون، لكن ليس لهم في الآخرة إلا الخسارة؛ ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ» أي: من أمَّة الإجابة «عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا» وهذا الغرض الدنيويُّ يحتمل أنَّه الرِّياء، ويَحتمل أن يكون لعرض من أعراض الدنيا، مال أو نكاح أو نحو ذلك، فعملُه باطلٌ و«لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ»، وقد تقدَّم معنا تفصيلُ أحكام العبادات الَّتي يخالطها الرِّياء أو إرادة الدنيا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبَيْهَقِيِّ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ»» فهذه الأمَّة دينها يُسر، فسبحان الله! كلَّما أخلصت لله وتابعت رسولَ الله ﷺ تيسَّرت عبادتُك، وتيسَّرت أمورُك، وكلَّما كنت مخلصًا أحببت العبادة أكثر، وكلَّما رُزقت الإخلاص في قلبك كانت العبادة جنَّتك في الدنيا؛ ترتاح بها من الهموم،

(١) انظر: «مذكرة أصول الفقه» للأمين الشنقيطي (ص: ١٦٦، مكتبة جامع العلوم والحكم).

كما قال النَّبيُّ ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ»(١)، وكان ﷺ يقول: «أَرِحنَا بِهَا يَا بِلَال»(٢)، كلما كنت مخلصًا لله متابعًا لرسول الله ﷺ طابت حياتُك، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

قال العلماء: ليست الحياة الطَّيِّبة أن لا تحصل له أذيةٌ أو مصائب، لكن الله عَزَّوَجَلَّ يرزقه قلبًا سليمًا يتعامل مع الدنيا، فإن كان الأمر الَّذي يسرُّ شكر، وإن كان الأمر الذي يضرُّ صبر، وعَلِم أنَّ الأمر كلَّه بيد الله، وأنَّ الأمر كلَّه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال ﷺ: «وَالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ بِالدِّينِ»، السَّناء كما قلنا: الارتفاع للأمَّة في مجموعها، والرِّفعة للنَّاس للمؤمنين، فهذه الأمَّة لن ترتفع إلَّا بالدِّين، وقد أعزَّها الله بالإسلام، والله لو أنَّ أمَّةَ محمَّد ﷺ تمسَّكت بدينها مخلصةً لربِّها متَّبعةً لرسولها ﷺ، والله لا تحتاج إلى أحدٍ أبدًا، فينبغي على كلِّ فرد منَّا أن يبدأ بنفسه، ولا ينظر إلى تقصير الآخرين، ليبدأ بنفسه ويُعالج قلبه ويُصلح عمله، فالَّذي يريد العزَّة للأمَّة صادقًا ويريد أن تعود هذه الأمَّة إلى قوَّتها وعزَّتها ومكانتها، فعليه أن يبدأ بنفسه بأن يُصلح قلبه، ويُصلح عمله بالإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ.

❁❁❁

(١) أخرجه أحمد رقم (١٤٠٣٧)، والنسائي رقم (٣٩٤٠)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «المشكاة» رقم (٥٢٦١).

(٢) أخرجه أحمد رقم (٢٣٠٨٨)، وأبو داود رقم (٤٩٨٥)، والطبراني في «الكبير» رقم (٦٢١٥)، واللفظ له، عن رجل من أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة» رقم (١٢٥٣).

٢٤- وَعَنْ أَبِي هِنْدٍ الدَّارِيِّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ؛ رَاءَى اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمَّعَ».

رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ(١).

قال الألبانيُّ: صحيح.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَنْ أَبِي هِنْدٍ الدَّارِيِّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ»» جمع النبيُّ ﷺ بين الرياء والسمعة، وكلاهما يجتمعان في قصد المدح بالعمل الصالح، وقد ذكرنا فيما تقدَّم أن من العلماء من سوَّى بينهما ومنهم من فرَّق.

قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ رَاءَى اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمَّعَ» ليُفضح، فهذا في الدنيا أظهر العمل الصالح ليُمدح، وسمَّع بالعمل الصالح ليُمدح، فيفضحه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيرائي الله به ليفضحه، ويُسمِّع به ليفضحه على رؤوس الخلائق.

مسألة: لو أنَّ الإنسان عَمِل العمَل الصالح مخلصًا لله، ثمَّ بعد يوم أو يومين جاءه الشيطان فسمَّع بعمله ذلك ليُمدح، فهل يُبطل هذا التسميع عمله؟

الجواب: لا؛ لأنَّ العمل إذا تمَّ بإخلاص ومتابعة ولا مبطل؛ فقد صحَّ، فإذا جاءت نيَّة سوء بعد العمل والفراغ منه؛ فإنَّها إثمٌ في ذاتها، فكون الإنسان يريد أن يُخبر النَّاس على عمله الصالح ليُمدح، وقد كان قد فرغ منه مخلصًا، هذا ذنبٌ، لكنَّه لا يُبطل العمل، إذًا هناك فرقٌ بين التسميع المقصود عند العمل، وبين التسميع الذي يقع قصدًا بعد العمل،

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٢٣٢٢)، والطبراني في «مسند الشامين» رقم (٣٤٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٦٤٠٤).

مثلًا: إنسان عمِل مخلصًا لله ولم يقصد أن يُخبر أحدًا، أو يُظهر العمل، أو ليُمدح، وإنَّما يريد وجه الله، لكن بعد يومين أو ثلاثة ضحك عليه الشيطان فجلس إلى شيخ، وأراد أن يُظهر منزلته عند الشيخ، فجاءه الشيطان واستغلَّ هذا الضعف فأخبر الشيخ بما فعل؛ يريد أن يمدحه الشيخ، فهذا ذنبٌ لكنَّه لا يُبطل العمل.

مسألة: إذا عمِل العبد العمل الصالح لوجه الله فأظهره الله من غير جهته، كأن يدعو رجلٌ رجلًا إلى الإسلام لوجه الله، فيسلم الرجل، ثمَّ بعد مدَّة يخبر هذا الرجل الذي أسلم ويقول: دعاني فلان وقال لي كذا، وأحسن إليَّ فأعطاني من الأموال كذا وكذا، فأظهر الله عمله للنَّاس، فمدحه النَّاس وأثنوا عليه، فهل هذا يضرُّ المؤمن؟

الجواب: لا يضرُّه، بل هو بشارةٌ؛ فقد جاء في حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند «مسلم»[1]: أَنَّه قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»، فهذه كما يقول العلماء: من علامات القبول أن يعمل الإنسان العمل مخلصًا لله، ولا يريد أن يمدحه الناس، لكن الله يُظهر عمله، فيمدحه الناس ويُثنون عليه، وهذا الثناء الَّذي لم يُرده هو عاجلُ البشرى له بالثواب والرِّفعة عند الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ ❁ ❁

(١) رقم (٢٦٤٢).

٢٥ - عَـنْ عَبْـدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ؛ سَمَّعَ اللهُ بِهِ مَسَامِعَ خَلْقِهِ، وصَغَّرَهُ وحَقَّرَهُ».

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» بِأَسَانِيدَ أَحَدُهَا صَحِيحٌ، وَالبَيْهَقِيُّ[1].

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ.

٢٦ - وَعَـنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَـالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمَّعَ؛ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَاءِ؛ يُرَاءِ اللهُ بِهِ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[2].

(سَمَّـعَ) بِتَشْـدِيدِ المِيمِ، وَمَعْنَاهُ: مَـنْ أَظْهَرَ عَمَلَهُ لِلنَّاسِ رِيَـاءً؛ أَظْهَرَ اللهُ نِيَّتَهُ الفَاسِدَةَ فِي عَمَلِهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَفَضَحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ.

٢٧ - وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْـجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ رَاءَى اللهُ بِهِ، وَمَنْ قَامَ مَقَامَ سُمْعَةٍ سَمَّعَ اللهُ بِهِ».

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[3] بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

٢٨ - وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ فِي الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ إِلَّا سَمَّعَ اللهُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٦٥٠٩، ٦٩٨٦، ٧٠٨٥)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ٥٢٩)، وفي «الأوسط» رقم (٤٩٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٦٤٠٢).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٤٩٩)، ومسلم رقم (٢٩٨٧).
(٣) في «المعجم الكبير» رقم (٦٤٩٩).

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[١] بِإِسْنَادٍ حَسَن.

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

٢٩- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَنْ رَاءَى بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ؛ وَكَلَهُ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ: انْظُرْ هَلْ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا؟!».

رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ[٢] مَوْقُوفًا.

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ مَوْقُوفٌ.

كلُّ هذه الأحاديث تدلُّ على خطورة الرِّياء، وتُنبِّه المؤمن على أنَّ هذا الرِّياء سيضرُّه ضررًا عظيمًا؛ لأنَّ المدح الذي قصده في الدنيا قد يحصل له، وقد لا يحصل، لكنَّه متوعَّد بهذا الوعيد الشديد بأن يفضحه الله عَزَّوَجَلَّ على رؤوس الخلائق، فيكون حقيرًا ذليلًا في ذلك المقام، فيُظهر الله سرَّه، وأنَّه كان يرائي وكان يُسمِّع، فيُفضح فضيحة عُظمى؛ وفي هذا علاج للرِّياء لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فماذا تستفيد يا من تُرائي لو مدحك النَّاس كلُّهم في الدنيا، وفضحك الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة؟! فوالله لو أُعْطيت مدح الناس، وأُعْطيت ثناءهم، وأُعْطيت الدنيا بكلِّ ما فيها؛ لما كنت رابحًا أبدًا، مادمت معرَّضًا لهذا الوعيد الشديد؛ ولذلك يجب على العبد المؤمن إذا جاءه الرِّياء أن يُذكِّر نفسه بأنَّه سيموت، وأنه سيُحشر، وفي ذلك الموقف العظيم المهول المخوف الذي فيه ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، في ذلك الموقف العظيم الَّذي تجثو فيه الأمم خوفًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في ذلك الموقف العظيم يفضح الله عَزَّوَجَلَّ المُرائي ويُظهر سرَّه، ولا شكَّ أنَّ هذا يردع المؤمن بحول الله وقوَّته عن هذا الباب الخبيث الَّذي يعود على العمل بما ذكرنا، ويعود على العامل بما أخبر به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة.

---

(١) في «المعجم الكبير» رقم (٢٣٧).

(٢) في «شعب الإيمان» رقم (٦٤٢١).

٣٠- وَعَنْ رُبَيْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» فَقُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ».

رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَالبَيْهَقِيُّ(١).

(رُبَيْح) بِضَمِ الرَّاءِ، وَفَتْحِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ، بَعْدَهَا يَاءٌ آخِرُ الحُرُوفِ، وَحَاءٌ مُهْمَلَةٌ. وَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: حَسَن.

في هذا الحديث الحسن يقول فيه أبو سعيد الخدريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»، المسيح الدَّجَّال قيل له: المسيح لأنَّه يمسح الأرض فيطأ كلَّ أرض إلَّا مكَّة والمدينة، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُحرِّمهما عليه، وقيل: سُمِّي بالمسيح لأنَّه ممسوح العين أعور(٢)، ولا مانع من الأمرين فكلاهما ثابت، وفتنتُه أعظمُ فتنةٍ على وجه الأرض كما أخبر به النَّبيُّ ﷺ، وهو شرٌّ غائب يُنتظر، يَخرج بفتنة عظيمة فيمرُّ على القوم فيأمرهم فيتبعونه؛ فيصبحون وهم في حال طيِّبة، وقد سمِنت دوابُّهم، ويمرُّ على قوم فلا يؤمنون به؛ فيصبحون وهم بشرِّ حالٍ في فقر وشدَّة، ويَمرُّ بالخَرِبَةِ فيأمرها فتُخرِج كنوزها، وقد حذَّر منه الأنبياء أممهم، وأُمِرنا أن نستعيذ بالله عَزَّوَجَلَّ من شرِّ فتنته(٣)؛ ولهذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتذاكرون أمره وعظيم فتنته؛

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١١٢٥٢)، وابن ماجه رقم (٤٢٠٤)، واللفظ له، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٦٤١٣).

(٢) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» (٣/ ١٠٤٩)، «الفتح» (٦/ ٤٧٢).

(٣) انظر: «قصَّة المسيح الدَّجَّال» للشيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد أخذ العلماء من هذا: أنَّ على أهل العلم أن يتدارسوا ما يضرُّ الأمَّة، ويُحذِّروا الأمَّة ممَّا يضرُّها من أعمال أو أشخاص تجلب الضرر للأمَّة.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**»؛ فالنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كونه عظَّمَ فتنة المسيح الدَّجَّال، واشتدَّ تحذيره من فتنة المسيح الدجال يقول لهم: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟!**».

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَقُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ» أي: ما هو هذا الشيء الذي هو أخوفُ عندك علينا من المسيح الدَّجَّال؟!

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الشِّرْكُ الخَفِيُّ**»؛ فسمَّاه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشرك الخفيِّ، وفي هذا دلالةٌ على أنَّ الرِّياء يتسلَّل إلى القلوب، فيحتاج العبد إلى حذر ومجاهدة، أمَّا الدَّجَّال فمع عظيم فتنته، أمرُه ظاهر للمؤمنين؛ مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كلُّ مؤمن كاتبًا كان أو غير كاتب، أمَّا الرِّياء فهو شرك خفيٌّ يدبُّ إلى القلوب؛ ولذلك عَظُم خوف النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه على أمَّته.

ثم فسَّر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الشرك الخفيَّ بقوله: «**أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»، وفي هذا بيانٌ لمعنى الرِّياء، حيث بيَّنه بالمثال، فالأمر ليس خاصًّا بالصلاة، بل في كلِّ عمل صالح إذا أظهره الإنسان، وزيَّنه من أجل الخلق، ومن أجل المدح؛ فهذا رياء، ويدخل في الشرك الخفيِّ، وقد تقدَّم معنا أنَّ يسير الرِّياء من الشرك الأصغر.

٣١- وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ!».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟

قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ»

رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ»[(١)].

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: حَسَنٌ.

هذا الحديث صحَّحه بعضُ أهل العلم وحسَّنه بعضهم، وفيه أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذَّر الأمَّة من الرِّياء، وسمَّاه شرك السَّرائر؛ لأنَّ محلَّه القلب محلَّ السِّرِّ، فظاهر العمل صالحٌ، لكن الفساد وقع في القلب، والسَّرائر وهي القلوبُ تُبلى يوم القيامة ويُكشف ما فيها.

قال محمود بنُ لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا**»» أي: يجتهد في تحسين الصلاة؛ «**لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**».

إذًا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمَّاه الشرك الخفيَّ؛ لخفائه من حيث وقوعه، ولخفائه من حيث مكانُه:

أمَّا من حيث وقوعُه: فلأنَّه يتسلَّل إلى القلب، وقد لا يتنبَّه له المؤمن.

وأمَّا من حيث مكانُه: فلأنَّ مكانه القلب مكان السِّرِّ، وسمَّاه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشرك السَّرائر.

---

(١) رقم (٩٣٧).

٣٢- وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ».

قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الزُّهْدِ» وَغَيْرُهُ[1].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَصِحَّ لَهُ مِنْهُ سَمَاعٌ فِيمَا أُرَى، وَقَدْ خَرَّجَ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ حَدِيثَ مَحْمُودٍ الْمُتَقَدِّمِ فِي «صَحِيحِهِ»، مَعَ أَنَّهُ لَا يُخْرِجُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْمَرَاسِيلِ، وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَنَّ الْبُخَارِيَّ قَالَ: «لَهُ صُحْبَةٌ»، قَالَ: وَقَالَ أَبِي: «لَا يُعْرَفُ لَهُ صُحْبَةٌ»، وَرَجَّحَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ لَهُ صُحْبَةً. وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، وَقِيلَ: إِنَّ حَدِيثَ مَحْمُودٍ هُوَ الصَّوَابُ؛ دُونَ ذِكْرِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ فِيهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ».

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: حَسَن.

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»»، فسمَّاه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشِّرك الأصغر، وسمَّاه الشرك الخفيَّ، وشرك السَّرائر؛ وهذا دليلٌ على أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُحذِّر الأمَّة من هذا الداء الخبيث.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، وهذا ليس حصرًا للشِّرك الأصغر في الرِّياء، وإنَّما دليلٌ على أنَّ الرِّياء من أقبح ما يكون من الشِّرك الأصغر، وقد قدَّمنا أنَّ يسير الرِّياء لا يُخرج من الدِّين، لكنَّه شركٌ أصغر.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٣٦٣٠)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» رقم (٦٤١٢).

.....

ويناسب هنا أن نقول: إنَّ كثيرًا من أهل العلم يرون أنَّ الشرك الأصغر لا يقع تحت المشيئة، ولا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ، بل يرون أنَّ ما سمَّاه النَّبيُّ ﷺ شركًا يدخل في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]؛ وعليه فإنَّه لابدَّ أن يُعذَّب به يوم القيامة، وإن لم يُخلَّد بسببه في النار.

ومن أهل العلم من يقول: أنَّ الشرك الأصغر من جنس الذنوب دون الشرك الأكبر، فهو يقع تحت المشيئة.

لكن الشأن أنَّ أمر الرِّياء أمرٌ عظيم؛ إذ إنه على القول الأوَّل لابدَّ لصاحبه أن يُعذَّب إن مات عليه، ولم يتب منه قبل موته، فالأمر جدٌّ خطير! وإن كان المرجَّح عندنا أنَّه من جنس الذنوب الَّتي تقع تحت المشيئة.

قال: «قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، الشِّرك الأصغر: هو كلُّ ذنبٍ سُمِّي في النُّصوص شركًا، ودلَّ الدليل على عدم خروج صاحبه من الملَّة، وكلُّ ذنب كان ذريعةً للشرك الأكبر؛ فهو شرك أصغر.

مثال الأوَّل: الرِّياء، فالنَّبيُّ ﷺ سمَّاه الشرك الأصغر.

ومثال الثاني: الذبح لله عند قبر الرَّجل الصالح؛ لأنَّه ذريعة للوقوع في الشرك الأكبر، فإنَّه لو تقادم الزمان يوشك أن يُذبح لصاحب القبر، بل إنَّ الرجل قد يأتي ويذبح لله عند قبر الرجل الصالح، ثمَّ يُبتلى فيتحقَّق له شيءٌ فيقع في قلبه اعتقاد في صاحب القبر؛ فيأتي فيذبح للرجل الصالح، فيقع في الشرك الأكبر.

قال ﷺ جواب السائل عن الشرك الأصغر: «**الرِّيَاءُ**»، وفي هذا دليل على أنَّ الرِّياء من أقبح صور الشرك الأصغر، فإنَّ تخصيصه بالذكر دليلٌ على سوئه.

ثم قال ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا**»، **أي كنتم تراؤون النَّاس، فاذهبوا إليهم؛ فإنَّهم محشورون معكم، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»، يقال لهم هذا في يوم القيامة يفرُّ المرء من أبيه وأمِّه، ويفرُّ من زوجته وأبنائه، ويفرُّ من أخيه؛ فكيف يُعطيه من راءاه في الدنيا؟ هو لا يملك يوم القيامة شيئًا إلَّا حسناته، فلو جاءه أبوه وقال: يا بُنيَّ أريد منك حسنةً واحدةً أدخل بها الجنَّة، فإنَّه يقول: نفسي نفسي! فكيف بغيره؟!

ومعنى هذا: أنَّهم لا يجدون جزاءً، وهذا من التحقير والتصغير لهم يوم القيامة، فإنَّه مع كشفهم وفضحهم يأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ تحقيرًا وإذلالًا لهم أن يذهبوا إلى النَّاس الذين راءوهم في الدنيا ليطلبوا منهم الجزاء، ولن يجدوا!

❁ ❁ ❁

٣٣- وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ، - وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ لِلهِ أَحَدًا، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِهِ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «التَّفْسِيرِ» مِن «جَامِعِهِ»، وَابْنُ مَاجَه، وَابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِهِ»، وَالبَيْهَقِيُّ(١).

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: حَسَن.

يقول النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ» وهو يوم الجزاء «نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ لِلهِ أَحَدًا، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِهِ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ»، وهذا يشمل كلَّ من أشرك بالله سواءً كان شركه شركًا أكبر، أو كان شركه شركًا أصغر، فالذي يذبح للرجل الصالح هذا شرك أكبر يخرج به من ملَّة الإسلام، ويُنادى يوم القيامة: أُطلب ثوابك من الرجل الذي أشركتَ به، وكذلك الشرك الأصغر فالذي يُرائي يُنادى يوم القيامة أن اطلب ثوابك من النَّاس الذين راءيتهم، «فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ».

ومعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَغْنَى الشُّرَكَاءِ» أي فيما يفعله المشركون ويعتقدونه، لا من حيث الحقيقة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحدٌ لا شريك له، لكن المشركين هم الذين جعلوا له شركاء، فالله أغنى الشركاء من حيث وقوع الشرك به لا من حيث أنَّه يرضى شريكًا له، بل الله عَزَّوَجَلَّ الغنيُّ الغنى المطلق؛ والمعلوم أنَّ الإنسان إنَّما يتَّخذ شريكًا

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٥٨٣٨)، والترمذي رقم (٣١٥٤)، وابن ماجه رقم (٤٢٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٤٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٦٣٩٨). وقال الترمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرٍ».

لضعفه، يريد أن تنضاف قوَّة شريكه لقوَّته ليحقِّق المقصود، فلو أنَّ إنسانًا يعلم أنَّه لو انفرد بالعمل لحقَّق مراده غاية التحقيق، لما اتَّخذ شريكًا يشاركه في عمله، لكن الإنسان إنَّما يتَّخذ الشريك لأنَّه يحتاج إليه ليحقِّق مراده، أمَّا الله عَزَّوَجَلَّ فهو الغنيُّ الغنى المطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلُّ الكون بذرَّاته، وآياته الكبرى بحاجة إليه، ومفتقرٌ إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله غنيٌّ عن المشاركة؛ لأنَّه الغنيُّ الغنى المطلق، والقويُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الَّذي تفتقر إليه الخلائق، والصمد الَّذي تصمد إليه الخلائق، فهو غنيٌّ عن المشاركة، وغنيٌّ عن العمل الذي وقع فيه الشرك، بل الله عَزَّوَجَلَّ غنيٌّ عن عمل العباد صالحه وباطله، لكن الله عَزَّوَجَلَّ كلَّف عباده بالعمل الصالح ليُثيبهم عليه، أمَّا العمل الباطل فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بريءٌ منه، ويستحقُّ صاحبُه العقاب والخذلان، فمعنى «عَنِ الشِّرْكِ»: عن المشاركة، وعن العمل الذي يُشرَك فيه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

٣٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ».

رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ - وَاللَّفْظُ لَهُ -، وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالبَيْهَقِيُّ، وَرُوَاةُ ابْنِ مَاجَه ثِقَاتٌ[1].

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ.

يقول النَّبيُّ ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ» على ما فسَّرناه، فالله عَزَّوَجَلَّ أغنى الشركاء عن المشاركة، وعن العمل الذي يقع فيه الشرك.

قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي» يعني لم يكن العمل لغير الله خالصًا «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ»، وضمير الغائب يحتمل ثلاثة أمور:

الأمر الأوَّل: العمل، فالتقدير: فأنا من هذا العمل بريء.

الأمر الثاني: العامل، فالتقدير: فأنا بريء من العامل من جهة عمله هذا، فلن يكون له عندي ثوابٌ، وإنَّما له العقاب، ويطلب ثوابَه ممَّن لا يملك الثواب، وهو الَّذي أشرك.

الأمر الثالث: الشريك، فالتقدير: فأنا بريء من الَّذي أشركه معي، لكن هذا الاحتمال ضعَّفه العلماء؛ لأنَّ الإنسان قد يُشرك من لا ذنب له، كما عَبَد بعض النَّاس الأنبياء فأشركوا بالله، فالنَّبيُّ ليس له ذنب، وما أمر إلَّا بالتوحيد، وكما أشرك بعضُ النَّاس الصَّالحين، تجده رجلًا صالحًا كان يعمل لله متَّبعًا لرسول الله ﷺ، فلمَّا مات

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٩٦١٩)، وابن ماجه رقم (٤٢٠٢)، وابن خزيمة رقم (٩٣٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٥٨).

أصبح النَّاس يذبحون لقبره وله، وهو لا ذنب له، وكذلك الملائكة هناك من الناس من يعبدهم، وهم لا ذنب لهم، كذلك ناسٌ مؤمنون في المساجد هناك من يرائيهم وهم لا ذنب لهم، فلا يستقيم أن يعود الضمير على الَّذي أُشرك مع الله تَعَالَىٰ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يكون بريئًا منه بإطلاق.

إذًا الضمير يعود على العمل، ويعود على العامل؛ فالله منه بريءٌ منه جهة عمله هذا، إلَّا إذا كان مشركًا شركًا أكبر، فالله منه بريءٌ - والعياذ بالله - براءةً تامَّةً.

قال عَزَّوَجَلَّ: «وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ» فكأن العمل تمحَّض للَّذي أشرك، ففيه العقاب وليس فيه الثواب، بل فيه الخزي والعار والفضيحة والتصغير والتحقير والعقاب يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

٣٥- وَرَوَى البَيْهَقِيُّ[١] عَنْ يَعْلَى بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ الرِّيَاءَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»[٢].

قَالَ الأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ.

هذا فيه ما تقدَّم فإنَّ النَّبيَّ ﷺ سمَّاه الشرك الأصغر.

وفي الحديث: فائدة أصوليَّة؛ وهي أنَّ الصحابيَّ إذا قال: «كُنَّا نفعل» أو «كنَّا نقول»؛ فإنَّه يُحمل على ما في زمن النَّبيِّ ﷺ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ أقرَّه، وهنا قال شدَّاد: «كُنَّا نَعُدُّ الرِّيَاءَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ» فصرَّح بأن ذلك كان زمن النَّبيِّ ﷺ، وهذا يعضد القاعدة المذكورة.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٥الكتب العلمية)، والطبراني في «الأوسط» رقم (١٩٦)، و«الكبير» رقم (٧١٦٠)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» رقم (٦٤٢٤، ٦٤٢٥).

(٢) قال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُلتُ: ورواه الحاكم أيضًا (٤/ ٣٢٩)، وقال: «صحيح». ووافقه الذهبيُّ، وهو كما قالا، فلو عزاه المصنِّف إليه كان أولى».

(فَضْلٌ)

٣٦- وَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ - رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ - قَالَ: «خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَزْنٍ، وَقَيْسُ بْنُ المُضَارِبِ فَقَالَا: وَاللهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ، أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونًا لَنَا أَوْ غَيْرَ مَأْذُونٍ. فَقَالَ: بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ، خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ».

فَقَالَ لَهُ: مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ».

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ(١).

وَرُوَاتُهُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُحْتَجٌّ بِهِمْ فِي «الصَّحِيحِ»، وَأَبُو عَلِيٍّ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّان، وَلَمْ أَرَ أَحَدًا جَرَحَهُ.

قال الألبانيُّ: حسنٌ لغيره.

قال أبو عليٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ» وهو الصحابيُّ الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ»، أي: احذروا هذا الشِّرك.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، وجاء في رواية موقوفة على ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ»(٢)، قوله:

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٩٦٠٦)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٣٤٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٦٢). وجوَّد إسناده الشيخ سليمان آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في

.....

«دَبِيب»؛ قال بعضُ أهل العلم: هو صوتُ سير النَّمل، والنَّملة إذا سارت لا تسمع لها صوتًا.

وقال بعضُ أهل العلم: أثر النَّمل، فالنَّملة إذا سارت على الصخرة لا تُبقي أثرًا تراه.

ولا مانع من الأمرين؛ فلا يُسمع صوتُ سيرها، ولا يُرى أثرُ سيرها، وجاء في الرواية الأخرى: «**عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ**»، وهذا تأكيد لشدَّة خفائه.

قال: « فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَزْنٍ، وَقَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ فَقَالَا: وَاللهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ» أي لتقيمنَّ دليلًا على ما قلتَ؛ لأنك ذكرتَ أمرًا عظيمًا، «أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونًا لَنَا أَوْ غَيْرُ مَأْذُونٍ»، أي نذهب إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا في خلافته، وندخل عليه فنُخبره بما قُلتَ، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شديدٌ في الحقِّ.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَقَالَ: بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ» أي: عندي الدليل.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فهو قال ما قاله رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَقَالَ لَهُ: مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، قالوا: كيف نتَّقيه وهو خفيٌّ جدًّا ؟ فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ**» أي: اللَّهمَّ إنَّا نلجأ إليك، ونعتصم بك من أن نُشرك بك شيئًا نعلمه «**وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ**».

= «تيسير العزيز الحميد» (٢/ ١١٦٢ الصميعي).

ففيه أنَّ الإنسان يقول هذا الدعاء إذا خاف الرِّياء، والمقصود أنَّه خفيٌّ قبل وقوعه، وإلَّا بعد وقوعه فإن الإنسان يعرف - والعياذ بالله - أنَّه راءى، لكن الشيطان يقود الإنسان إليه قيادةً خفيَّة فلا يشعر الإنسان إلَّا وقد وقع، ولهذا يسأل بعض الناس يقول: كيف هو أخفى من دبيب النَّمل، والإنسان هو يقصد أن يُمدح؟! فنقول: هو أخفى من دبيب النَّمل في الطريق إليه، فالشَّيطان يسوق الإنسان إليه بطريقة خفيَّةٍ حتَّى لا يشعر إلَّا وقد وقع، فإذا وقع فإن الإنسان يُدرك - والعياذ بالله - أنَّه إنَّما زيَّن صلاته وعمله من أجل نظر الناس، فالذي يخاف من الرياء يقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ**».

وهاهنا فائدةٌ ذكرها أهلُ العلم: وهي أنَّ استغفار الإنسان الصادق ينفعه ولو لم يعلم بالذنب، فإنَّ الإنسان قد يقع في ذنب وهو لا يشعر أنه وقع في الذنب، فقد يقول الكلمة من سخط الله لا يشعر بها يهوي بها في النار كذا وكذا خريفًا، فإذا استغفر صادقًا من ذنوبه؛ فإنَّ هذا الاستغفار ينفعه، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ**».

وفيه أيضًا: أنَّ الاستغفار يدفع الذنب قبل وقوعه، فالعبد كثير الاستغفار يحفظه الله من كثير من الذنوب؛ فمن فوائد الاستغفار أنَّه يُمحى به الذنب بعد وقوعه سواء عَلِم به الإنسان أو لم يعلم، ويُدفع به الذنب قبل وقوعه، وهذا هو الاستغفار الصَّادق؛ لأن الاستغفار ثلاثة أنواع:

النوع الأوَّل: استغفارٌ مع توبة، وهذا أكمل أنواع الاستغفار.

....

النوع الثاني: استغفار صادقٌ منبعه الخوف من الله من غير توبة، وهذا ينفع - إن شاء الله - ويمحو الله به الذنب إن شاء.

النوع الثالث: استغفار الكذَّابين، وهو استغفارُ اللِّسان من غير حضور القلب؛ يستغفر بلسانه وقلبُه لا يشعر بالذنب ولا يريد أن يستغفر، كمن إذا أتيته وهو يشرب الدخان وقلت له: يا أخي اتَّقِ الله! هذا حرام، فيقول في الحال: أستغفر الله والسيجارة بيده أو على طرف شفته! هذا استغفار الكذَّابين ولا ينفع بشيء.

وبهذا نختم تعليقنا على هذا الحديث، وبه نكون قد فرغنا من شرح هذا الكتاب العظيم.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... ٥

بيان حاجة المسلم إلى الترغيب والترهيب..... ٧

تعريف الإخلاص لغةً وشرعًا ٩

هل من الإخلاص قطع النظر عن الثواب والنجاة من العقاب؟ ١٠

الإخلاص مختص بقطع النظر عن الحظ الدنيوي..... ١١

الإخلاص شرط لصحَّة العبادة ١١

سير الإنسان إلى الله بثلاثة أركان ١٢

الترغيب في الإخلاص والصدق والنية الصالحة ١٣

الحديث (١) و(٢): في قصة الثلاثة أصحاب الغار..... ١٣

بيان الغرض من ذكر القصص الصادقة الصحيحة ١٥

شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يأت في شرعنا ما يرفعه ١٥

الأمر بالإخلاص ممَّا اتَّفقت عليه شرائع الأنبياء ١٧

التوسُّل إلى الله بالأعمال الصالحة أمر مشروع ١٧

الفرق بين التوسُّل بالعمل الصالح والامتنان به ١٧

العجب من أقوام يدعون التوسل المشروع ويتعبون أنفسهم بالتوسل الممنوع ... ١٨

برُّ الوالدين من الأعمال العظيمة التي ينتفع بها المؤمن في الدنيا والآخرة ٢٠

بر الوالدين من أعظم الأعمال وأوجب الواجبات ٢١

بيان أن عقوق الوالدين من الكبائر والتحذير من ذلك..... ٢١
الحض على زيارة الوالدين والإحسان إليهما وصلتهما ٢٢
في ديننا لا يمنع أحد حقه من أجل حق غيره ٢٢
الجمع بين الروايتين المختلفتين في مقدار المال الذي أعطاه الرجل للمرأة..... ٢٣
بيان مجيء رواية تفيد أن المرأة كانت ذات زوج ٢٤
تحرُّج المرأة من فعل الفاحشة وبكاؤها خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ ٢٥
عظم أجر من عفَّ عن الزنا مع توفر الدواعي..... ٢٥
كلما ضعف الداعي إلى المعصية كان فعلها أقبح وعقوبتها أعظم..... ٢٦
إذا تيسر للإنسان الحلال المغني عن الحرام كان فعل الحرام منه أقبح ٢٧
إذا عرف العبد عظم الشيء المحرم كان فعله أقبح من فعل غيره..... ٢٧
من بذل مقدمات الحرام ثم تركه لله لا يؤاخذ بتلك المقدمات ٢٨
يجب على العبد تعويد نفسه وأولاده على العفَّة..... ٢٨
سبب ترك الأجير أجرته..... ٢٨
الجمع بين الروايات المختلفة في تحديد نوع الأجرة التي عامل عليها الأجير ٢٩
التَّوفيق بين الروايات المختلفة في نوع المال الذي صار للأجير ٣٠
فضيلة أداء الأمانة وأداء الأجور إلى أهلها والإحسان..... ٣١
الغرض من إيراد الحديث في باب الإخلاص..... ٣١
جواب إشكال: لِمَ لَمْ يذكر الأرز في صدقة الفطر؟ ٣٢

الحديث (٣): حديث رجل من أسلم في السؤال عن الإيمان والإسلام واليقين..... ٣٤
بيان صحَّة الحديث وأنه مسند لا مرسل........................ ٣٤
بيان اختلاف معاني الإيمان بحسب وروده في النُّصوص ٣٥
من خلا عن العمل مطلقًا مع القدرة وعدم العذر فليس بمؤمن عند السلف ... ٣٥
المراد بالإيمان إذا اقترن بالعمل الصالح أو الإسلام ٣٦
توجيه قصر النَّبيِّ ﷺ تفسيره للإسلام على الصلاة والزكاة فقط ٣٦
الإخلاص أعظم مقامات الإيمان ٣٧
بيان معنى اليقين بالله عَزَّوَجَلَّ........................ ٣٧
الحديث (٤) و(٥): «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا...**» ٣٨
إثبات صحَّة الحديث ٣٨
نقل حديث رسول الله ﷺ سبب لنور الوجه والسعادة ٣٩
الحديث دليلٌ على فضيلة أهل الحديث ٤٠
فوائد حفظ الحديث والاعتناء به........................ ٤٠
لا يضرُّ المحدِّث كونُه غير فقيه........................ ٤١
فهم الحديث يحتاج إلى الفقه ٤١
ضبط قوله ﷺ: «**لا يغلُّ**» على وجهين، وبيان معناها ٤١
على المسلم أن يختبر قلبه بثلاث وثلاث........................ ٤٢
الحديث دليل على أن الإخلاص أفضل الأعمال ٤٤
النصيحة أحد أعمدة الدين........................ ٤٤

بيان كيف تؤدَّى النصيحة للحاكم ٤٤
كيفية نصح الحاكم في منكر مُعلَن يُفعل بحضرته ٤٥
كيفية نصح الحاكم في منكر واقع في ولايته لا بحضرته..... ٤٦
لزوم الجماعة ليس سياسة ولا عادة، إنما هو من شعائر الدين ٤٧
معنى قول النبيِّ ﷺ: «فإن دعاءهم يحيط من ورائهم»..... ٤٧
الحديث (٦): «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم...» ٥٠
تعريف مقتضب بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٥٠
ذكر سبب ورود الحديث ٥٠
من فوائد الحديث ٥١
وجه تخصيص النَّبيِّ ﷺ الضعفاء بالنصر..... ٥٢
أركان النصر والعزة والتمكين ستَّة: ٥٢
١- عبادة خالصة خاشعة ٥٣
٢- قوة دافعة ٥٣
٣- إمام يسمع له ويطاع ٥٣
٤- علم نافع ٥٤
٥- أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ٥٤
٦- جماعة متَّحدةٌ غير متفرِّقة ٥٤
التنبيه على أن الحديث عند البخاري مختصر..... ٥٤
وجوب إكرام المسلمين بعضهم بعضًا..... ٥٤

يعظم أثر العبادة وتزيد بركتها بمقدار الإقبال على الله تعالى ٥٥
اختلاف أحوال النَّاس في إقبالهم على صلاتهم وأثر ذلك عليهم ٥٥
الحديث (٧): «إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: أنا خير شريك..» ٥٧
حكاية اختلاف العلماء في سماع الضحَّاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من النبيِّ ﷺ، وترجيح سماعه ٥٧
الأمر بإخلاص الأعمال لله عَزَّوَجَلَّ وبيان أنه لا يقبل من العمل إلا الخالص ٥٨
معنى قوله ﷺ: **«لا تقولوا: هذه لله وللرحم»** ٥٩
معنى قوله ﷺ: **«لا تقولوا: هذا لله ولوجوهكم»** ٦٠
الحديث (٨): «إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا...» ٦٢
لا يقبل الله من العبادة إلّا الخالصة ولا تبرأ الذمَّة إلَّا بها ٦٣
لا يُثيب الله على العمل الدنيويِّ إلا إذا ابتغي به وجهه ٦٣
الحديث (٩): «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ما ابتغي به...» ٦٥
معنى قوله ﷺ: **«الدنيا ملعونة»** ٦٥
معنى قوله ﷺ: **«ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله»** ٦٥
الجواب على استشكال بعض أهل العلم لعن الدنيا في هذا الحديث ٦٦
فصل ٦٨
تعريف النية ٦٨
النيَّة محلُّها القلب ٦٨
اتفاق العلماء على التلفُّظ بالمنويِّ في الحج وذبح الأضحية ٦٨

الصحيح أن التلفظ بها في القلب في سائر الأعمال بدعة ٦٩
لطيفة: قصة شابٍّ مع شيخ حنفيٍّ يعقد النكاح على مذهب أبي حنيفة ٧٠
بيان علوِّ منزلة الأئمَّة الأربعة وأنَّهم متفقون على اتِّباع الدليل ٧٠
لابدَّ في النيَّة من توجُّه القلب الجازم إلى العمل ٧١
النيَّة نوعان: ٧٢
نيَّة المعمول له ٧٢
نيَّة العمل ٧٣
أمثلة على نيَّة التمييز بين الأعمال ٧٤
الحديث (١٠): «إنَّما الأعمال بالنيات...» ٧٦
بيان عظم هذا الحديث ٧٦
التوفيق بين رواية: «**بالنِّيَّة**» ورواية «**بالنِّيَّات**» ٧٧
الفرق بين الفعل والقول، والفعل والعمل ٧٧
قاعدتان جليلتان: ٧٨
الأعمال إنما تكون صحيحة ومعتبرة شرعًا بالنيَّات ٧٩
يحصل للمرء من عمله ما نواه، وبمقدار ما نوى ٧٩
تعريف الهجرة الشرعية ٨٠
بيان وجه التنصيص على الهجرة إلى المرأة ٨١
سبب ورود الحديث ٨١
١ - هجرة المكان ٨٢

الانتقال من بلد الخوف إلى بلد الأمن ٨٢
الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام ٨٣
مسألة: هل انقطعت الهجرة أم هي باقية في الأمة؟ ٨٣
حكم الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ٨٤
٢- هجرة العمل ٨٦
الحديث (١١): «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض...» ٨٨
ذكر بعض فضائل عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٨٨
الجيش الذي يغزو الكعبة من المنتسبين للإسلام ٨٩
هل يخسف بأوسط الجيش؟ ٨٩
الحساب يكون على النية وعلى العمل ٩٠
لا ينبغي مجالسة أهل المعاصي إلا للإنكار عليهم لأنَّهم مظنَّة العقوبة ٩٠
الحديث (١٢): «إن أقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا...» ٩٣
شرح ألفاظ الحديث ٩٣
للمؤمن الذي ينوي عمل الخير ثم يمنعه منه مانع حالان: ٩٤
الحال الأولى: أن يكون فاعلًا للخير الذي نواه قبل المانع ٩٤
الحال الثانية: ألَّا يكون فاعلًا لذلك الخير قبل المانع ٩٥
الحديث (١٣) و(١٤): «إنما يبعث الناس على نياتهم» ٩٨
يتفاضل الناس يوم القيامة بأعمالهم ونياتهم ٩٨
خطأ بعض الناس الذين يفهمون الحديث على أنَّه لا عبرة بالعمل ٩٩

الحديث (١٥): «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم...» ١٠٠
الأجسام ليست ميزانًا للتفاضل..... ١٠٠
ما أمرنا الله به من عمل في أجسامنا داخل في نظر الله إليه..... ١٠٠
الصور ليست ميزانًا للتفاضل عند الله..... ١٠١
الناس يتفاضلون بالأعمال الصالحة والنيات الحسنة..... ١٠١
التنبيه على خطأ في رواية هذا الحديث ١٠٢
مجاهدة القلب على تصحيح النية من أفضل الجهاد وأشق الأعمال ١٠٣
الحديث (١٦): «ثلاثٌ أقسم عليهن، وأحدِّثكم حديثًا فاحفظوه...» ١٠٤
تأكيد النبيِّ ﷺ هذه الثلاث بالقسم عليهن..... ١٠٥
لا تنقص الصدقة المال من وجوه كثيرة..... ١٠٥
تفسير الـمَظلِمة..... ١٠٧
الظلم حرام على كل حال..... ١٠٧
الإنسان إذا أصابته مظلمة لا يخلو من ثلاثة أحوال ١٠٨
معنى قوله ﷺ: **«إلا زاده عزًّا»** ١٠٩
حرمة المسألة من غير حاجة ولا ضرورة ١٠٩
من فتح باب مسألة عاقبه الله بالفقر..... ١١٠
في معنى قوله ﷺ: **«فتح الله عليه باب فقر»** ثلاثة أوجه ١١٠
الأمر بحفظ الحديث له معنيان..... ١١١
أصناف الناس في الدنيا أربعة: ١١٢

الأوَّل: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربَّه ويصل فيه رحمه ١١٢
بيان كيف يتَّقي العبد ربه في ماله ١١٢
بيان كيف يصل العبد رحمه بماله ١١٣
الثاني: عبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا وهو صادق النيَّة ١١٤
هذان الصنفان يشتركان في الأجر على العمل لا في قدر الثواب ١١٥
الثالث: عبد رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا فهو يخبط في ماله ١١٧
من صور الخبط في الحرام وعدم صلة الأرحام به ١١٧
الرابع: عبد لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا يتمنَّى أن يعمل مثل عمل الثالث ١١٨
هذا يُكتب عليه وزر العمل السيِّئ سيِّئة ١١٩
الناس إزاء النعمة قسمان ١١٩
الناظر إلى المنعم عليهم صنفان ١٢٠
هؤلاء الأصناف الأربعة من أمَّة محمَّد ﷺ ١٢٠
الحديث (١٧): «إن الله كتب الحسنات والسيئات...» ١٢٢
الصحيح في تعريف الحديث القدسي ١٢٢
معنى قول النبيِّ ﷺ: **«إن الله كتب الحسنات والسيِّئات»** ١٢٣
معنى قوله ﷺ: **«من همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتب الله عنده حسنة كاملة»** ١٢٦
تضعيف الأجر ثابت لكلٍّ من يقبل عمله، وأقلُّه عشرة أضعاف ١٢٧
العمل الصالح يضاعف في بعض الأزمنة والأمكنة ١٢٨

المضاعفة بذات العمل وبوصف العمل وبحسن القصد وبحسن المتابعة..... ١٢٩
معنى قوله ﷺ: «من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة» ١٣١
تكتب الحسنة لتارك السيئة إذا تركها لله تعالى..... ١٣١
معنى قوله ﷺ: «إن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» ١٣٢
بيان شيء من فضل الله عز وجل على أمة النبيِّ ﷺ ١٣٣
الحث على شكر الله تعالى على فضله وإكرامه لهذه الأمة ١٣٤
التذكير بقاعدة في الخلق: «أسيء الظن بنفسك، وأحسن الظن بإخوانك» ١٣٦
الحديث (١٨): «يقول الله عز وجل: إذا أراد عبدي أن يعمل سيِّئةً...» ١٣٨
الملائكة الكاتبون يطلعون على ما في القلب من الإرادة والهم ١٣٩
الحديث (١٩): «لك ما نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن» ١٤١
لا بأس أن يخاصم الابن أباه إذا لم يكن فيه إزراء بالأب ١٤٢
لا يملك الأب مال ابنه باتفاق العلماء، ولكن يتملك منه بقدر الحاجة..... ١٤٢
يؤجر المؤمن على عمله بمقدار ما نوى ١٤٣
الحديث (٢٠): «قال رجل: لأتصدقَّن بصدقة، فخرج بصدقته..» ١٤٤
معنى قول الرجل: «اللهم لك الحمد على سارق» ١٤٥
إذا نوى المؤمن الخير وعمل به أجر عليه، ولو لم يقع موقعه الذي أراد ١٤٧
إذا تسبَّب المسلم في توبة مسلم من المعصية أجر على ذلك ١٤٧
الحديث (٢١): «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل..» ١٤٩

باب الترهيب من الرياء وما يقوله من خاف شيئًا منه ١٥١
تعريف الرياء ١٥١
الفرق بين الرياء والسمعة ١٥١
الرياء نوعان ١٥٣
الأول: الرياء الكثير ١٥٣
الثاني: يسير الرياء ١٥٣
أحكام العمل الذي دخله الرياء ١٥٣
الحال الأولى: أن يكون الرياء في أصل العمل، والعمل متصل بعضه ببعض .. ١٥٣
الحال الثانية: أن يكون الرياء في أصل العمل، والعمل غير متصل ١٥٥
إرادة الإنسان بعمله الصالح الدنيا ليست من الرياء ١٥٦
أمثلة من إرادة الدنيا بالعمل الصالح ١٥٧
حكم العمل الذي أريد به الدنيا ١٥٨
الحالة الأولى: أن يريد الإنسان الدنيا بأعماله كلها ١٥٨
الحالة الثانية: أن يريد الإنسان الدنيا بعمل من أعماله لا كلها ١٥٨
الحالة الثالثة: أن يريد الإنسان وجه الله ويريد الدنيا.......................... ١٦٠
الصورة الأولى: أن يريد بالعمل وجه الله، ويريد به الدنيا من الله ١٦٠
الصورة الثانية: أن يريد بالعمل وجه الله، ويريد الدنيا بأسبابها ١٦١
الصورة الثالثة: أن يريد وجه الله، ويريد عرضًا من الدنيا غير مأذون فيه...... ١٦٣
تنبيه: أعمال الدنيا من بيع ونحوه الأصل فيها أنها للدنيا......................... ١٦٤

الحديث (٢٢): «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد..» ١٦٥
هذا الحديث قطع قلوب الصالحين ١٦٥
أمَّة النبيِّ ﷺ هي أول أمة يقضى عليها ولها ١٦٦
يجوز إطلاق لفظ الشهيد على من قتل في الجهاد الشرعي ظاهرًا ١٦٦
السؤال الذي يجب العمل له: «ما عملت فيها؟» ١٦٧
الرياء من شر الذنوب وأقبحها ١٦٨
كان السلف كرماء بالعلم..... ١٧١
تأثر أبي هريرة بما جاء في حديث النبيِّ ﷺ..... ١٧٢
حفظ القرآن من أعظم النعم..... ١٧٤
فضيحة من قرأ القرآن للدنيا يوم القيامة..... ١٧٥
قبح استعمال المال في عمل صالح يراد به الدنيا ١٧٥
المؤمن لا يعمل من أجل الناس، ولا يترك العمل خوف الرياء ١٧٦
المؤمن إذا جاءه الحديث الصحيح لا يقول: أعرضه على عقلي ١٧٨
الحديث (٢٣): «بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين..» ١٨٠
الأمَّة مبشَّرة بالرفعة والمسلمون مبشَّرون بالرفعة ١٨٠
شرط حصول هذه البشارة الإخلاص والاتباع..... ١٨١
كلما أخلص العبد لله واتبع رسوله تيسرت عبادته وأموره..... ١٨١
الرفعة لا تكون إلا بالدين ١٨٢

الحديث (٢٤): «من قام مقام رياء وسمعة؛ راءى الله به..» ١٨٣

كلٌّ من الرِّياء والسُّمعة يجتمعان في قصد المدح بالعمل الصالح ١٨٣

مسألة: حكم من سمَّع بعمله بعد تمامه ١٨٣

مسألة: إذا عمل العبد العمل الصالح لوجه الله، فأظهره الله من غير جهته ١٨٤

الأحاديث (٢٥) و(٢٦) و(٢٧) و(٢٨) و(٢٩): في السمعة ١٨٥

الوعيد الشديد لمن سمَّع بعمله.. ١٨٦

الحديث (٣٠): «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» ١٨٧

سبب تسمية الدجال بالمسيح ١٨٧

الدجال أعظم فتنة على وجه الأرض ١٨٧

خوف النبيِّ ﷺ على أمَّته من الشرك الخفيِّ أكثر من خوفه عليهم من الدجال ١٨٨

كل عمل صالح زيَّنه العبد من أجل الخلق ومن أجل المدح هو رياء ١٨٨

الحديث (٣١): «أيُّها الناس، إيَّاكم وشرك السَّرائر» ١٨٩

سبب تسمية الرياء شرك السَّرائر.. ١٨٩

الحديث (٣٢): «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» ١٩٠

كثرة تحدير النبيِّ ﷺ من الرياء.. ١٩٢

كثير من أهل العلم يرون أن الشرك الأصغر لا يدخل تحت المشيئة ١٩١

ضابط الشرك الأصغر.. ١٩١

يؤمر المراؤون يوم القيامة أن يطلبوا جزاءهم من الذين راءوهم ١٩٢
الحديث (٣٣): «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة..» ١٩٣
معنى قوله ﷺ: **«إن الله أغنى الشركاء»** ١٩٣
الحديث (٣٤): «قال الله عزوجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك..» ١٩٥
معنى قوله ﷺ: **«فأنا منه بريء»** ١٩٥
العمل الذي أشرك فيه لا ثواب فيه، بل فيه العقاب..... ١٩٦
الحديث (٣٥): «كنا نعد الرياء في زمن النبيِّ ﷺ الشرك الأصغر» .. ١٩٧
قول الصحابي: «كنا نقول» و«كنا نفعل» يحمل على ما في زمن النبيِّ ﷺ ١٩٧
فصل ١٩٨
الحديث (٣٦): «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك..» ١٩٨
معنى قوله ﷺ: **«دبيب النمل»** ١٩٨
الإرشاد إلى الدعاء الذي يقوله من خاف الرياء..... ٢٠٠
استغفار الإنسان الصادق ينفعه ولو لم يعلم الذنب ٢٠٠
الاستغفار يدفع الذنب قبل وقوعه..... ٢٠٠
الاستغفار ثلاثة أنواع ٢٠٠
فهرس الموضوعات..... ٢٠٣